

تم تحميل هذا الكتاب  
من موقع الملفات الإسلامية  
<http://islamicfiles.net>

الشَّيْخَةُ



١. د. عمّزه الشيرازي  
الشيخ، محمد الطيّف، فرغلي



# يساء لونك عن الشيعة

تأليف

أ.د. حمزة النشرتي  
الشيخ/ عبد الحفيظ فرغلي

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

[النحل: ١٢٨]

عن علي رضي الله عنه قال :

دعاني رسول الله ﷺ فقال : « يا علي : إن فيك من عيسي عليه الصلاة والسلام مثلاً ، أبغضته اليهود حتي بهتوا أمه وأحبته النصاري حتي أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها » .

وقال علي : « ألا ويهلك في محب مطرئ يفرطني بما ليس في ، وبغض مفتر يحمله شنائى على أن يبهتني ، ألا إنى لست بنى ولا يوحى إلي ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت ، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم ، وما أمرتكم بمعصية أنا وغيرى فلا طاعة لأحد في معصية الله - عز وجل - إنما الطاعة في المعروف »

جمع الجوامع للسيوطي برقم ٢٧٠٦١

والمستدرك للحاكم ١٢٣/٣ كتاب معرفة الصحابة

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الإهداء

إلى أمة الإسلام فى كل مكان ، وقد تنمر لهم الأعداء ، وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم ، وأسروا لهم البغى والعدوان ، رجاء أن يتذكروا أن دينهم الحنيف جعله الله رحمة للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأن يجعل منهم أمة واحدة ، لا تشرذم فيها ، ولا اختلاف بينها ، ولا تفرق فى صفوفها وأن يتذكروا دائما قوله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾



## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فإن تاريخنا العربي والإسلامي حافل بالصفحات النقية البيضاء التي يجد القارئ فيها زاده الفكري والروحي العظيم ، والتي يستخلص منها الكثير من العبر والعظات التي تلهمه في حياته القوة ، وتدفعه إلى الكفاح ، وتوقفه على مواضع القدوة الطيبة والأسوة الحسنة التي تضع قدمه على الطريق الصحيح وتأخذ بيده إلى الأمام .

ولكنه مع ذلك قد يجد في خلال هذه الصفحات نقاطا تثير كثيرا من التساؤلات ، يحتاج العقل معها إلى أن يقتنع والقلب أن يطمئن .

فقد اختلفت بعض الأمور ، ودان بالإسلام أجناس كثيرون لهم بيئات مختلفة ، وعقول متفاوتة ، وعقائد موروثية ، وتطلعات متعددة .

وحدثت في التاريخ الإسلامي حروب ومصادمات وأحداث نتيجة لهذه الاختلافات والتطلعات ، وسجل ذلك كله بأقلام لها وجهات نظر متباينة .

والذي لا شك فيه أن الإسلام جاء ناصعا واضحا لا عوج فيه . ولم يغادر النبي ﷺ الدنيا إلا بعد أن كشف الغمة وبدد الظلمة ، وترك الناس على المحجة البيضاء الواضحة .

ولكن العقول والأهواء هي التي انحرفت بالفكر حسب الهوي ، والتوت ببعض النصوص حسب الاعتقاد الموروث أو الفهم السقيم .

ومن ذلك موقف الناس حول « أهل البيت » .

فقد ثارت خلافات حول مفهوم أهل البيت ، وحول حقوقهم

وواجباتهم وتفرقت كلمة بعض مشايعهم وخصومهم حولهم . حتي ارتفع بهم البعض إلي مستوي يأبي الإسلام أن يقره ، وكان أول من عارض هذا الاتجاه هم أهل البيت أنفسهم ، وتبرءوا منه وأنكروه بكل قوة وحاربوه ونزل بهم البعض إلي حد المحاربة والتشريد والتكفير .

ووقف البعض منهم موقف المحايد السلبي .

ولكن جمهور المسلمين الذين لا يجتمعون علي ضلالة ، وقفوا منهم الموقف الإسلامي الصحيح ، الذي يعرف الحق لأهله ، ويضع الأمور في نصابها .

لم يشتطوا في حب أو بغض ، وفهموا من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يليق بها من تشريع قويم وتوجيه سليم .

وأهل البيت - رضي الله عنهم - لهم منزلة رفيعة في نفوس المسلمين ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ <sup>(١)</sup> والنسب والحسب قَدَرٌ لا يصنعه الإنسان بنفسه ، ولكن يستطيع أن يرفع من قَدَرِهِ أو يخفضه بعمله وجهده ، ومأثور عن الحكماء قولهم :

**إن الفتي من يقول ها أنا ذا ليس الفتي من يقول : كان أبي**

**كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب**

وترجمة ذلك أن الإنسان في البيئة المتواضعة قد يستطيع إذا وفقه الله أن يرتفع بمؤهلاته العلمية والخلقية ، ومواهبه الذاتية إلى أرفع الدرجات وأعلى المنازل ، وأن يسمو إلى أعظم المراتب وأرقى المناصب ، والتاريخ غاص بالعديد من هؤلاء الذين أحنوا القامات أمامهم إجلالا وإكبارا .

وفى مقابل ذلك يكون في مقدور الإنسان أن يسئ إلى مكانة نسبه

وشرفه الموروثن إذا لم يصنهما بما يجب أن يصانا به من علم نافع ، وأدب كامل ، وعمل شريف ، وخلق كريم ، وسيرة مرضية .

وأهل البيت - رضي الله عنهم - ضربوا المثل الكامل في الحفاظ علي شرفهم الموروث بشرف مكتسب ، فقد بذلوا أرواحهم ونفوسهم في تحصيل العلوم النافعة ، واكتساب الأخلاق الفاضلة ، والاجتهاد في طاعة ربهم الذي حباهم ذلك الفضل ، وأتم لهم نعمته ، وأكرمهم بأن جعلهم من أعظم شجرة وأفضل نسب ، فاستحقوا أن يحتلوا من نفوس المسلمين تلك الصورة الكريمة التي رسموها لهم وأحبوهم من أجلها ، والتفوا حولهم في حب وإعجاب وتكريم .

وبناء علي ذلك أصبح لهم شيعة تباينت أحكامهم وتصوراتهم وانطباعاتهم نحو أهل البيت ، فمنهم المفرط في الإعجاب .. ومنهم المغالي في التصورات ، ومنهم المعتدل في الأحكام .

كما فرضت طبيعة الحياة أن يكون لهم خصوم وأعداء ومنتقدون وحساد قد يبالغون في النقد وتصيّد الأخطاء ، وإحصاء العثرات ، وربما اختلقوا لهم الهفوات واخترعوا لهم السيئات من أجل غايات مختلفة ومآرب سيئة . وكان نتيجة ذلك أحداث دامية راح ضحيتها أعلام عظام ورجال كرام .

وعلي الرغم من ذلك سارت الحياة في طريقها المرسوم ، ومرت الأعوام والأحقاب والناس مشغولون بأنفسهم وأحوالهم لا يكادون يلتفتون لشيء مما حولهم .

ولم يكن الناس فيما خلا من أيام قبل أن يمتد الاحتلال الأمريكي إلي العراق قبل ثلاث سنوات ، وقبل أن تشتعل الحرب في لبنان بين المعتدين الصهاينة وبين جند حزب الله يتحدثون عن شيعة وسنة ، أو يحفلون بذلك ، فهم مشغولون بحياتهم اليومية وتحصيل معاشهم ويؤدون واجباتهم



الدينية أداء روتينيا ، وحسبهم أنهم يعبدون ربا واحدا لا شريك له ،  
ويصلون على محمد بن عبد الله وآله وأصحابه ويعيشون في مكان واحد  
وقطر واحد وبلد واحد تظلمهم راية واحدة هي راية العروبة والإسلام .

ولكن ما إن جاء الاحتلال بعدوانه الأثيم وهو يحسب أنه في نزهة  
حتى صدمته المقاومة الشرسة بلهيبها ، ووقفت في طريق طموحاته  
وأوهامه ، فعمد إلي ما يعمد إليه كل محتل غاصب عبر العصور من  
محاولة للتفريق بين الناس ، وإذاعة الشقاق بينهم متخذاً سلاح ( فرق  
تسد ) ، وبدأنا نسمع ونري الصدام في العراق بين السنة والشيعة .

ولما اعتدى الصهاينة علي لبنان وتصدى لهم حزب الله ودحرهم  
وجابههم بكل عنف وقوة ، وقد ظهرت كفاءته ومقدرته علي قهر العدوان  
الإسرائيلي الذي امتد أكثر من شهر متدرعا بالتحدي وبما يملكه من آلات  
الحرب المتطورة التي يمدّه بها جهابذة الشر والعدوان ومع ذلك لم يستطع  
إسكات صوت الحق حتى انكسر أمام صمود حزب الله .

بدأنا آنذاك نسمع أصواتا تسأل عن الشيعة الذين ينتمى إليهم حزب  
الله ، وما موقفهم من الإسلام ، وما موقف الإسلام منهم ، وهل هم  
مجاهدون حقا ؟ وهل يُعهد قتلاهم شهداء ؟

ونسي المتسائلون أن هؤلاء ينتمون إلى وطن يتعرض للاعتداء من ظالم  
متغطرس ، وأن الدفاع عنه واجب مفروض على كل صغير وكبير ، ذكر  
وأنثى بغض النظر عن دينه ومعتقده ، ومن مات دون وطنه فهو شهيد ،  
ومن مات دون عرضه فهو شهيد .

والمؤسف حقا أن نسمع صوتا يقول : لا ينبغي الدعاء بالنصر لهذا  
الحزب علي العدو الصهيوني الغاصب ، وقد وجد هذا الصوت من يرد  
عليه بيقين وإيمان وحق ، فمهما بلغ التشدد في الدين وفهمه وتطبيقه لا

يصح أن نهمل الدعاء بالنصر لكل من يجاهد العدو الباغي المعتدي حتى ولو كان هذا المدافع ليس مسلما . فما بالك إذا كان مسلما ؟!

ونحن مطالبون جميعا بالدفاع عن حوزة الدين وصيانة الأوطان من كل اعتداء يقع عليه والجهاد في هذه الحالة فرض عين علي كل فرد في الوطن وفرض كفاية علي غير المواطنين .

وعلي أي فقد أدي حزب الله واجبه مشكورا ورفع رأس العرب والمسلمين في كل مكان لا في لبنان وحدها ، وانتصر علي العدو الصهيوني انتصارا مؤزرا ، وهزمه هزيمة أصابته في مقتل ، وجعله يعيد حساباته ويدرك أن في الأمة الإسلامية أبطالاً وأن الشعوب الإسلامية تأبي الضيم وتستعصي علي الاستسلام .

لقد حدانا هذا إلى إلقاء الضوء علي الشيعة والتعريف بهم وبيان أصل هذا المذهب وسبب نشوئه والدور الذي قام به ، وموقف الإسلام منه .

لم يكن هذا المذهب طارئا ولكن له جذور عميقة ، وهو كشأن أي مذهب ما لم يلتزم أصحابه الصواب والمنهج السليم والصراط المستقيم فإن الأحداث تعتوره والتطورات تبتعد به عن الطريق السوي وتضاف إليه أفكار وآراء .

ولكن الذي يهمنا هو موقف أهل البيت الذين يتشيع لهم من يتشيع ، وهو موقف ثابت ينأي عن التحيز لأحد . فقد التزموا بواجبهم الديني الذي ورثوه عن جدهم ﷺ وحافظوا عليه ، وقد أشار القرآن الكريم إلى منهج هذا الالتزام في آية صريحة واضحة المعالم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وفي خلال هذه السطور التي نقدمها للقارى الكريم في هذا الكتاب محاولة متواضعة لبيان فضل هذه العترة الطيبة ومنزلتها ، وما يجب أن يكون عليه تعلق الناس بها من غير إفراط أو تفريط ، راجيا أن تكون هذه المحاولة تصحيحا لمسار الفهم المنحرف الذي يسيطر علي عقول المغالين في التشيع أو المنكرين لحقوقهم وفضلهم .

والله وحده هو الهادي إلي سواء السبيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

١٩ من شعبان ١٤٢٧ - ١٢ من سبتمبر ٢٠٠٦م





## مفهوم أهل البيت

الآل والأهل بمعنى واحد . جاء في لسان العرب : مادة أهل : آل الرجل أهله ، وآل الله وآل رسوله أولياؤه ، وأصل الآل الأهل ، ثم أبدلت الهاء همزة فهي في التقدير آل ، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا ، كما قالوا آدم وآخر ، وجرت عادة العرب أن يخصصوا بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم ، حتى لا يقال إلا في نحو قولهم : القراء آل الله ، وقولهم : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد . وجاء في القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ (١) .

وجاء أيضا في مادة آل دليل آخر علي أن كلمة آل أصلها أهل ، وهو أن آلا إذا صغرت قيل : أهيل .

والمقصود بالآل والأهل في عبارة أهل البيت : آل النبي ﷺ .

وقال ابن منظور مسندا إلى أبي العباس أحمد بن يحيى : يختلف الناس في الآل ، فقالت طائفة : آل النبي ﷺ من اتبعه قرابة كانت أو غير قرابة ، وآله أيضا ذو قرابته متبعا أو غير متبع ، وعلى هذا يدخل في الصلاة كل من اتبع النبي ﷺ قرابة كان أو غير قرابة .

وقيل : آله : أهله وأزواجه ، وقيل : آله أهل دينه .

وقيل : آله الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا منها الخمس ، وهم صلبية بنى هاشم ، وبنى المطلب ، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه ، جاء في الحديث : « لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد » .

وقال الشيخ عبد الفتاح خليفة في كتابه « تفسير سورة الأحزاب » عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

**تَطْهِيراً** ﴿١﴾ . المناسب للسياق أن المراد بأهل البيت نساؤه الطاهرات ، ويؤيد ذلك ما روى عن طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة ، ويؤيده ما روى عن طريق عروة رضى الله عنه أي بهذا المعنى .

قال : وصح في روايات كثيرة أن أهل البيت هم المتصلون بنسبه من الأصول والفروع ، فعن زيد بن أرقم - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **أذكركم الله في أهل بيتي** » فقليل لزيد : ومن أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ؟ ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده : آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . (٢) .

وقد قصر الشيعة لفظ أهل البيت على علي وفاطمة وأبنائهما ونسلهم رضى الله عنهم وجعلوا لهم أسمى الفضائل الخلقية والروحية والمكانة الأولى في الإمامة السياسية والدينية في الإسلام .

أما الفضائل الخلقية فإن المسلمين جميعا - لا الشيعة فقط - يجعلون لأهل البيت قسطهم الأوفر فيها ، لأن الله سبحانه وتعالى وصفهم بذلك ، حيث أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

ولكن قصر اللفظ على علي وفاطمة وأبنائهما فرأي غير الشيعة أنهم - أي الشيعة - حجروا واسعا . . وكذلك الأمر بالنسبة للإمامة .

وقال ابن سعد في طبقاته : إن أهل البيت تطلق على أسرة النبي ﷺ تمييزا لهم عن المهاجرين والأنصار ، وذلك حين قال : **سلمان منا أهل البيت** (٣) .

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) تفسير سورة الأحزاب ص ٨٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤ / ١ ص ٥٩ .

ورأى أهل السنة أن أهل البيت يتسع مفهومها ليشمل فروع بنى هاشم ومالهم من موالٍ ، كما يشمل أزواج النبي ﷺ وأبنائه .

وتفسر دائرة المعارف الإسلامية الآل بالعشيرة وهي الجماعة التي يربطها النسب بين الأهل والعائلة ، وقد وردت بهذا المعنى في القرآن الكريم عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

قالت : ولما قصر الشيعة الكلمة على أقرب أقرباء النبي ﷺ وسلالته توسع أهل السنة في مدلول العبارة حتى جعلوها تشمل جميع أتباعه ﷺ .

وللقرطبي في تفسيره رأى يوضحه في قوله : والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال ويظهركم لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كانوا فيهم ، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر ، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن .

قال : وقال الثعلبي : هم بنو هاشم ، فهذا يدل على أن البيت بيت النسب فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم .

وما يحتاج به البعض من أن النبي ﷺ دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فدخل معهم تحت كساء خيبري وقال : **هؤلاء أهل بيتي** ... وقرأ الآية ، وقال : **اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا** ، على أن أهل البيت هم علي وفاطمة وأبناؤهما ، فإنه دعاء من النبي ﷺ بعد نزول الآية ، أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج .



وقد اتسع بعض العلماء باللفظ فجعله يشمل أمة النبي ﷺ فقد سئل سفيان الثوري رضى الله عنه : من آل محمد ﷺ ؟ فقال : أمته (١) .

وربما يشفع لهذا التفسير قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (٢) .

ولا شك أن النبي ﷺ يفخر بكل تقي وينسب إليه كل مخلص ، أليس هو القائل : « سلمان منا أهل البيت » ؟

هذا ولا يمنع هذا التأويل تخصيص على رضى الله عنه وزوجته فاطمة رضى الله عنها وابنيهما الحسن والحسين بمزيد من الفضل ، فقد ورد في ذلك أحاديث متعددة ، رواها القرطبي وابن كثير في تفسيريهما ومما رواه ابن كثير : قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا شداد أبو عمار ، قال : دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم ، فذكروا عليا - رضى الله عنه - فلما قاموا قال لى : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى . قال : أتيت فاطمة أسألها عن على . فقالت : توجه إلى رسول الله ﷺ ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه على وحسن وحسين ، أخذ كل واحد منهما بيده ، حتى دخل فادنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه ، أو قال كساءه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق . قال : ورواه الطبري بزيادة : قال واثلة : فقلت : وأنا يا رسول الله ﷺ من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلى . قال واثلة : إنها من أرجى ما أرتجى .

(١) سفيان الثوري ص ٩ . د/ عبد الحليم محمود - أعلام العرب - .

(٢) الأحزاب : ٦

وهذه الرواية تؤيد أن أهل البيت تشمل كل صالح من أمته ﷺ .

وفى تعليق للأستاذ سيد قرون : وقيل آل النبي المختصون به من حيث العلم ، وذلك أن أهل الدين ضربان . ضرب متخصص بالعلم المتقن والعمل المحكم ، فيقال لهم آل النبي وأمته ، وضرب يختصون بالعلم على سبيل التقليد فيقال لهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يقال لهم آله ، فكل آل للنبي أمة له ، وليس كل أمة لهم آله .

وقيل لجعفر الصادق رضى الله عنه : الناس يقولون المسلمون كلهم آل النبي ﷺ . فقال : كذبوا وصدقوا . فقيل له : ما معنى ذلك ؟ فقال: كذبوا في أن الأمة كافتهم آله ، وصدقوا إذا قاموا بشرائط شريعته فهم آله .



### منزلة عظمى

وفضل أهل البيت أشهر من أن ينكر وأوضح من أن يتحدث عنه يتحدث ويكفي أن يكون مسجلا في القرآن الكريم آية تتلى ، يتعبد الناس بتلاوتها ، ويثابون عليها الحرف بعشرة حسنات ، وذلك حيث يقول الحق تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ (١) .

قال ابن عطية في تفسيره ، ونقله عنه المقرئ في كتابه « فضل آل البيت » : الرجس اسم يقع على الإثم وعلي العذاب وعلى النجاسات والنقائص ، فأذهب الله تعالى جميع ذلك عن أهل الكتاب ، ونصب لفظ أهل البيت علي المدح (٢) .

وقد أمرنا الله بمودة أهل البيت في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ (٣) .

قال القرطبي فيما يرويه من وجوه تفسير هذه الآية : أي لا أسألكم أجرا إلا أن تودوا قرابتي وأهل بيتي .

وقال : ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه قال : شكوت إلى النبي ﷺ حسد الناس لي ، فقال : « **أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا من إيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا ؟** »

واستدل أيضا بهذا الحديث الشريف : « **حرمت الجنة علي من ظلم أهل** »

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) فضل آل البيت ص ٢٩ للمقرئ - تحقيق محمد أحمد عاشور - دار الاعتصام .

(٣) الشورى : ٢٣ .

بيتي وأذاني في عترتي ، ومن اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجاز به عليها فأنا أجاز به عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة » (١) .

ووجوه التفسير الأخرى للآية لا تمنع مودة آل البيت ، فقد ورد في تفسير الآية الكريمة أقوال أخرى ، منها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ أوسط الناس في قريش ، فليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده ، فقال الله له : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (٢) . أي إلا أن تودوني في قرابتي منكم ، أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني ، فالقربى ها هنا قرابة الرحم ، كأنه قال : اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنسب .

فمودة الرسول ﷺ لقرابته لا تمنع مودة أهل بيته ، بل إن مودة أهل بيته دليل على محبته ومودته ، ومن إكرام الرجل أن تكرم أبناءه وذويه ، وإذا أراد أحد أن يتجنب إلى أحد تحببوا إليه عن طريق رحمه وأولاده . وهذا من طبائع النفوس التي تصدقها الوقائع والمشاهدات ، ولا تتأبى على مسائرتها العقول النافذة والبصائر الملهمة والقلوب الكبيرة .

وقد روى في فضل أهل البيت آثار كثيرة تدل على وجوب البر بهم والمحبة لهم . من ذلك ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهلي من بعدى » (٣) .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي ذر رضي الله عنه قال وهو آخذ بباب الكعبة : من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر : سمعت

(١) تفسير القرطبي ٨/ ٥٨٤٣ ط دار الشعب .

(٢) الشورى : ٢٣ .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٤٤ وقال رواه أبو يعلى . ورجاله ثقات .



رسول الله ﷺ يقول : « ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق »<sup>(١)</sup> .

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي »<sup>(٢)</sup> .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي عليهما السلام : أن رسول الله ﷺ قال : « الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا »<sup>(٣)</sup> .

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « يا بنى عبدالمطلب إني سألت الله لكم ثلاثا : أن يثبت قلوبكم ، وأن يعلم جاهلكم ، ويهدي ضالكم ، وسألكم أن يجعلكم جوداء نجباء رحماء فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار »<sup>(٤)</sup> .

وفى تفسير آية الشورى قال ابن كثير : قال السدي عن أبي الديلم قال : لما جئ بعلى بن الحسين أسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرنى الفتنة فقال على بن الحسين : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت آل حم . قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم . قال : ما قرأت : ﴿ قُلْ لَأَ

(١) المستدرك ج ٣ - ١٥٠ ، ١٥١ ، وأخرجه الحاكم ٣٤٣/٢ وصححه علي شرط مسلم، وذكره محمد عبده يمانى في كتابه « علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ »  
(٢) أخرجه الطبراني بإسناد رجاله ثقات برقم ٢٦٣٣ و ٢٦٢٥ وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم ١٠٣٥٤ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط برقم ٢٢٥١ وفي مجمع الزوائد ١٧٢/٩ .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٤/١١ وفي مجمع الزوائد ١٢/٩ وفي مجمع الجوامع للسيوطي برقم ١٢٣٥ بلفظ « بغض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق » .

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ ؟ قال : وإنكم أنتم هم ؟ قال : نعم .

وقد فطن الكميت بن زيد إلى هذه الإشارة التي فهمها من الآية الكريمة حيث قال :

وجدنا لكم في آل حاميم آيةً تأولها منا تقى ومُعرب  
وفي غيرها آيا وآيا تتابعت لكم نصَّب فيها لدى الشك مُنصبٌ<sup>(١)</sup>

روى الإمام أحمد في مسنده عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . قال : فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا وقال : «والذي نفسى بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله»<sup>(٢)</sup> .

وفى رواية : حتى يحبكم لله ولقرايتى .

وروى البخارى في كتاب فضائل الصحابة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته<sup>(٣)</sup> .

وكان يقول لعلى رضى الله عنه : والله لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتى .

وروى الترمذى : أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى<sup>(٤)</sup> .

وقال العدوى في كتابه مشارق الأنوار : وكفى أهل البيت شرفا أن

(١) هاشميات الكميت ص ١٨ ، والنصب بالفتح : العلم ، والمنصب : المتعب .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٠٧/١ .

(٣) باب مناقب قراءة رسول الله ﷺ ٢٦/٥ .

(٤) تحفة الأحوذى حديث رقم ٣٨٧٨ ج ١٠/٢٩٢ .

الصلاة المفروضة لا تقبل علي وجه الكمال إلا بانضمام الصلاة عليهم معه ﷺ ، ففي الحديث عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه كما أخرجه الدارقطني والبيهقي عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل**

قال : فأخذ الإمام الشافعي بظاهره وحكم بوجوبها على النبي ﷺ وسنّها على آله فيها ، ولذلك قال في هذا المعنى مشيراً إلى وصفهم ومنبها على ما خصهم الله تعالى به من رعاية فضلهم بقوله :

**يا أهل بيت رسول الله حاكم فرض من الله في القرآن أنزله كفاكمو من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له**  
قال : وأخرج الطبراني في الأوسط عن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « **ألزموا مودتنا أهل البيت فإن من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا** » (١) .

وقال المقرئ علي تعليقا على شرح قوله تعالى : ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** ﴾ (٢) . فإذا جاز أن يكرم الله تعالى عباده المؤمنين بالذين عملوا بطاعته ، ونهوا أنفسهم عن مخالفته بأن يدخل معهم الجنة من أهاليهم وذوي قراباتهم من كان مؤمنا وقصر في عبادة ربه وخالف بعض ما نهى عنه بطريق التبعية لهم لا أنهم قد استحقوا تلك المنازل بما أسلفوا من الطاعات في أيام الحياة الدنيا ، فرسول الله ﷺ

(١) مشارق الأنوار للعدوي ص ١٤٨ وأخرجه الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي وهو في مجمع الزوائد ١٢/٩ وعند الطبراني برقم ٢٢٥١ .  
(٢) الرعد ٢٣ .

سيد المرسلين وإمام المتقين تولى بهذه الكرامة أن يدخل الله تعالى عصاة ذريته الجنة تبعاً له ويرضى عنهم أخصامهم <sup>(١)</sup> .

وقال تعليقا على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ <sup>(٢)</sup> فإذا صح أن الله سبحانه قد حفظ غلامين لصلاح أبيهما فيكون قد حفظ الأعقاب برعاية الأسلاف وإن طالَّت الأحقاب ، ومن ذلك ما جاء في الأثر أن حمام الحرم من حمامتين عششتا على فم الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ ، وإذا كان كذلك فمحمد ﷺ أخرى وأولى وأحق وأجدر أن يحفظ الله تعالى ذريته فإنه إمام الصالحاء ، وما أصلح الله فساد خلقه إلا به ، ومن جملة حفظ الله تعالى لأولاده وأولاد فاطمة - عليها السلام - أن لا يدخلهم النار يوم القيامة ، وقد خرج أبو داود الطيالسي : حدثنا عمرو بن ثابت ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا تنفع ، والذي نفسى بيده إن رحمى لموصولة في الدنيا والآخرة وإنى فرطكم على الخوض ، أيها الناس ، ألا وسيجئ قوم يوم القيامة فيقول القائل منهم : يا رسول الله أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب فقد عرفته ، ولكنكم ارتددتم بعدي ورجعتم القهقري » <sup>(٣)</sup> .

والشاهد فى موضوعنا صدر الحديث الذي يشير إلى فضل رحم النبي ﷺ . أما عجز الحديث فقد حمله العلماء على أهل الردة .

وقال المقرئ في تعليقه على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) كتاب فضل آل البيت للمقرئ ٦٧

(٢) الكهف : ٨٢ .

(٣) فضل آل البيت للمقرئ ص ٦٢ .



وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾ .

فلإذا أكرم الله تعالى المؤمن لإيمانه فجعل ذريته الذين لم يستحقوا درجته معه في الجنة لتقصيرهم ، فالمصطفى ﷺ أكرم على ربه تبارك وتعالى من أن يهين ذريته بإدخالهم النار في الآخرة ، بل من كمال شرفه ﷺ ورفيع قدره وعظيم منزلته عند الله عز وجل أن يقر الله سبحانه وتعالى عينه بالعفو عن جرائم ذريته والتجاوز عن معاصيهم ومغفرة ذنوبهم وأن يدخلهم الجنة من غير عذاب جهنم (٢) .

ويؤيد ذلك ما رواه المقرئ عن الطبري في كتابه « ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى » من حديث عمران بن الحصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتي فأعطانا ذلك » . قال محقق الكتاب الشيخ محمد أحمد عاشور ورد في مجمع الزوائد حديث يقاربه ونصه عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضى الله عنها : « إن الله غير معذبك ولا ولدك » رواه الطبراني ورواته ثقات .

وقد ورد أن النبي ﷺ قد علل اسم فاطمة رضى الله عنها بأن الله قد فطمها وذريتها من النار يوم القيامة . أخرجه الحافظ الدمشقي .

وقد تعارف العلماء الأجلاء وأفاضل الأمة المتقدمين والمتأخرين على تكريم أهل البيت ومعرفة حقهم .

قال الشيخ موسى محمد على - رحمه الله - في كتابه « عقيلة الطهر والكرم السيدة زينب » : والإيثار لحب أهل بيت النبوة استجابة لله ولرسوله ، والأدب معهم إنما يتحقق بحفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين ، فلا يغتاب أحد منهم ولا يتقص قدره ، فالغيبة حرام بالإجماع لاسيما في



حق أهل البيت والأولياء ، لأن لحومهم سموم قاتلة كلحوم العلماء والأنبياء . . . وقد قال النبي ﷺ . فيما أخرجه الطبراني في الكبير ، وأبو الشيخ ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي مرفوعا : « لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وأهلي أحب إليه من أهله وذاتي أحب إليه من ذاته » (١) .

وجاء في كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » للقاضي عياض : عن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر رضى الله عنه وجعل الحسن على عاتقه وهو يقول :

**بأبى شبيهه بالنبي ليس شبيهها بعلى**

وعلى رضى الله عنه يضحك (٢) .

وروى العدوى في مشارق الأنوار عن أنس قال : « بينما النبي ﷺ في المسجد إذ أقبل على فسلم ، ثم وقف فنظر النبي ﷺ في وجوه أصحابه أيهم يفسح له ، وكان أبو بكر رضى الله عنه عن يمين النبي ﷺ فتزحزح له عن مجلسه ، وقال : ههنا يا أبا الحسن ، فجلس بين النبي ﷺ وبين أبى بكر ، فعرف البشر في وجه رسول الله . وقال : **يا أبا بكر إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل** » (٣) .

ويروى الثقات أن عمر بن الخطاب تزوج من أم كلثوم ابنة على كرم الله وجهه - وأمها فاطمة الزهراء رضى الله عنها - طمعا في أن يصل نسبه بنسب رسول الله ﷺ . جاء في كتاب الإصابة لابن حجر : أن عمر خطب أم كلثوم إلى على ، فقال : إنما حبست بناتى على بنى جعفر ،

(١) ص ٩ ، ١٠ .

(٢) الشفاء ٣٩ / ٢ ط الحلبي .

(٣) مشارق الأنوار ص ١٤٧ .

فقال : زوجنيها فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من كرامتها ما أرصد ، قال : قد فعلت ، فجاء عمر إلى المهاجرين فقال : رفتوني فرفتوه ، فقالوا : بمن تزوجت ؟ قال : بنت على ، إن النبى ﷺ قال : **« كل نسب وسبب سيقطع يوم القيامة إلا نسبى وسببى »** وكنت قد صاهرت فأحببت هذا أيضا (١) .

وجاء فى الشفاء : روى عن عبد الله بن حسن بن حسين قال : أتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة ، فقال لى : إذا كان لك حاجة فأرسل إلى أو اكتب فلانى أستحى من الله أن يراك على بابى (٢) .

قال المقرئ فى كتابه « فضل آل البيت » روى أبو الفرج الأصبهاني من طريق عبيد الله بن عمر القواريرى ، حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القرشي ، قال : دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن له وفرة ، فرفع مجلسه ، وأقبل عليه وقضى حوائجه ، ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه ، وقال : اذكرها عندك للشفاعة ، فلما خرج لاه قومه وقالوا : فعلت هذا بغلام حدث ؟ فقال : إن الثقة حدثنى حتى كأنى أسمعه من فى رسول الله ﷺ : **« إنما فاطمة بضعة منى يسرنى ما يسرها »** وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها . قالوا : فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت ؟ قال : إنه ليس أحد من بنى هاشم إلا وله شفاعة ، فرجوت أن أكون فى شفاعة هذا (٣) .

وفيما يقصه صاحب الشفا عن الشعبي قال : صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ، ثم قربت له بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ،

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٩٤ / ٨ ، والمقصود من رفتوني أي هنتوني .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣٩ / ٢ .

(٣) فضل آل البيت ص ٥٢ .

فقال زيد : خل عنه يا بن عم رسول الله . فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، فقبل زيد يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (١) .

بل كان أكابر الصحابة رضوان الله عليهم يكرمون موالى النبي ﷺ لحب النبي إياهم . . فحين فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسماء بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة ، قال عبد الله لأبيه : لم فضلت؟ فوالله ما سبقني إلى مشهد ، فقال عمر : لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك ، وأسماء أحب إليه منك ، فأثرت حب رسول الله ﷺ على حبي (٢) .

قال القاضي عياض : وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي ﷺ ويقولان : كان رسول الله ﷺ يزورها .

وعلى هذا المنهج سار التابعون ، قال الأوزاعي : دخلت بنت أسماء بن زيد صاحب رسول الله ﷺ على عمر بن عبد العزيز ، ومعها مولى لها يمسك بيدها ، فقام لها عمر ومشى إليها ، حتى جعل يديها بين يديه ، وما ترك لها حاجة إلا قضاها (٣) .

بل كانوا يتنازلون عن حقوقهم مراعاة لجانب النبي ﷺ فقد روى أن مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال ، وحمل مغشيا عليه ، دخل عليه الناس ، فأفاق فقال : أشهدكم أنني جعلت ضاربي في حل ، فسئل بعد ذلك ، فقال : خفت أن أموت فألقى النبي ﷺ فاستحى منه أن يدخل بعض آله النار بسببي ، وقيل : إن المنصور

(١) الشفا ٣٩/٢ .

(٢) الشفاء ٣٩/٢ .

(٣) المرجع السابق ٣٩/٢

أقاده من جعفر فقال : أعوذ بالله ، والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله ﷺ (١) .

وكان جعفر بن سليمان وهو ابن عم الخليفة أبي جعفر المنصور من سلالة العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قد ضرب الإمام مالك بن أنس لفتوى أصدرها لم تعجب جعفر بن سليمان وكان أمير المدينة في ذلك الوقت ، وقد توفي جعفر بن سليمان سنة ١٧٨ هـ .



(١) انظر المشاء (١)

(٢) انظر المشاء (٢)

(٣) انظر المشاء (٣)



## اخلاقهم وسلوكهم

وكانت أخلاق آل بيت النبي ﷺ قمة في الطهر والنقاء ولا غرو فقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

كانوا خيرة الأخيار من الخلق وأعلاها قدرا عند الحق ، ذرية بعضها من بعض ، لم يجتمع في نسل أحد من العالمين من يقارب آل البيت وذريتهم عند الله ورسوله والمؤمنين مقاما ، أو يدانيهم أخلاقا وأحلاما «فهم الأصدقون قولاً ، المهديون سبيلاً ، أقطاب الجلالة وشموس النبوة والرسالة ، برأ الله أرواحهم صلة متصلة بالملكوت الأعلى ، ووقاها شح الحياة الدنيا وأدرانها ، وجعل حياتهم أداء للأمانة ، وخلفة لمن أراد الحق ، وقدوة لمن أحب الله ورسوله ، فكانوا أقباسا من نور جدهم ﷺ اصطفاهم بالشهادة ، وخصهم بالسبق في مواقف الناس والاختيار بين الدنيا ومادتها وزهرتها وما عند الرفيق الأعلى ، فكانوا حقا المصطفين الأخيار ، الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» (١) .

وسيرتهم الزكية خير شاهد علي ذلك ، وقد وصف الجاحظ بني هاشم فيما يرويه عنه الحصري في كتابه زهر الآداب (٢) بقوله : « هاشم ملح الأرض وزينة الدنيا ، والسنام الأضخم والكاهل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم ، وثهلان ذو الهضاب في الحلم ، والسيف الحسام في العزم ، مع الأناة والحزم ، والصفح بعد المقدرة ، وهم الأنف المقدم والسنام الأكرم ، وكالماء الذي لا ينجسه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب الذي لا يعرف بالنقصان ، وكالنجم

(١) آل بيت النبي في مصر للأستاذ أحمد أبو كف - المقدمة .

(٢) ٩٦/١ .



للحيران والبارد للظمآن ، ومنهم الثقلان والأطبيان والسبطان وأسد الله وذو الجناحين وذو قرنيها وسيد الوادى وساقى الحجيج وحليم البطحاء والبحر والحبر ، والأنصار أنصارهم ، والمهاجرين من هاجر إليهم أو معهم ، والصديق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحوارى حواريهم ، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا لهم أو فيهم أو معهم أو يضاف إليهم ، وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين وإمام الأولين وآخرين ، ونجيب المرسلين وخاتم النبيين ، الذى لم يتم لنبى نبوة إلا بعد التصديق به والبشارة بمجيئه ، الذى عم برسالته ما بين الخافقين وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون » (١) .

وهذه نماذج من سلوكهم الطيب تشهد بصدق ما قيل فيهم .

وقع بين الحسن بن على وأخيه محمد بن الحنفية لقاء ، ومشى الناس بينهما بالنمائ ، فكتب إليه محمد بن الحنفية يقول له : أما بعد ، فإن أبى وأباك على بن أبى طالب لا تفضلنى فيه ولا أفضلك ، وأمى امرأة من بنى حنيفة وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فلو ملئت الأرض بمثل أمى لكانت أمك خيرا منها ، فإذا قرأت كتابى هذا فاقدّم حتى تترضانى فإنك أحق بالفضل منى (٢) .

واسمع لهذا القول الذى يدل على أريحية بالغة . كان جعفر بن محمد المعروف بجعفر الصادق يقول : إِنِّى لَأُملِّقُ أَحْيَانَا فَأَتَاجِرُ اللهَ بِالصَّدَقَةِ فَيَرْبِحُنِى . إنه قول يلتقى مع تجربة عملية تصدق الحديث الشريف : « خير الصدقة أن تصدق وأنت فقير شحيح تخشى الفقر وتأمل

(١) زهر الآداب ١/ ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٥ .

« الغنى » وفى ذلك معنى الإيثار الذى يركى الله أصحابه بقوله تعالى :  
﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) .

وكان جعفر الصادق يقول : ما توصل إلى أحد بوسيلة هى أقرب إلى من يد سبقت منى إليه أتبعها أختها لتحسن ربها وحفظها .

ومعنى الرب هنا الإصلاح والتربية ، وتعليل صدق عبارته أن منع الأواخر يقطع لسان الأوائل .

وكان يكثر من هذا الدعاء : اللهم إنك بما أنت أهل له من العفو أولى بما أنا أهل له من العقوبة (٢) .

أما شجاعته الأدبية فكانت مضرب الأمثال : كتب إليه المنصور قائلاً : لم لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ فأجابه الصادق : ليس لنا ما نخافك من أجله ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت فى نعمة فنهنيك ، ولا نراها نقمة فنعزيك .

فكتب إليه المنصور : تصحبنا لتنصحننا . فأجابه : من أراد الدنيا لا ينصحبك ، ومن أراد الآخرة لا ينصحبك (٣) .

ولقد كان تعليق المنصور على هذا الرد : والله لقد ميز عندى من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وأنه ممن يريد الآخرة ولا يريد الدنيا (٤) .

ومما يدل على عفوههم وتواضعهم ما يرويه الحصري .

هجا أبو عاصم الأسلمي الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فقال فى هجائه :

(٢) المرجع السابق ١٢٤ .

(١) الحشر : ٩ .

(٣) الكشكول للعالمى ١/ ١٢٩ .

(٤) دائرة معارف الشعب ٢/ ٤٨١ .

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل  
وقد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسول

والذى يتأمل هذا القول يرى أنه يرميه بالغرور وعدم التأدب بأدب  
جده ﷺ . وهو هجاء عند من يعرف مرامي الكلام وأثرها في النفوس .

فلما ولى الحسن المدينة أتاه هذا الشاعر متنكرا في زى الأعراب فقال :

ستأتى مدحتى الحسن بن زيد وتشهد لى بصفتين القبور  
قبور لم تزل مذ غاب عنها أبو حسن تعادىها الدهور  
قبور لو بأحمد أو علي يلوذ مجيرها حمى المجير

فقال : من أنت ؟ قال : أنا الأسلمى ، فقال : ادن حياك الله ،  
وبسط له رداءه وأجلسه عليه وأمر له بعشرة آلاف درهم (١) .

إنه لم يقابل السيئة بالسيئة ولكنه عفا وأصلح ، واقتدى فى كثرة  
عطائه بجده الحسن رضى الله عنه ، فقد أعطى شاعرا مالا كثيرا فقبل له :  
أتعطى شاعرا يقص الرجس ويقول البهتان ؟ فقال : إن خير ما بذلت من  
مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير إتقاء الشر ، وقد روى  
مثل ذلك عن الحسين رضى الله عنه .

وقيل إن شاعرا مدح الحسن فأجزل ثوابه ، فليم فى ذلك ، فقال :  
أترانى خفت أن يقول : لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ولا  
ابن على بن أبى طالب ؟ ولكنى خفت أن يقول : لست كرسول الله ﷺ  
ولا كعلى رضى الله عنه فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلدا فى الكتب ،  
محفوظا على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر : أنت والله يا بن رسول الله  
أعرف بالمدح والذم منى (٢) .

(١) زهر الأداب ١/ ١٢ ، وأبو عاصم الأسلمى هو محمد بن حمزة الأسلمى المدني .

(٢) زهر الآب ١/ ١٢٥ .

جاء في أسد الغابة عن محمد بن القاسم بن خلاد قال : حدثنا الأصمعي عن العمري وغيره أن عبد الله بن جعفر أسلف الزبير بن العوام ألف ألف درهم ، فلما قتل الزبير قال ابنه عبد الله لعبد الله بن جعفر : إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف ألف درهم ، فقال : هو صادق فاقبضها إذا شئت ، ثم لقيه فقال : يا أبا جعفر وهمت ، المال لك عليه . قال : فهو له ، قال : لا أريد ذلك ، قال : فاختر : إن شئت فهو له ، وإن كرهت ذلك فله فيه نظرة ما شئت ، وإن لم ترد ذلك فبعتني من ماله ما شئت . قال : أبيعك ولكن أقوم ، فقوم الأموال ثم أتاه فقال : أحب ألا يحضرني وإياك أحد ، قال : فانطلق فمضى معه فأعطاه خرابا وشيئا لا عمارة فيه وقومه عليه ، حتى إذا فرغ قال عبد الله لغلامه : ألق لي في هذا الموضع مصلى ، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى ، فصلى ركعتين وسجد فأطال السجود يدعو ، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه : احفر في موضع سجودي ، فحفر ، فإذا عين قد أنبطها ، فقال له ابن الزبير : أقلني ، قال : أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أقيلك ، فصار ما أخذ منه أعمر مما في يد ابن الزبير (١) .

لقد كان سلوكهم الطيب ينتزع الإعجاب من خصومهم قبل أنصارهم . حين توفي عبد الله بن جعفر سنة ثمانين ، كان أمير المدينة أبان بن عثمان بن عفان ، فحضر غسل عبد الله وكفنه ، وحمل السرير بين العمودين ، فما فارقته حتى وضعه بالبقيع وإن دموعه لتسيل على خديه وهو يقول : كنت والله خيرا لا شرفيك ، وكنت والله شريفا واصلاً برأ .

وأي سلوك أروع من سلوك الحسن بن علي رضي الله عنهما حين أطفأ الله به الفتنة ورأب الصدع وجمع الشمل ونزل عن الخلافة طائعا



مختارا معاوية بن أبي سفيان ، لأنه راها لا تساوي ملء محجمة دم من دماء المسمين التي تريقتها هذه السيوف المتصارعة ؟

قال ابن الأثير : حين ولى الحسن الخلافة بعد مقتل أبيه في الثلاث عشرة بقيت من رمضان من سنة أربعين ، بايعه أكثر من أربعين ألفا كانوا قد بايعوا أباه على الموت ، وكانوا أطوع للحسن وأحب له ، ثم سار معاوية إليه من الشام ، وسار هو إلى معاوية ، فلما تقاربا علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يقتل أكثر الأخرى ، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده ، وعلى ألا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز بشيء مما كان أيام أبيه وغير ذلك من القواعد ، فأجابه معاوية إلي ما طلب فظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ : « **إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين** » (١) .

وأي شرف أعظم من شرف من سماه رسول الله ﷺ سيدا ؟

ويقص علينا المسعودي في كتابه « مروج الذهب » (٢) كثيرا من القصص التي تدل على جلال سلوك أهل البيت وحسن تصرفهم في الأمور وكمال أخلاقهم التي جعلت الألسنة تلهج بذكرهم والثناء عليهم . فمن ذلك ما يرويه من أن عبيد الله بن العباس وكان جوادا كريما ، وقف عليه سائل فقال له : تصدق بما رزقك الله . فإني نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر إليه . فقال عبيد الله : وأين أنا من عبيد الله ؟

قال له : وأين أنت منه في الحسب أم في كثرة المال ؟ قال : فيهما جميعا .

(١) أسد الغابة ١٤/٢ .

(٢) ١٢٤/٢ .



قال السائل : إن الحسب فى الرجل مروءته وحسن فعله ، فإذا فعلت ذلك كنت حسييا . فأعطاه ألفى درهم واعتذر إليه .

فقال السائل : إن لم تكن أنت عبيد الله فأنت خير منه ، وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس . فأعطاه ألفا أيضا .

فقال : لئن كنت عبيد الله إنك لأسمع أهل دهرك وما إخال لك إلا من رهط فيهم محمد رسول الله ﷺ وأسألك بالله أنت هو ؟ قال : نعم .

قال : والله ما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحي ، وإلا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون إلا فى نبي أو عترة نبي .

إنها المرودة التي جبلت عليها النفوس ، والسخاء الذى طبع الله عليه قوما لا يبذلون استجلابا للمدح أو رغبة فى الشناء .

وهناك سلوك من وحي الأريحية التي تأنف الختل والمراوغة والمكر ، ولو كان ذلك واقعا بغير صاحبه ، هو سلوك تمليه المروءة والانتصار للحق والدفاع عن المظلوم ، ومثاله من سيرة أبى الشهداء الحسين بن على كما يقصه العقاد رحمه الله :

كانت زينب بنت إسحاق من أشهر فتيات زمانها بالجمال ، وكانت زوجة لعبد الله بن سلام القرشى والى العراق من قبل معاوية ، ومرض يزيد بن معاوية بحبها وأخفى سره عن أهله ، حتى استخرجه منه بعض خصيان القصر الذين يعينونه على شهواته ، فلما علم أبوه سر مرضه أرسل فى طلب عبد الله بن سلام ، واستدعى إليه أبا هريرة وأبا الدرداء ، فقال لهما : إن له ابنة يريد زواجها ولم يرض لها خليلا غير عبد الله بن سلام لدينه وفضله وشرفه ، وأبدى لهما رغبته فى تكريمه وتقريبه ، فخدع ابن سلام بما بلغه ، وفاتح معاوية فى خطبة ابنته ، فوكل معاوية الأمر إلى أبى هريرة ليلغها ويسمع جوابها ، فكان جوابها المتفق عليه بينها وبين أبيها

أنها لا تكره ما اختاروه ولكنها تخشى الضرر وتشفق أن يسوقها إلى ما يغضب الله . فطلق ابن سلام زوجته ، واستنجز معاوية وعده ، فإذا هو يلويه به ، ويقول بلسان ابنته : إنها توجس من رجل يطلق زوجته وهي ابنة عمه وأجمل نساء عصره .

وقيل : إن الحسين سمع بهذه المكيدة فسأل أبا هريرة أن يذكره عند زينب خاطبا وذلك حين أرسله معاوية ليخطب زينب لابنه يزيد - فصعد أبو هريرة بأمره ، وقال لزينب : إنك لا تعدمين طالبا خيرا من عبد الله بن سلام . قالت : من ؟ قال : يزيد بن معاوية والحسين بن علي ، وهما معروفان لديك بأحسن ما تبتغيه في الرجال .

واستشارته زينب في اختيار أيهما ، فقال : لا أختار فم أحد على فم قبله رسول الله ﷺ تضعين شفتيك في موضع شفثيه .

فقالت : لا أختار على الحسين أحدا ، وهو ريحانة النبي وسيد شباب أهل الجنة .

فقال معاوية متغيظا - حين بلغه ذلك - :

**أنعمى أم خالد رب ساع لقاعد**

ولم يلبث الحسين أن ردها لزوجها قائلا : ما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي رغبة في مالها ولا جمالها ولكن أردت إحلالها لبعليها <sup>(١)</sup> .

وربما كان ذلك التصرف من الحسين رضى الله عنه سببا من أسباب ضراوة الحقد الذي أدي إلى مصرع الحسين بعد ذلك .

وفي سيرة أهل البيت - رضوان الله عليهم - أمثلة لا تحصى للنبل

(١) الحسين أبو الشهداء للعقاد ص ٣٢ ط دار الهلال وهذا الخبر بتفاصيله في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ١/١٩٦ هامش المستطرف من كل فن مستظرف .

والشجاعة والتواضع والتقوى والزهد ، وغير ذلك من الفضائل التي رفعت من أقدارهم بين الناس وأوسعت لهم أمكنة في الصدور لا يطمح إليها طامح ، ولا يتسنى لغيرهم أن يصل إليها .

يحدث الرواة أن هشام بن عبد الملك أيام أن كان أميراً حجاً ، واجتهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر ، فنصب له منبر فجلس عليه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين الملقب بزين العابدين في إزار ورداء ، وطاف بالبيت وأتى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبة وإجلالا ، فغاض ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من الذي أكرمه الناس هذا الإكرام وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظم في صدور أهل الشام . فقال الفرزدق - وكان حاضرا - :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رآته قریش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا

في أبيات كثيرة (١) .

ولم ينل هذه المنزلة إلا بسلوك طيب وخلق كريم ودين وتقوى ، فقد روى ابن سعد في طبقاته قال : حدثنا عبد الله بن داود عن شيخ يقال له مستقيم .

قال : كنا عند على بن الحسين ، فكان يأتيه السائل فيقوم حتى يناوله ، ويقول : إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل . قال : وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فقليل له : ما لك ؟ فقال : ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجى ؟

(١) زهر الأداب ١/١٠٢ ومهذب الأغاني - محمض الخضري ١٤٩/٥ .

وقال : لما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة في السر (١) .

ويحدث عنه الرواة أن النار اشتعلت في بيته وهو ساجد في صلاته وأطفالها الناس ، ولم يشعر باشتعالها وانطفائها ، وحين أخبر عن ذلك بعد انتهاء صلاته قال : قد ألهمتني عنها النار الكبرى .

ويحدث عنه المبرد في كتابه الكامل أنه كان إذا سافر كتم نسبه ، حتى لا يكون في إظهار نسبه سببا في مجاملة الناس له أو إكرامه في بيع أو شراء . . وأخبره في ذلك وأخبار أسرته معروفة متواترة لا يعز على من يطلبها أن يجدها في مظانها .

### اجتهادهم في العبادة

وعلى الرغم من قرب أهل البيت من النبي ﷺ وتطهير الله إياهم من الرجس ، فإنهم لم يتكلموا على ذلك ، ولكنهم كانوا يضاعفون العبادة اقتضاء لحق الشكر ، وانصياعا لأمر الله الذي قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وأمر بالإخلاص في العبادة : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٣) .

وفي سيرتهم الزكية أمثلة سخية تشهد بمدى ما وصلوا إليه من إخلاص في العبادة واستهانة بالتعب في أدائها ، ولم يعمدوا إلى الرخص التي يمكن أن يركن إليها الإنسان وله مندوحة في ذلك كالسفر والمرض وإمامهم في ذلك جدهم ﷺ الذي كان يقوم حتى ترم قدماءه ، وحين سئل في ذلك قال : ألا أكون عبدا شكورا ؟

(١) الطبقات الكبرى ج ٥ قسم ١ ص ١٦٠ .

(٢) البينة ٥ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .



وكان على رضى الله عنه قمة في العبادة ، وأضاف إليها زهده الجميل ، عن محمد بن كعب القرظي قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : لقد رأيتنى وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع ، وإن صدقتى لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار .

وروى أحمد عن وكيع فى سند متصل : رأيت على على - عليه السلام - إزارا غليظا ، قال : اشتريته بخمسة دراهم <sup>(١)</sup> .

ونشأ على الاجتهاد فى العبادة أبناؤه وأحفاده وذريته ، حتى أصبح ذلك طبيعة غير متكلفة فيهم ، وقد رأينا كيف كانت حالة على بن الحسين عند عزمه على الصلاة .

وحين ألقى المنصور القبض على عبد الله بن الحسن ومن معه من أهل بيته ، وأودعهم سردابا تحت الأرض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل ، كانوا يتوضأون فى أماكنهم ، وأشكل عليهم أوقات الصلاة ، فجزءوا القرآن خمسة أجزاء ، فكانوا يصلون على فراغ كل واحد منهم من حظه <sup>(٢)</sup> .

فانظر كيف لم تشغلهم شدتهم وضرهم وما هم فيه من بلاء عن عبادة ربهم وتحرق أوقات الصلاة وملازمة الذكر والمواظبة على قراءة القرآن . وأولى ثمرات الإخلاص التقوى - كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة فى ترجمة الإمام زيد بن على <sup>(٣)</sup> » وكان نور التقوى يبدو فى وجهه وعلى لسانه وفى أفعاله ، وقد قال فيه بعض معاصريه : كنت إذا رأيت زيد بن على رأيت أسارير النور فى وجهه ، وكان ملازما لقراءة القرآن أو مذاكرة

(١) أسد الغابة ج ٤ .

(٢) مروج الذهب ٢/ ٢٣٦ .

(٣) دائرة معارف الشعب ٢/ ٢٦٠ .

القرآن ، وقد قال بعض الذين طلبوا لقاءه : قدمت المدينة فجعلت أسأل عن زيد بن علي ، ف قيل لى : ذاك حليف القرآن . ولقد وصف نفسه بقوله : إن زيد بن علي لم يهتك الله محرما منذ عرف يمينه من شماله .  
ويقول الإمام مالك عن جعفر الصادق : كنت آتى جعفر الصادق وكان كثير التبسم ، فإذا ذكر عنده النبى ﷺ اخضر واصفر ، ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال : إما مصليا وإما صائما وإنما يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدث قط عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان من العلماء الزهاد الذين يخشون الله ، وما رأيته إلا يخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتى (١) .



(١) الزهد، ص ١٢٢

(٢) الزهد، ص ١٢٢

(٣) الزهد، ص ١٢٢

## أهل البيت والخلافة

تمثل الخلافة نقطة تحول فى علاقة بعض المسلمين بأهل البيت رضوان الله عليهم . فقد وقف بعضهم موقف المتحمس لهم ولأحقيتهم بالخلافة على طول الخط ، ووقف بعضهم موقف المناوئ لهم ، ووقف بعضهم موقف المحايد أو المتردد .

والذي يطمئن له القلب أن الإمام عليا - كرم الله وجهه - لم يطلب الخلافة لنفسه عقب انتقال الرسول ﷺ ولم يطعن فى الخلفاء الذين اختارهم المسلمون بعده ، بل كان جنديا أميناً ، ومستشاراً ناصحاً ووزيراً مخلصاً لكل من أبى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم .

وأوفق القول للمنطق فى هذا الشأن هو ما قرره الدكتور طه حسين فى كتابه « الشيخان » حين قال : من المسائل التى خلط فيها الرواة تخطيطاً عظيماً ، وليس بد من أن نتبين وجه الحق فيها بيعة على لأبى بكر فالرواة يختلفون فيما بينهم ، فيزعم بعضهم أن علياً كان جالساً فى داره وعليه قميص ليس معه إزار ولا رداء ، فجاءه من أنبأه بأن أبا بكر قد جلس للبيعة وأن الناس يبايعونه ، فأسرع على إلى المسجد وأعجله السرعة عن أن يتخذ إزاره ورداءه ، ومضى حتى بايع أبا بكر ، ثم جلس وأرسل من جاءه بثوبه فجلبه ، ووضح ما فى هذا من السرف .

وآخرون يزعمون أن علياً أبطأ عن البيعة وأبطأ معه الزبير بن العوام فأرسل عمر من جاء بهما ثم قال لهما : والله لتبايعان طائعين أو لتبايعان كارهين ، ووضح ما فى هذا من الكذب ، فما كان أبو بكر ليخلى بين عمر وبين العنف بعلى إثر وفاة رسول الله ﷺ وزوجه فاطمة رضى الله عنها ما زالت حيه ، وإنما هذا الخبر تكلف أريد به إلى إظهار أن علياً لو ترك شأنه ما بايع أبا بكر .

وكثير من الرواة يزعمون أن علياً لم يبايع أبا بكر إلا متأخراً ، وأن

بنى هاشم صنعوا صنيعة فامتنعوا على أبى بكر وخالقوا جماعة المسلمين ، وظلوا على هذا الخلاف ستة أشهر ، حتى إذا توفيت فاطمة رحمها الله بايعوا . وواضح ما فى هذا من الكذب أيضا ، فما كان على وبنو هاشم ليفارقوا جماعة المسلمين ، وليتلبثوا حتى تموت فاطمة ، ثم يكون إقبالهم على البيعة حين رأوا أن الناس قد انصرفوا عنهم بعد موت فاطمة ، وأيسر العلم بفضل على رحمه الله ونصحه للمسلمين وحسن بلائه فى الإسلام أيام النبى ﷺ يمنع قبول هذه الرواية (١) .

ثم يقول الدكتور طه حسين : « وما لا شك فيه أن عليا كان أقرب إلى النبى ﷺ من أبى بكر وعمر ، فهو ابن عمه وزوج ابنته وأبو سبطيه ولكن عليا لم يفعل - أي لم يطعن فى خلافة أبى بكر - على رغم ما زعم بعض الرواة ، وما كان فى حاجة إلى أن يفعل ، فأبو بكر كان يعرف قرابة على حق المعرفة ، كما كان يعرفها غيره من المسلمين ، وإنما نظر الناس إلى سن أبى بكر وفضله وحسن مواساته للنبى ﷺ وللمسلمين واختصاص النبى له بمصاحبته فى هجرته ، ثم أمره أن يصلى بالناس حين ثقل عليه المرض ، فكان الناس يقولون : اختاره رسول الله ﷺ لدينا فلم لا نختاره لأمر ديانا ؟

والمهم أن أحدا لم يخالف على أبى بكر لا من بني هاشم ولا من غيرهم ، وكل ما يقال غير هذا إنما هو أمر تكلفه المتكلفون بآخرة حين افترق الناس شيعا وأحزابا » (٢) .

والتاريخ يحدثنا أن الإمام عليا - كرم الله وجهه - كان صادق الإخلاص فى نصحه للأئمة الذين سبقوه بالخلافة ، فليس من المعقول أن يبايعهم بلسانه ويلتوى عليهم بقلبه ، فهذا يتنافى مع طباع الفارس التى

(١) الشيخان ص ٣٤ ط وزارة التربية والتعليم .

(٢) الشيخان ص ٣٦ .



انطوت عليها نفس الإمام على ، وقد أثر عن عمر قوله في مواطن متعددة: لولا على لهلك عمر ، وما أشاعه البعض عن على بأنه إنما بايع لمن بايع تقيّة ، إنما هو تَجَنُّ على هذا الرجل الذي عرفت عنه الصراحة وصدق العهد وقد شهد النبي له بأنه يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله .

ويصف صاحب العقد الفريد حزن على رضى الله عنه الشديد على أبى بكر حين مات فيقول : لما قبض أبو بكر سُجِّي بثوب ، فارتحلت المدينة بالبكاء عليه ، ودهش القوم كيوم قبض رسول الله ﷺ وجاء على بن أبى طالب باكيا مسرعا مسترجعا ، حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله يا أبا بكر ، كنت والله أول القوم إسلاما ، وأخلصهم إيمانا ، وأشدّهم يقينا وأعظمهم غناء ، وأحفظهم على رسول الله ﷺ وأحربهم على الإسلام وأخانهم على أهله ، وأشبههم برسول الله ﷺ خلقا وفضلا وهديا وسمتا فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وعن المسلمين خيرا ، صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس . وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا، سماك الله في كتابه صديقا فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾<sup>(١)</sup> يريد محمدا ويريدك ، كنت والله للإسلام حصنا وعلى الكافرين عذابا ، لم تفل حجتك ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كنت كالجلبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك عظيما عند الله ، قليلا فى الأرض كثيرا عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا لأحد عندك هواة ، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنّا الله أجرك ولا أضلنّا بعدك »<sup>(٢)</sup> .

(١) الزمر : ٣٣ .

(٢) العقد الفريد ٧ / ٢ .

ويرثي عمر بن الخطاب بكلمة على قصرها تدل على رضا تام بخلافته وحزن شديد على موته . قال : ما خلفت أحدا أحب أن ألقى الله بمثل عمله منك إنى أكثر أن أسمع رسول الله ﷺ يقول : **ذهب أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، وإن كنت أظن لي جعلنك الله معهما** (١) .

والذى لا شك فيه أن الإمام عليا كرم الله وجهه لم يكن متهاфта على الخلافة وهذا لا يمنع أن يرى فى نفسه أنه جدير بها ، ولو كان متهاфта عليها لأبدى - على الأقل - رأيا بطلبها ، أو خالف لمن قلدها ، ولكنه كان سميعا مطيعا ، يشهد بذلك قوله فيما يرويه أسد الغابة : قبض النبي ﷺ وأنا أرى أنى أجدر بهذا الأمر ، فاجتمع المسلمون على أبى بكر فسمعت وأطعت ، ثم إن أبا بكر أصيب فظننت أنه لا يعد لها عنى فجعلها فى عمر فسمعت وأطعت ، ثم إن عمر أصيب فظننت أنه لا يعد لها عنى فجعلها فى ستة أنا أحدهم ، فولوها عثمان فسمعت وأطعت ، ثم إن عثمان قتل فبايعونى طائعين غير مكرهين (٢) .

ولو كان متهاфта على الخلافة لأسرع إليها حين طلبوه بعد عثمان رضى الله عنه ولكنه تلبث ليستوثق لنفسه وليعرف إجماع المسلمين عليه . روى سعيد بن المسيب قال : لما قتل عثمان جاء الناس كلهم إلى على يهرعون وأصحاب محمد وغيرهم كلهم يقول : أمير المؤمنين على ، حتى دخلوا عليه داره ، فقالوا : نبايعك فمد يدك فأنت أحق بها ، فقال على : ليس ذاك إليكم وإنما ذاك إلى أهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد إلا أتى عليا ، فقالوا : ما نرى أحدا أحق بها منك فمد يدك نبايعك . فقال : أين طلحة والزبير ؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه

(١) مسند أحمد ١/١١٢ ، البخاري مناقب عمر ١٤/٥

(٢) أسد الغابة ٤/١١٢ .

والزبير بيده ، فلما رأى على ذلك خرج إلى المسجد فصعد المنبر ، فكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة وتابعه الزبير وأصحاب النبي ﷺ ورضى عنهم أجمعين (١) .

ولقد كان على رضى الله عنه - متأدبا بأدب الرسول ﷺ فيما يأمره وينهاه ، ولم يكن النبي يرضى لبنى هاشم أن يتنافسوا فى الإمارة ، ومن قوله لعمه العباس : **لا تطلب الإمارة فإنك إن وليتها أعنت عليها وإن طلبتها لم تعن عليها** ، وروى ابن سعد فى طبقاته أن العباس قال : يا رسول الله ألا تؤمرنى على إمارة ؟ فقال : **نفس تنجىها خير من إمارة لا تحصيها** (٢) .

أما قول النبي ﷺ لعلى فيما يرويه ابن الأثير : **أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتى فإن أتاك هؤلاء القوم فسلموها إليك - يعنى الخلافة - فأقبل منهم وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك** (٣) . فهو تزكية لعلى من ناحية ووصاية وضعها على نصب عينه من ناحية أخرى .

فها نحن أولاء نرى أن الأمر الذى أثار فيما بعد جدلا طويلا وخلافا كثيرا ، لم يكن على رضى الله عنه يلقى إليه بالا ، لأنه أكبر من أن يشق عصا المسلمين وأعظم من أن يترك ثغرة ينفذ منها حاقدا أو حاسدا .

ولقد كان نعم المدافع عن سياسة عثمان رضى الله عنه والمنافح دونه عند منتقديه ، وأوقف أولاده مسلحين يردون عنه ثورة الثائرين .

وحين ولى الخلافة اضطر إلى قتال الخارجين عليه استجابة لأمر الشرع فى ذلك ، وقال فيما يرويه يحيى بن عروة المرادي - يايعونى طائعين غير

(١) أسد الغابة ٤/ ١١٣ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٤ قسم ١ ص ١٨ .

(٣) أسد الغابة ٤/ ١١٣ .

مكرهين ثم خلعوا بيعتى ، فوالله ما وجدت إلا السيف أو الكفر بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ (١) .

وانتهى الأمر إلى ما انتهى إليه ، واستشهد رضى الله عنه غدرا بيد خارجى مارق .

وقام بالأمر بعده ابنه الحسن - رضى الله عنه - فأثر ائتلاف المسلمين على الخلافة ، وسمى العام الذى تنازل فيه لمعاوية عام الجماعة ، واستحق بذلك لقب السيادة الذى لقبه به جده ﷺ حين قال عنه وهو طفل : **إن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين** .

ولم يطلب أحد من ذرية الإمام على الخلافة إلا مضطرا مكرها علي ذلك ، يلجئهم شيعتهم أو خصومهم إلى المطالبة ، وكثيرا ما يتخلى عنهم أشياعهم وقت الشدة .

حدث ذلك مع الحسين رضى الله عنه ، وقد استشهد فى كربلاء فى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وبقي معه بنوه وأهله خاصة ، وتفرق عنه شيعته وكانوا يعدون بالآلاف .

وحدث ذلك لحفيده زيد بن على ، وكان قد لجأ لهشام بن عبد الملك من المدينة شاكيا ، فحجبه هشام أياما ، ثم أذن له ، وأمر جلساءه أن يضيقوا عليه فى المجلس ، ثم خاشنه فى الكلام . . . وكان عامل المدينة خالد بن عبد الله القسرى قد وشى بزيد إلى هشام . فسأل هشام زيدا عن ذلك ، فقال زيد : أحلف لك . فقال هشام : وإذا حلفت أصدقك ؟ قال زيد : اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله ؟

فرد عليه زيد : يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا



يصغر دون تقوى الله . فقال هشام : اسكت لا أم لك ، أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة وأنت ابن أمة ؟

فقال زيد : إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبي بعثه ، وقد كان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة فاختره الله وأخرج منه خير البشر وما على أحد من ذلك إذا كان جده رسول الله ﷺ وأبوه على بن أبى طالب . فقال هشام : اخرج ، فقال : أخرج ثم لا أكون إلا حيث تكره (١) .

وكان زيد كثيرا ما ينشد :

شرده الخوف وأزرى به      كذاك من يكره حر الجلال  
منخرق الخفين يشكو الوجى      تنكبُّ أطراف مَرِّو حداد  
قد كان فى الموت له راحة      والموت حتم فى رقاب العباد (٢)

وهكذا كان خروج زيد الذى أدى بمصرعه . وهو فى ذلك ضحية خصومه وشيعته على السواء .

كان بوسع هشام أن ينصفه وأن يلاطفه وقد ذهب إليه شاكيا جور عامله . وكان بوسع شيعة ألا يرفضوه لأنه أبى أن يتبرأ من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقد امتدحهما وأثنى عليهما خيرا ، فانفض عنه هؤلاء الشيعة ونقضوا بيعته ورفضوه . مع أنه كان رضى الله عنه صاحب علم وعقل ورأى ، ومن قوله الذى أورده الحافظ : اطلب ما يعينك واترك ما لا يعينك فإن فى طلب ما يعينك دركا لما لا يعينك ، وإنما تقدم على ما قدّمت ولست تقدم على ما أخرت ، فآثر ما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا (٣) .

(١) الإمام زيد بن على للشيخ محمد أبو زهرة - دائرة معارف الشعب ٢/ ٣٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٢ .

(٢) البيان والتبيين ١/ ٢٤٨

ولقد كان حريصا على وحدة المسلمين وعدم وجود خلاف بينهم . قال الشيخ محمد أبو زهرة فى دائرة معارف الشعب عنه : قال زيد لأحد أصحابه : انظر إلى الثريا أما ترى أحد ينالها ؟ قال صاحبه : لا . قال : **والله** لوددت أن يدى معلقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فاتقطع قطعة قطعة وأن **الله** يجمع أمة محمد <sup>(١)</sup>

وهكذا تتوالى الأحداث ويصبح أهل البيت فى مهبطها ، حتى إذا آل الأمر إلى العباسيين لم يلق أبناء على من أبناء عمومتهم إلا جفوة وتجهما ، مما ألبأ بعضهم إلى الثورة على العباسيين ، كما حدث من خروج محمد بن عبد الله بن الحسن فى المدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة على أبى جعفر المنصور ، وكان خروجهما لأن أبا جعفر ضيق الخناق عليهما وطالب أباهما بتسليمهما إليه وألح فى ذلك إلحاحا شديدا حتى داخلهما الإحساس بالخوف من هذا الرجل الذى لم يصر إليه الأمر إلا بسبيهما . وإذا كانت النهاية الموت فليكن الموت فى عز خيرا من أن يكون فى ذل وتوفى أبوهما عبد **الله** فى سجن المنصور سنة ١٤٥هـ .

ووقف الناس من المآسى التى تعرض لها أهل البيت مواقف متعددة فقد أصبح لهم شيعة يناصرونهم ويتشيعون لهم ، وهناك خصوم يناوئونهم ويطرصدون لهم ، وكان هناك من ينظر إلى الأحداث على أنها فتنة فى تجنبها السلامة .

ولكن الحذر مع ذلك لم يستطيعوا أن ينكروا فضل على وأبنائه رضى **الله** عنهم ، وكذلك الخصوم أنفسهم لم يستطيعوا على الرغم مما أركبوا أنفسهم فيه من مركب صعب - إذا غلب العقل الهوى - أن ينكروا

(١) دائرة معارف الشعب ٢/ ٣٦٠ نقلا عن مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني

فضل أهل البيت . ولكن إذا غلب الهوى عميت البصيرة وبلغ الشر منتهاه  
وسلب كل ذى حق حقه .

حين قتل الحسين رضى الله عنه حمل رأسه الشريف إلى مجلس يزيد  
بن معاوية ، فتمثل بقول ابن الزبيرى فى يوم أحد حين قال :

**ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل**

وقال صاحب العقد الفريد : إنه استشهد بذلك حين بلغه ما فعله واليه  
على المدينة مسلم بن عقبة ، حين أمره يزيد بأن يقتل من ظهر إلى ثنية  
الوداع ، وأن يسيحها ثلاثة أيام <sup>(١)</sup> .

أفرايت شرا يبلغ بصاحبه كهذا ؟

وحين ظهر الحجاج على عبد الله بن الزبير بمكة ، وقد نصب المنجنيق  
حول الكعبة ورمأها به ، واستجاب لأمر عبد الملك بن مروان أن يلحد في  
الحرم . تمثل الحجاج حينذاك بقول عمرو بن كلثوم .

**ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا**

**لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبتش حين نبتش قادرينا** <sup>(٢)</sup>

فأى شر أبلغ من هذا الشر ؟

إن الخصوم على الرغم من خصومتهم لا يستطيعون أن ينكروا فضيلة  
أهل البيت إلا مكابرة وعنادا . وهذا قاتل الحسين رضى الله عنه يفرغ إلى  
ابن زياد وقد حمل رأس الحسين على رمحه وهو يقول :

**أوفر ركابى فضة وذها فقد قتلت السيد المحجبا**

**قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً** <sup>(٣)</sup>

(١) العقد الفريد ٣/ ٣١ .

(٢) البيتان للشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم تمثل بهما الحجاج في أثناء محاربته لعبدالله  
بن الزبير فى الكعبة .

(٣) أسد الغابة ٢/ ٢٢

وإذا كان هذا رأى الخصوم فى أهل البيت فلم قاتلوهم إذن؟

إنه السلطان الذى يهون فى طريقه كل شىء ، وإنه ملك الدنيا الذى يضحى عشاق الأعراض الزائلة فى سبيله بالقيم والمبادئ وأقرب المقربين إليهم .

ذكر المسعودى فى مروج الذهب أن المنصور هبث له عجة من مخ وسكر فاستطابها فقال : أراد إبراهيم أن يحرمنى هذا وأشباهه <sup>(١)</sup> يقصد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن حين خرج عليه بالبصرة .

وذكر المسعودى أيضا أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وإبراهيم : **والله** ما رأيت رجلا أنصح من الحجاج لبنى مروان ، فقام المسيب بن زهير الضبي فقال : ما سبقنا الحجاج بأمر تخلقنا عنه ، **والله** ما خلق **الله** على جديد الأرض خلقا أعز علينا من نبيينا ﷺ وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعنك وفعلنا ذلك ، فهل نصحنك أم لا ؟ فقال له المنصور: اجلس لا جلست <sup>(١)</sup> .

ولقد كان معاوية بن أبى سفيان يرضخ - بعد أن أطمأنت له الخلافة - لما يسمعه من ثناء على الإمام على رضى **الله** عنه حدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى قال : لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد بن أبى وقاص ، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه ، فزحف سعد ، ثم قال : أجلسنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على ، **والله** لأن يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب إلى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس ، **والله** لأن أكون صهر الرسول ﷺ وأن لى من الولد ما لعلى أحب إلى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس ، **والله** لأن يكون رسول **الله** ﷺ قال لى يوم خير : **لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله**



ويحب الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال له في غزوة تبوك : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس . وأيم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ثم نهض <sup>(١)</sup> .

وكان سعد بن أبي وقاص من الذين توقفوا ولزم بيته وأبى أن يستجيب لعلى أو لمعاوية ، وحين ألح عليه معاوية طالبا نصرته كتب إليه يقول فى أبيات :

معاوي داؤك الداء العياء	وليس لما تحيى به دواء
أبدعوني أبو حسن على	فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له أعطنى سيفاً بصيراً	تميز به العداوة والولاء
أنطمع فى الذى أعيا عليا	على ما قد طمحت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا	وميتا ، أنت للمرء الفداء <sup>(٢)</sup>

وروى المسعودى أن الأمر لما أفضى إلى معاوية أتاه أبو الطفيل الكنانى، فقال له معاوية : كيف وجدك على خليلك أبى الحسن ؟

قال : كوجد أم موسى على موسى ، وأشكو إلى الله التقصير .

فقال معاوية : أكنت فيمن حضر مقتل عثمان ؟

قال : لا ، ولكنى كنت فيمن حضر ولم ينصره .

قال : فما منعك من ذلك وكانت نصرته عليك واجبة ؟

(١) المرجع السابق ١٢ / ٢ .

(٢) أسد الغابة ٣٦٨ / ٢ .

قال : منعنى ما منعك إذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام .

قال : أو ما ترى طلبى لدمه نصرة له ؟

قال : بلى ، ولكنك وإياه كما قال الجعدى :

**لا ألفينك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادا (١) .**

وقد يكوت سكوت معاوية عن محاوره سياسة ، ومحاولة منه لاستئلال الأضغان ، وتوطين النفوس على النسيان ، ولكنه إلى جانب ذلك لم يكن يملك إلا الإذعان ، لأن الفضل أشهر من أن ينكر وأحق بأن يذكر .

وكانت تجرى مناقشات بين معاوية وبين أهل البيت أنفسهم ، كان يعتمد ذلك أحيانا فى محاولة يظهر بها أحقيته فى منازعته لهم الخلافة ولكن سهمه كان يرتد عليه فيها ، لأن لصاحب الحق مقالا كما تتحدث الحكمة المشهورة .

وهناك محاوره قصيرة دارت بين عقيل بن أبى طالب ومعاوية تدل على ذلك ، فقد وفد عقيل على معاوية فحياه ، فقال له معاوية : أنا خير لك من أخيك على ، فقال عقيل : صدقت إن أخى أثر دينه على دنياه ، وأنت أثرت دنياك على دينك فأنت خير لى من أخى وأخى خير لنفسه منك .

واجتمعت قریش الشام والحجاز عند معاوية يوما وفيهم ابن عباس وكان جريئا عليه حقارا له ، فبلغه عنه بعض ما غمه فقال له :

رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فحفظت الميث فى الحى والحق فى الميث ، استعملك على يابن عباس على البصرة ، واستعمل عبيد الله أخاك على اليمن ، واستعمل أخاك على المدينة ،

فلما كان من الأمر ما كان هنأتكم ما فى أيديكم ولم أكشفكم عما وعت غرائركم ، وقلت آخذ اليوم وأعطى غدا مثله ، وعلمت أن بدء اللوم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت بحلاقيكمم وقياتكم ما أكلتم ، لا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم خذلتكم عثمان بالمدينة وقتلتكم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتمونى بصفين ولعمرى لبنو تيم وعدى أعظم ذنوبا منا إليكم إذ صرفوا عنكم هذا الأمر وسنوا فيكم هذه السنة ، فحتى متى أغضى الجفون على القذى وأسحب الذبول على الأذى ، وأقول لعلى وعسى . ما تقول يا بن عباس ؟

فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك كانا صفيين متفاوضيين لم يكن لأبى من مال إلا ما فضل لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبى ، ولكن ما هنا أباك بإخاء أبى أكثر مما هنا أبى بإخاء أبيك . نصر أبى أباك فى الجاهلية وحقق دمه فى الإسلام ، وأما استعمال على إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجالا لهواك لا لنفسك ، منهم ابن الحضرمى على البصرة فقتل ، وبُسْر بن أرطاة على اليمن فخان ، وحبيب بن مرة على الحجاز فَرُدَّ ، والضحاك بن قيس على الكوفة فَحُصِبَ ، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذى يبلغك عنا بأعظم من الذى يبلغنا عنك . ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها ، وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها ، وسكت . ولم يستطع معاوية أن يعقب .

وفى هذه المحاوراة يقول ابن أبى لهب :

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس  
ما زال يهبطه طورا ويصعده حتى استقاء وما بالحق من باس  
لم يترك خطه مما يذلل إلا كواه بها في فروة الراس

ولقد ندم كثير ممن انقبض عن نصرة على رضى الله عنه في المحنة  
التي أودت بالخلافة الراشدة . ولهم عذرهم .

فأسامة بن زيد - مثلاً - كان قد أعطى الله عهداً ألا يقتل رجلاً يقول  
لا إله إلا الله ، إثر حادثة مشهورة جرت ، ذلك أنه كان في غزاة فقتل  
رجلاً قال لا إله إلا الله ، ظنا منه أنه قالها تعوذاً من القتل . فقال له  
النبي ﷺ : يا أسامة من لك بلا إله إلا الله ؟ وظل يكررها حتى قال أسامة :  
وددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن وأنى أسلمت يومئذ .

ولقد قال لعلى رضى الله عنه : لو أدخلت يدك في فم تين لأدخلت  
يدي معها ، ولكنك سمعت ما قال لى رسول الله ﷺ حين قتلت ذلك  
الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله (١) .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص في صفوف معاوية يوم صفين  
ويقص ابن الأثير قصة تبين مدى كراهيته أن كان في هذه الصفوف . قال :  
عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال : كنت في مسجد الرسول ﷺ في  
حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو ، فمر بنا حسين بن  
على ، فسلم ، فرد القوم السلام ، فسكت عبد الله حتى فرغوا رفع صوته  
وقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم أقبل على القوم فقال :  
ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء ؟ قالوا بلى . قال : هذا هو  
الماشى ، ما كلمنى كلمة منذ ليالى صفين ، ولأن يرضى عنى أحب إلى  
من أن يكون لى حمر النعم .



فقال أبو سعيد : ألا تعتذر إليه ؟ قال : بلى . قال : فتواعدا أن يغدوا إليه . قال : فغدوت معهما فاستأذن أبو سعيد فأذن له فدخل ، ثم استأذن لعبد الله فلم يزل به حتى أذن له ، فلما دخل قال أبو سعيد : يا بن رسول الله إنك لما مررت بنا أمس .. فأخبره بالذى كان من قول عبد الله بن عمرو .

فقال حسين : أعلمت يا عبد الله أنى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟

قال : إى ورب الكعبة . قال : فما حملك على أن قاتلتني وأبى يوم صفين ؟ فوالله لأبى كان خيرا منى .

قال : أجل ، ولكن عمرا شكانى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار . فقال لى رسول الله ﷺ : يا عبد الله ، صل ونم ، صم وأفطر وأطع عمرا . قال : فلما كان يوم صفين أقسم على فخرجت ، أما والله ما اخترت سيفا ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم . قال : فكانه (١) .

وذكر ابن الأثير عنه أنه كان يقول : ما لى ولصفين ، مالى ولقتال المسلمين لوددت أنى مت قبله بعشرين سنة (٢) .

لم يجعل على بن أبى طالب - رضى الله عنه - من عدم تقلده الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ قضية ، ولكنه كما سبقت الإشارة لم يهتم لهذا الأمر ، وكانت علاقته بالخلفاء وطيدة يتعاون معهم فى عبء الخلافة ويستشيرونه فيشير عليهم ، وعلى فرض أن يكون قد تطلع للخلافة فلا يعيبه ذلك طالما لم يفرض عليه هذا التطلع تصرفا يجافى ما طبع عليه من

فروسية ونبيل ، وما انطوت نفسه عليه من إيمان عميق وحب أكيد للإسلام ونصح للمسلمين وصيانة وحدتهم .

ولكن خلافة على أصبحت قضية بعد ذلك بمدة طويلة ، بعد أن لقي على ربه وفرغ من هذه الدنيا التى صبغت من جاء بعده بصبغة أخرى غير ما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين .

إن الذى يتناسب مع أخلاق على رضى الله عنه أن يكون هو الفدائى الذى يضع روحه على كفه فداء لهذا الدين الذى درج على احترامه وصيانيته والحفاظ عليه ، ولقد أعطاه الله من سعة الأفق وبعد النظر ما يجعل هذه الدنيا هينة بجانب رضوان الله .

لقد تحولت شخصية على - رضى الله عنه - إلى أسطورة أثارت كثيرا من الحوار والنقاش والجدل ، باعتباره مؤسس شجرة أهل البيت بعد النبى ﷺ ، وسار هذا الحوار فى طريقه يهدأ أحيانا ويعنف أحيانا ، يؤدى إلى غاية مأمونة حيناً ، وإلى شعاب وعرة حرجة أحيانا أخرى .



## أحداث أدت إلى الخلافات

اختلف المسلمون في موقفهم من أهل البيت اختلافات متعددة ، وإن كانوا جميعاً قد أجمعوا على فضلهم وحبهم ، ولم يستثن من ذلك إلا من كان في قلبه مرض من حقد أو حسد أو نفاق .

وكان للأحداث التي أحاطت بأهل البيت في القرن الأول وما يليه أثر في إثارة النقاش الذي أدى إلى اختلاف المواقف منهم .  
وهذه الأحداث يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

- تولى على - رضى الله عنه - الخلافة بعد عثمان - رضى الله عنه - ونقض بعضهم بيعته وانصرف البعض عن بيعته .
- الخوارج الذين شقوا عصا الطاعة وفرقوا كلمة إجماع أنصار على .
- مصرع الإمام الحسين وما أحاط به من عنف .
- تضيق الخناق على أهل البيت في عهد الأمويين ، مما أدى إلى خروج بعضهم على الحكم الأموى .
- قيام الدولة العباسية بجهود العلويين ، وتوجس العباسيين من أبناء عموماتهم والتنكيل بهم .

## خلافة علي

وقد تولى الإمام على الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه إثر مأساة عنيقة ، حاول الإمام على رضى الله عنه بكل ما أوتى من قوة وجهد أن يكفكف غربها حتى لا تصل إلى ما وصلت إليه دون جدوى .

فحين استفحلت الأمور وحوصر الإمام عثمان ، خرج على رضى الله عنه من منزله متقلدا سيفه وأمامه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر

فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس ففرقوهم ، ثم دخلوا على الخليفة ، فسلم عليه على ، وقال : لا أرى القوم إلا قاتليك فمرنا فلنقاتل . فقال عثمان رضى الله عنه : أنشد الله رجلا رأى الله حقا وأقر أن لى عليه حقا أن يهريق بسببى ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فى .

ورفض على أن يؤم المسلمين فى الصلاة والإمام محصور <sup>(١)</sup> لعل المحاصرين يتلاومون أو يثوبون إلى رشدهم فيدركون كيف عطلوا الجماعة فى الصلاة وفرقوا كلمة الأمة .

وترك ابنه مع أبناء جماعة من الصحابة فى حراسة دار الخليفة ، وعلى الرغم من ذلك فقد انتهك الثائرون حرمة الخلافة وتركوا الباب وتسوروا الجدار وقتلوا الخليفة .

ولم يستطع على رضى الله عنه أن يدفع هذا المصير ، وقد أخفق قبله فى حمل الخليفة على تلافى أسبابه .

وكان لامحيد حيثئذ عن تولية الإمام على الخلافة لأنه لم يكن يصلح لها غيره ، وقد حاول الهروب منها جهده ولكنهم ألخوا عليه حتى قبل .

وبدا خلافته بالعدل والإصلاح ودفع الظلم والسير بالناس على النهج الحسن الذى يعيد للمسلمين سيرتهم الأولى ، ولكن هذه السياسة - بكل أسف - هيجت أصحاب المطامع ولم ترض أهل الأهواء .

ولم يلبث أن رُفع قميص عثمان ، واستغل ذلك استغلالا مصلحيا وكانت موقعة الجمل ، ثم موقعة صفين ، ثم انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه من استشهاد بيد مارق من الخوارج .

### الخوارج

وكان ظهور الخوارج نقطة تحول عنيفة فى علاقة هؤلاء بأهل البيت

(١) عبقرية الإمام للعقاد ٤٩ ط اقرأ .



كانوا أصحاب رأى مشتط لا فى على فقط ، بل فيمن تقدمه من الخلفاء ومن جاء بعده .

ويقول الشهرستاني <sup>(١)</sup> : وكل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والإئمة فى كل زمان .

وأول من خرج على أمير المؤمنين على رضى الله عنه جماعة ممن كانوا معه فى صفين ، وأشدهم خروجاً عليه ومروفاً من الدين الأشعث بن قيس الكندى ومسعر بن فذكى التميمى وزيد بن حصين الطائى ، حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف . حتى قال : أنا أعلم بما فى كتاب الله . . وقالوا له : لترجعن الأشر عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك مثلما فعلنا بعثمان . واضطر الأشر إلى الرجوع بعد أن هزم الجمع وولوا الدبر . وما بقى منهم إلا شردمة قليلة فيهم حشاشة قوة .

ولم يكتف الخوارج بذلك ، بل حملوا السيوف ضده بعد أن كانوا معه واجتمعوا بحروراء فى اثنى عشر ألفا ، وحكموا بكفر على وأصحابه وأصروا على معاملتهم معاملة الكفار ، وبدءوا عليا ومن معه بالقتال فاضطر على إلى قتالهم ، وهزمهم شر هزيمة فى الموقعة التى تسمى بالنهروان .

فانظر كيف كان موقف هؤلاء من على رأس أهل البيت .

كانوا معه أولا على معاوية ، ثم انشقوا عليه ، فرجحوا بذلك كفة معاوية عليه ، ولم يكتفوا بذلك بل حكموا بكفره ولم يحكموا بكفر معاوية ، وطالبوه بالتوبة ولم يطلبوها من معاوية ، وحاربوه هو ولم يحاربوا معاوية .

ومن العجيب أن هؤلاء الخوارج كانوا أهل صلاة وصيام ، ولكنهم متمزتون لا يحكمون العقل ، وصدق فيهم قول الرسول ﷺ : « يحقر أحدكم صلاته وصيامه بجانب صلاتهم وصيامهم ، ولكنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

وأى مروق من الدين أكثر من محاربة المؤمن والحكم عليه بالكفر . ومن قال لأخيه يا كافر فقد باء بهذه الكلمة أحدهما كما جاء فى الأثر الشريف ؟

وأى مروق من الدين أكبر من تكفير من شهد له النبى ﷺ بالأفضلية وقال له فى جمع غفير من الصحابة : **أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ؟**

واستفحل أمر الخوارج فيما بعد وعاثوا فى الأرض فسادا ، ونشأت منهم فرق متعددة حاربت الأئمة وطعنت فى حكم الخلفاء .

وكان جماع رأى هؤلاء على تعاقبهم الحكم بكفر على ، وتخطوا ذلك إلى لعنه لأنه قاتلهم ، وطعنوا فى عثمان كذلك ، وطعنوا فى أصحاب الجمل وأصحاب صفين ، ولم يلبثوا أن تحولوا إلى فرق كلامية لها أراؤها ومعتقداتها المتشددة التى تكفر سواد المسلمين ، و مازال يظهر لهم أعقاب إلى يومنا هذا .

### مغالاة بعض الشيعة

ولئن كانت طائفة الخوارج قد غالت فى خصومة الإمام على - رضى الله عنه - تلك الخصومة التى سوغت فيما بعد قتله على يد خارجى منهم هو عبد الرحمن بن ملجم . فإن هناك طائفة من أنصار على غالت فى نصرته إلى الحد الذى مرقّت بسببه من الدين .

لقد غالى بعض شيعة على فى حبه حتى رفضوا فى سبيل هذا الحب

كل من تقدمه من الخلفاء بحجة أنهم اغتالوا حق على في الخلافة في نظرهم .

وما كان على - كما رأينا - صاحب مأرب في الخلافة، ولم تكن الخلافة كذلك أمرا نصيًا ورد ذكره في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الصريحة . فقد ترك النبي ﷺ أمته يختارون من يرضونه ، وأحسنوا الاختيار فقد اختاروا من أمره النبي ﷺ بأن يصلى بالناس نيابة عنه في أثناء مرضه . فقالوا : من رضي النبي ﷺ للدين نرضيه للدنيا ، وهذا هو رأى الإمام على نفسه .

ولقد فطن الإمام على إلى سياسة النبي ﷺ التي تأبى إثارة العصبية بين المسلمين - والنبي صاحب الكلمة الخالدة « **المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم** » وصاحب الكلمة الخالدة « **اسمعوا وأطيعوا لمن ولى عليكم ولو كان عبدا حبشيا كان رأسه زبيبة** » وينفر من العصبية فيقول : « **من أطاعنى دخل الجنة ولو كان عبدا حبشيا ومن عصانى دخل النار ولو كان شربا قرشيا** » .

وجمع النبي ﷺ قومه فقال لهم : « **يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا** » وحين قطع المخزومية في حد السرقة قال : « **لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » لأنهم أرادوا أن يستشفعوا لها فى إسقاط الحد .

فالمسلمون جميعا سواء ، التفاضل بينهم بالعمل والجهاد والتقوى ، وكان الإمام على يفهم ذلك حق الفهم ، وكان أعظم من أن يشق عصا المسلمين ، بل كان يبذل قصارى جهده فى رأب صدعهم وجمع كلمتهم

ولقد رباه النبي ﷺ على ذلك ، فحين فتح النبي ﷺ مكة تقدم على إلى رسول الله ﷺ يسأله أن يمنحه حجابة البيت الحرام ، وكانت الحجابة وظيفة تتوارثها إحدى عائلات قريش وهم بنو عبد الدار ، ولم يكن على

حين تمنى ذلك يطمح إلي مغنم أو عرض من أعراض الدنيا الزائلة ، إنما كان يرجو أن يذهب بشرف حمل مفاتيح بيت الله الحرام . قال على : يا رسول الله ، اجعل لنا الحجابة مع السقاية - صلى الله عليك - ولكن النبي ﷺ قال : أين عثمان بن طلحة ؟ وجاء عثمان فقال له النبي ﷺ : **هاك مفتاحك يا عثمان . والتفت النبي ﷺ إلى على وقال : إنما أعطيكُم ما تُرزأون لا ما ترزأون .**

ويعلق الأستاذ خالد محمد خالد على هذه القصة قائلاً : يا له من درس ، ويا لها من نبوءة ! أجل هذا هو دور آل محمد في الحياة التضحية<sup>(١)</sup>.

وكانت الدعوة الإسلامية - كما يقول العقاد - « دعوة عالمية تشمل الأمم كافة من عرب إلى عجم ، ومن مشرق إلى مغرب ، وتقوم في أساسها على المساواة بين الناس ورد المفاضلة بينهم إلى الأعمال والأخلاق دون الأحساب والأعراق ، فليس من المعقول أن تسود العالم كله أسرة هاشمية ، ولا من المعقول أن يبنى الأساس على غير المساواة وأن يقام الحكم على هذا التفضيل ، وإن أحق الناس أن يفتن إلى هذه الحكمة هم أولئك الغلاة الذين زعموا أن وراثته الخلافة في بني هاشم حكم من أحكام الله وضرورة من ضرورات الدين ، فلو كانت حكماً من أحكام الله لكان أعجب شيء أن يموت النبي ﷺ وليس له عقب من الذكور ، وأن يختم القرآن وليس فيه نص صريح على خلافة أحد من أهل البيت ، ولو أنها كانت من ضرورات الدين أو ضرورات القضاء لفذت في الدنيا كما ينفذ القضاء المبرم ، وحبطت كل خلافة تنازعها كما تحبط كل بدعة تناقض السنن الكونية »<sup>(٢)</sup>.

(١) أبناء الرسول في كربلاء .

(٢) عبقرية الإمام ص ١٠٨ .



وهكذا كانت خلافة على وخوض الناس فيها وما أدت إليه من علاقاتهم بأهل البيت ، بين مؤيد لعلى فى رفق ، ومؤيد له فى مغالاة ، ومحارب له ، ومخاصم للأرب سياسى كمعاوية وشيعته وطلحة والزبير من قبله ، ومحارب له ومخاصم من موقع العناد واللجاج وهم الخوارج . ومعتزل لهذه الفتنة التى عصفت بالمسلمين فترة من الزمن وأسالت بينهم كثيرا من الدماء ، وفتحت أبواب الجدل والخصام والتنازع إلى أمد طويل .

### مصرع الحسين رضى الله عنه

ثم جاء مصرع الحسين بعد ذلك ليبدأ صفحة أخرى من صفحات التعاطف مع أهل البيت فقد كان لهذه المأساة الدامية التى حشد فيها الأمويون جيشا جرارا قوامه أربعة آلاف جندى فى مواجهة موكب الحسين وأهله الذين لا يزيد عددهم على اثنين وسبعين منهم الأطفال والنساء .

وانتهى الأمر بمصرعه على هذه الصورة الرهيبة التى لم ترع فيها أدنى درجات المروءة والإنسانية . فقد حال أعداؤه بينه وبين الماء أولا ، ثم أقبلوا على جسده يمزقونه ويمثلون به .

فقد كان أمر ابن زياد أمير الكوفة يومئذ لقائد جيشه المحدث بالحسين رضى الله عنه هو : من عبيد الله بن زياد أمير الكوفة إلى عمر بن سعد . أما بعد ، فإننى لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتكون له عندى شفيعا ، ادع الحسين إلى ما أمرتك به ، فإن نزل وأصحابه على الحكم مستسلمين فابعث بهم إلى ، وإن أبوا فازحف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، وبعد أن يقتل الحسين أوطئ الخيل صدره وظهره»

ونفذ عمر وصية أميره ، واحتز رأس الحسين ، وطيف به ، وسيقت النساء من أهل بيته وذريته أسيرات ذليلات .

وقد هيجت هذه الحادثة الفظيعة الخواطر ، وعطفت القلوب نحو أهل

البيت ، وقال الأستاذ خالد محمد خالد : إن جميع الذين اشتركوا في قتله وقتاله لقوا حتفهم على أبشع الصور وأشدّها مذلة وهواناً كلهم من ابن زياد إلى شمر بن ذى الجوش إلى آخر واحد من الذين تحمسوا للباطل ، ووقفوا من ابن بنت الرسول موقف التحدى والعدوان <sup>(١)</sup> .

وكانت المحاورة التي تمت بين السيدة زينب شقيقة الحسين وبين عبيد الله بن زياد بعد مصرع أخيها منبهة لكثير من الأذهان موقظة لتلك العيون التي غفلت عن الأحداث ، والعقول التي ذهلت عن متابعة الحقائق التي تكشف عنها ، وكشفت هذه المحاورة عن العلاقة المتناقضة بين خصوم أهل البيت وأنصارهم .

قال ابن زياد للسيدة زينب بنت علي : الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم .

فقالت في عزة إيمانها وتقائها : بل الحمد لله الذي أكرمنا بنيه وطهرنا من الرجس تطهيراً ، وإنما يفضح الله الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا يابن زياد .

فقال ابن زياد : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟

فقالت في إيمان و يقين : كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينهم وبينك فتختصمون عنده يوم القيامة .

وأجملت هذه المحاورة لسان ابن زياد ، وثار في نفوس الناس الحزن العميق لهذه النهاية المؤسفة لهذا البطل العظيم ، وبخاصة في نفوس الذين استدعوه وتخلوا عنه ، وزاد هذه الحسرة لهيباً في نفوسهم ذلك الخطاب الذي وجهته إلى أهل العراق حين اجتمعوا ليكون فقالت لهم :

يا أهل الكوفة أتبكون ؟ فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة ، إنما

مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، أتبكون وتنتحبون ؟  
إي **والله** فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، فقد ذهبتم بعارها وشنارها ،  
ضربت عليكم الذلة والمسكنة . . . ويلكم يا أهل الكوفة أندرون أى كيد  
فريتم وأي كريمة أبرزتم ؟ وأي دم سفكتم ، وأي حرمة انتهكتم ؟ <sup>(١)</sup>

وكان من نتيجة ذلك أن أحس كثير من المسلمين بعقدة الذنب ، فأراد  
كل منهم أن يعبر عن إحساسه بطريقته .

وقف الصحابي الجليل زيد بن أرقم ، رغم كهولة سنه ووهن جسمه  
يصرخ فى أهل الكوفة : يا معشر العرب الذين صرتم عبيدا ، أنقتلون ابن  
فاطمة وتؤمرون ابن مرجانة ؟

ويقف عبد الله بن ضيف الأزدي - لا يمنعه ذهاب بصره وضعف  
شيخوخته فيصيح بابن زياد أمام الملاء : يا بن مرجانة أقتل أبناء النبيين ثم  
تقوم على المنبر مقام الصديقين ؟ ألا إن الكذاب لهو أنت أبوك والذى  
ولاك وأبوه .

وتنهض فى الكوفة كتائب التوابين مقسمة أن تهب حياتها لثأر  
الحسين .

وتشتعل الثورة عارمة فى مكة وفى المدينة حيث يجردها يزيد من  
جنده وقواده من ينزلون بالحرمين المقدسين من الدمار والقتل والإفك ما  
يخجل الشيطان من اقترافه <sup>(٢)</sup> .

هؤلاء الخصوم فعلوا بأهل البيت ما فعلوا ، ولم يكتفوا بذلك بل  
استنوا بمحدثه معاوية الذى أمر خطباء المساجد أن يلعنوا عليا فوق المنابر  
وأصبحت سنة سيئة عليه وزرها ووزر من اتبعها حتى أبطلها الخليفة العادل

(١) آل البيت في مصر - عبد الحفيظ فرغلي ص ٤٢ .

(٢) أبناء الرسول فى كربلاء خالد محمد خالد ص ١٩١ .

عمر بن عبد العزيز الملقب بخامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنه وعنهم، ولذلك امتدحه الشاعر كثير عزة بقوله :

وليت فلم تشتم عليا ولم تُخَفُ      بريّا ولم تتبع مقالـه مجرم  
تكلّمت بالحق المبين وإنما      تبينُ آيات الهدى بالتكلم  
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي      فعلت فأضحى راضيا كل مسلم (١)

### إنصاف عمر بن عبد العزيز لأهل البيت

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صورة مثالية نادرة ، كان طاقة النور التي أنارت ظلما كثيفا وبددت مخاوف كثيرة .

وجدد الله به للناس دينهم على رأس المائة الثانية من الهجرة تصديقا للأثر الذي تحدث به أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

وكانت حياته القصيرة في الخلافة إنصافا لأهل البيت وتصحيحا لمفاهيم خاطئة عنهم . وهذه أمثلة مما فعله معهم تدل على حسن رعايته لهم حتى من قبل أن يتولى الخلافة ومنذ أن كان أميرا على المدينة . عن ابن سعد في طبقاته قال : أخبرنا مالك بن إسماعيل ، قال : حدثنا جويرية بن أسماء ، قال : سمعت فاطمة بنت علي بن أبي طالب ذكرت عمر بن عبد العزيز فأكثر الترحم عليه ، وقالت : دخلت عليه وهو أمير المدينة يومئذ ، فأخرج عني كل خصي وحرسى حتى لم يبق في البيت أحد غيري وغيره ثم قال : يا بنة على والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلى منكم ولأنتم أحب إلى من أهل بيتي (٢) .

وكان عمر جديرا بإقامة العدل وإعادة الأمور إلى نصابها بعد أن

(١) الطبقات الكبرى ٢٩١/١/٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٥ .



تعرض أهل البيت لسلسلة من المتاعب ، كان من بينها أن يغتال فيهم وتتقص حقوقهم ، وربما تقرب عمال الخلفاء إلى الخلفاء بذلك ، فقيضه الله لينهج نهج الراشدين حتى لقب بخامس الخلفاء الراشدين .

روى ابن سعد أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : رأيت فيما يرى النائم كأن بنى هاشم شكوا إلى النبي ﷺ الحاجة ، فقال لهم : فأين عمر بن عبد العزيز ؟ (١) .

والرؤى لا تقام بها الأحكام الشرعية ، ولكنها إشارة إلى مقام وتصديق حال ، وهى من المبشرات الباعثة على التفاؤل الحائثة على الاجتهاد فى تنفيذ الأحكام الشرعية والمضى على طريق الجهاد .

ومن الحقوق التى ردها عمر إلى أصحابها من أهل البيت فذك ، التى استغلها معاوية ومن جاء بعده لصالحهم ، فردها عمر إلى ما كانت عليه فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان .

والكتيبة وهى خمس رسول الله ﷺ لما صالح بنى أبى الحقيق . ردها عمر على بنى هاشم ، حتى استحق شكرهن فكتبت إليه فاطمة بنت حسين : سلام عليك فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فأصلح الله أمير المؤمنين ، وأعانه علي ما ولاه ، وعصم له دينه ، فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبى بكر بن حزم أن يقسم فىنا مالا من الكتيبة ، ويتحرى بذلك ما كان يصنع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين ، فقد بلغنا ذلك وقسم فىنا فوصل الله أمير المؤمنين وجزاه من وال خير ما جُزى أحد من الولاة . فقد كانت أصابتنا جفوة واحتجنا أن يعمل فىنا بالحق ، فأقسم لك بالله يا أمير المؤمنين لقد اخدم من آل رسول الله ﷺ من كان لا خادم له واكتسى من كان عاريا واستنفق من كان لا يجد ما

يستنفق . فقرأ كتابها وإنه ليحمد الله ويشكره ، وأمر للرسول الذي حمل الخطاب بعشرة دنانير ، وبعث إلى فاطمة بخمسمائة دينار وقال : استعيني بها على ما يعرفوك وكتب إليها بكتاب يذكر فضلها وفضل أهل بيتها ويذكر ما أوجب الله لهم من الحق (١) .

قال ابن سعد : عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، قال : أول مال قسمه عمر بن عبد العزيز لمال بعث به إلينا أهل البيت ، فأعطى المرأة منا مثل ما يعطى الرجل وأعطى الصبي مثل ماتعنى المرأة . قال : فأصابنا أهل البيت ثلاثة آلاف دينار ، وكتب لنا : إني إن بقيت أعطيتكم جميع حقوقكم (٢) .

ولقد أنكر كثير من الصحابة موقف الأمويين - قبل عمر - من أهل البيت ، ولكن هؤلاء المنكرين لم يسلموا من الأذى . روى الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أن رجلا أمر به إلى الموت فصلى ركعتين وأطال فيهما ، فقليل له : أجزعت من الموت ؟ فقال : إن أجزع فقد أرى كفنا منشورا وسيفا مشهورا وقبرا محفورا . وهذا الرجل هو حجر بن عدي الكندي من أمائل الصحابة ، وكان ينكر على بنى أمية سب على المنابر ، وكان بيته بالكوفة مثابة للشيعة ، فكانوا يجاهرون بسب معاوية فأخذه زياد - وهو أمير العراق - فحبسه مع اثني عشر رجلا من خاصة أصحابه ، ثم كتب إلى معاوية في شأنه وبعث الكتاب وحجرا وأصحابه إليه ، فلما قربوا من دمشق حبسوا في مكان ، وقتل منهم ستة منهم حجر وأطلق سبيل الباقيين (٣) .

(١) المرجع السابق ص ٢٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٨٩ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٢٣٣

وقد استنكر كثير من الصحابة قتل حجر ، واستنكرته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها . قال ابن الأثير : لما قدم معاوية إلى المدينة دخل على عائشة رضى الله عنها فكان أول ما قالت له في قتل حجر فى كلام طويل ، فقال معاوية دعينى وحجرا حتى نلتقى عند ربنا . قال نافع : كان ابن عمر فى السوق فنعى إليه حجر فأطلق جботه وقام وقد غلب عليه النحيب ، ولما بلغ الربيع بن زياد - وكان عاملا على خراسان - قتل حجر دعا الله عز وجل وقال : اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل ، فلم يبرح مجلسه حتى مات <sup>(١)</sup> .

فانظر كيف وصلت الخصومة الظالمة بأصحابها ؟ وكيف سوغت لهم قتال الأبرياء وسفك دمائهم وتصويرهم أمام الناس فى صورة الظلمة الفجرة الخارجين على السلطان المارقين من الدين ؟ وحتى إن ابن زياد لم يستح أن يقول للسيدة زينب بنت على تلك المقولة الظالمة التى مرت : الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثلتم ؟

لقد كان أهل البيت ضحية مظلومة لخصومهم وأنصارهم على السواء . قتلهم خصومهم ، وألهم أنصارهم . كلاهما رد فعل للآخر .

وقع أهل البيت بين نقيضين متباعدين جدا ، فالخصوم أمعنوا فى الخصومة إلى حد الإفناء والقتل والتشفى ، والأنصار أمعنوا فى الحب إلى درجة الخروج بهم عن صفوف البشر ، وقالوا فيهم قولاً لم يرتضه أهل البيت وثاروا عليه ، واضطر كبار أهل البيت إلى تصحيح ذلك بالقول حيناً وبالغف حيناً آخر .

ولم ينظر إليهم النظرة الحقيقية المعتدلة التى هم بها جديرون إلا الذين عصمهم الله ووفقهم لحفظ ميزان الشريعة الغراء .

ومن الذين أنكروا على الأمويين فعلهم وهو منهم عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس ، فقد أنهى إليه أن رجلا من العملة وقع فى على رضى الله عنه ، فأمر بتأديبه ، ف قيل له : لم يزل الخلفاء من أسلافك يجوزون ذلك ، فقال : أنا لم أنكر من فعل معاوية شيئا كإنكاري لهذا ، فإن فى هذا تجسيرا للعامة على الوقوع فى على ، وعلى إن قعد به أدبه لم يقعد به حسبه ، ومن الخطأ فى السياسة ترخيص الملوك للعامة فى الواقعة فيهم<sup>(١)</sup>.

فكيف وعلى رضى الله عنه لم يقعد به أدب ولا حسب ؟





## نظرات متباينة إلى أهل البيت

سبق القول إلى أن الصحابة كانوا يجلبون أهل البيت رضى الله عنهم وفى مقدمة أهل البيت على كرم الله وجهه لمكانته من النبى ﷺ أولا ، ولبلائه فى الإسلام وغيرته على الدين ثانيا ، ولشخصيته القويمة وأخلاقه النبيلة مع ذلك .

فبأي ميزان وزنت الإمام عليا وجدته راجحا .

ولكن النجاح قد يورث الحسد أحيانا وتلك طبيعة النفوس أشار إليها النبى ﷺ فيما يرويه أبو الحسن البصرى فى كتابه أدب الدنيا والدين : «ثلاثة لا يسلم أحد منهم : الطيرة وسوء الظن والحسد ، فإذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » (١) .

وكان النبى ﷺ يكفكف غرب الحاسدين ويرد على أولئك الذين ينفسون على الهاشميين عامة أو على على خاصة مكانتهم ومنزلتهم . جاء فى أسد الغابة : حدثنى عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس دخل على النبى ﷺ مغضبا وأنا عنده ، فقال : ما أغضبك ؟ فقال : يا رسول الله ما لنا ولقريش ؟ إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة ( أي يعلوها البشر ، ويروى : مسفرة من الإسفار بمعنى مضيفة ) وإذا لقونا لقونا بغير ذلك ؟ قال : فغضب النبى ﷺ حتى احمر وجهه ، ثم قال : والذي نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله . ثم قال : أيها الناس ، من أذى عمى فقد أذانى ، فإنما عم الرجل صنو أبيه » (٢) .

كان ﷺ يرق لأهله رقة شديدة ويغار عليهم ، فيعلم الناس أن

(١) أدب الدنيا والدين ص ٢٤ .

(٢) أسد الغابة ٣/ ١٦٥ ، وروى كذلك فى تحفة الأحوذى كتاب المناقب ١٠/ ٢٦٣ .

الإسلام مودة ورحمة وأنه يجب ما قبله ، وأن من عقائد الإسلام الأولى أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، فلا ينبغي أن يُعير أحد بمن سبق من آبائه الكافرين . جاءته سبيعة بنت أبي لهب ، وفي رواية : درة بنت أبي لهب ، فقالت : إن الناس يصيحون بي يقولون : إني ابنة حطب النار ، فقام رسول الله ﷺ وهو مغضب أشد الغضب فقال : « ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمى ؟ ألا من آذى نسبي وذوي رحمى فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل » (١) .

ومن غضبه لعلی ما يرويه ابن الأثير في ترجمة عمرو بن شاس - وكان من أصحاب الحديبية - قال : خرجت مع على إلى اليمن فجفاني في سفرى ذلك حتى وجدت عليه في نفسى ، فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه ، فلما رآنى أبدئنى عينيه ( أى حدد إلى النظر ) حتى إذا جلست قال : يا عمرو والله لقد آذيتنى . قلت : أعوذ بالله من أن أؤذيك يا رسول الله . قال : بلى من آذى عليا فقد آذاني ... » (٢) .

ولكن الصحابة رضوان الله عليهم لم يفهموا أهل البيت على فهم غير ذلك الفهم الذى أوصى به النبى ﷺ كيف تكون معاملة المسلم للمسلم من رعاية لحقوقه ومحافظة على شعوره وإيثار له على نفسه وأهله وأن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، وألا يحجب عنه الخير ما وسعه إلى ذلك سبيل ، وأن يدفع عنه الشر بما يبلغه جهده ، وألا يضر له حقاً ولا غشاً ، فإن كانت معاملة المسلمين فيما بينهم على هذا المنهج المثالى فمعاملة أهل البيت أحق بذلك لأنهم اجتهدوا فى أن يكونوا صورة مثالية

(١) أسد الغابة / ١٣٨ .

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٨٣ ، وأسد الغابة ٤/ ٢٤١ .

لأخلاق الفاضلة ، وصاحب الخلق الفاضل يأسر بأخلاقه النفوس ويملك القلوب .

كانت الحياة فى عهد الرسول ﷺ وأصحابه من بعده صورة صحيحة للمجتمع الإسلامى الذى اجتهد النبى فى إقامة بنيانه على أروع مثل .

وجاء التابعون بعد ذلك فألفوا هذه الحياة الصحيحة وتنفسوا فى أجوائها أنفاس الحرية والصراحة والحب ، ولكن الزمن يتغير وتنشب الخلافات التى ترتب عليها كثير من ألوان الصراع التى شعبت قلوب الناس وفرقت أهواءهم .

وكان مقتل عمر رضى الله عنه بمثابة الباب الذى كسر فدخلت منه الفتنة التى استفحلت فى آخر عهد عثمان رضى الله عنه وأدت إلى مقتله ، وتفرقت بذلك كلمة المسلمين . روى ابن سعد فى طبقاته عن حذيفة قال : كنت واقفا مع عمر بن الخطاب بعرفات وإن راحلتى لبجنب راحلته ، وإن ركبتى لتمس ركبتة ونحن ننتظر أن تغرب الشمس فنفيض فلما رأى تكبير الناس ودعاءهم وما يصنعون أعجبه ذلك فقال : يا حذيفة كم ترى هذا يبقى للناس؟ فقلت : على الفتنة باب فإذا كسر الباب أو فتح خرجت ، ففزع فقال : وما ذلك الباب وما كسر باب أو فتحه ؟ قلت : رجل يموت أو يقتل . قال : يا حذيفة من ترى قومك يؤمرون بعدى ؟ قال قلت : رأيت الناس قد أسندوا أمرهم إلى عثمان بن عفان <sup>(١)</sup> .

ولم تلبث باتساع رقعة البلاد الإسلامية وكثرة الاتصال بين الناس أن أثرت العقول وكثرت العلوم ونشأت فرق ومذاهب منها المذاهب الكلامية والمذاهب الفقهية والمذاهب السياسية ، وتلونت هذه المذاهب بألوان منشيئها ومعتقداتها والبيئات التى نشأت فيها .

ومن هذه الفرق والمذاهب التي كان لها اتجاه معين في العلاقة بأهل البيت المعتزلة والخوارج والشيعة .

### المعتزلة

أما المعتزلة وإن كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد إلا أن لهم اتجاهات خالفت أهل السنة ، بل إن بعضها انحرف انحرافا شديدا .

وسمى المعتزلة بذلك الاسم لأن زعيمهم واصل بن عطاء - وكان تلميذا للحسن البصري - خالف الحسن في مسألة مرتكب الكبيرة ، وذهب إلى أنه ليس بمؤمن ولا كافر ، وإنما هو بمنزلة بين المنزلتين - يعنى أنه فاسق - ووافق الخوارج على أنه مخلد في النار ، واعتزل حلقة البصري ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، فسمى هو وأتباعه من ذلك الوقت معتزلة .

ومقتضى رأى المعتزلة أن الخلاف الذى نشب بين المسلمين وأودى بحياة عثمان فعلى بعد ذلك من الكبائر التي تخلد صاحبها في النار وعلى ذلك فكل ضالع في هذه الفتنة كافر أو فاسق على الأقل .

وقال الواصلي في الفريقين المتقاتلين في الجمل وصفين : إن أحدهما مخطئ لا بعينه ، وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما ، ولم يجوزوا أن تقبل شهادة كل من الإمام على وطلحة والزبير على باقة بقل .

وزاد عمرو بن عبيد - وهو من أتباع واصل - على ذلك تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار .

وإذا كان هذا هو رأى السابقين من المعتزلة فقد تطور مذهبهم بعد ذلك إلى أن تبنى بعضهم بعض آراء الشيعة أنفسهم ، وربما تشيع بعضهم .

فالنظامية أصحاب إبراهيم بن سيار النظام يرون أن الإمام حجة ويجب أن يكون معصوما ، ومعنى ذلك أن الخلافة لا تترك هملا - وهو رأى



الشيعة - ولم يكتف بعضهم بالتشيع بل غالوا ومالوا إلى الرفض ووقعوا في كبار الصحابة لأنهم تخطوا عليا الذي نص على تعيينه النبي ﷺ في رأيهم . واتهم هؤلاء عمر بالكتمان ووقعوا في عثمان وفي ابن مسعود . ولم يكتف النظام إمام هذه الفرقة بذلك بل جاء بما يدل على اضطراب عقله فوقع في على نفسه الذي يتشيع له فكيف يدافع عنه ويقع فيه ؟

قال الشهرستاني في الملل والنحل : وكلام جميع المعتزلة البغداديين في النبوة والإمامة يخالف كلام الحسن البصري ، وهم مضطربون فيما بينهم فمنهم من يميل إلى الروافض ومنهم من يميل إلى الخوارج ، وإن كان منهم من وافق أهل السنة في الإمامة وأنها بالاختيار وأن الصحابة مترتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة <sup>(١)</sup> .

فها نحن أولاء نرى أن هذا المذهب الكلامي الذي نشأ في ظروف الآراء المتشعبة حول الخلافات التي دارت بين المسلمين ، وتأثر بالفلسفة تأثرا كبيرا واصطبغت تعاليمه بها حتى جنح في طريقه إلى غاية أذى بها كثير من المسلمين كما حدث في فتنة القول بخلق القرآن .

وقد اهتم المعتزلة - كما يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي - <sup>(٢)</sup> بالعقل اهتماما كبيرا ، وأعطوه سلطة واسعة في الأصول والفروع ، ولا يضيّقون في سلطته كما يضيّق غيرهم ، وقد استفادوا كثيرا من المذاهب الفلسفية حينما انتقلت العقائد الإسلامية من الوضوح إلى الخفاء .

واهتمام المعتزلة بالعقل أدى إلى قولهم بالعقل الفعال « الذي تفيض منه الصور على الموجودات ، وإياه عنى النبي ﷺ بقوله : « أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزّني

(١) الملل والنحل ص ١٣٠ .

(٢) الوسيط في تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٧٨ .

**وجلالى ما خلقت خلقا أحسن منك بك أعز وبك أذل وبك أعطى وبك  
أمنع» (١)**

وقد كانت هناك صلة على وجه ما - أشار إليها الشهرستاني - بين واصل بن عطاء رأس المعتزلة وبين إمام من أئمة أهل البيت وهو أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، فيقال إن واصلأ أخذ عن أبى هشام (٢) .

وكان أبو هاشم صاحب علم ورواية وهو ثقة قليل الحديث ، وكانت الشيعة يلقونه ويتولونه وكان بالشام مع بنى هاشم فحضرتة الوفاة فأوصى إلى على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وقال له : أنت صاحب هذا الأمر وهو فى ولدك وصرف الشيعة إليه ودفع كتبه وروايته إليه ومات بالحميمة فى خلافة سليمان بن عبد الملك (٣) .

فقد يكون القول بعصمة الإمام والتشيع لدى واصل والمعتزلة جاء من هذا الطريق . ومن تلاميذ واصل عمرو بن عبيد الزاهد المشهور وكان شيخ المعتزلة فى وقته ، خرج فى أيامه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بالبصرة ، وبلغ المنصور خبره فجاء مسرعا - وكان محمد قد خرج بها - فالتقى المنصور بأبى عثمان عمرو بن عبيد فقال له المنصور : يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا . قال : أفأقتصر على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم ، فانصرف المنصور ولم يدخلها .

وكان عمرو صادقا حين ذلك فقد خرج محمد بعد ذلك بالمدينة ولم يخرج بالبصرة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة بعده ، وقد تشير القصة إلى هوى عمرو بن عبيد للعلويين .

(١) الملل والنحل ص ٩٢

(٢) المرجع السابق ص ٧١

(٣) الطبقات الكبرى ج٥ قسم ١ ص ٢٤٠ .

ويقال إن عمرو بن عبيد كاتب محمد بن عبد الله ، فلما سمع المنصور بذلك سأله عما سمع فقال له : إنه يعرف رأيه في السيف ، وهو أنه لا يرى الاستعانة بالقوة لتأييد أغراضه ، فطلب إليه المنصور أن يحلف فقال : لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية ، فارتضى منه ذلك<sup>(١)</sup>.

وكان الجاحظ - وهو من شيوخ المعتزلة - قد ألف كتابا يتحدث فيه عن فضل العباس وأولاده وأحقيتهم في الخلافة ، كما ألف كتابا ينقض فيه فضائل علي وكتابا يتحدث فيه عن أحقية معاوية للخلافة ، وهى كتب لا تنم عن عقيدة يقتنع بها صاحبها ، بل هى من قبيل إظهار البراعة والمقدرة على الحجاج عن الرأى وضده ، وقد وجدت كتبه هذه من ينقضها من الشيعة والمعتزلة أنفسهم . فكتاب العثمانية الذى ينقض فيه فضائل على رد عليه أبو عيسى الوراق والحسن بن موسى النخعى وغيرهما من الشيعة .

كما رده من شيوخ المعتزلة البغداديين أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، وكان ذا ورع وزهد ودين ، وكان رأيه تفضيل على وجواز إمامة المفضول .

وكانت تجرى مناظرات بين الشيعة والمعتزلة أحيانا لا تخلو من تأثير وتأثر فى الفريقين ، كالتى كانت بين هشام بن الحكم وهو من غلاة طائفة الشيعة المسماة بالهشامية نسبة إليه والنظام المعتزلى حول الثنوية والتشبيه وتعلق علم البارى سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup> .

وكتاب الجاحظ عن فضل العباس ينظر فيه إلى الشيعة الذين تسموا باسم الراوندية وهم يتعصبون للعباس ، ويرون أن أحق الناس بالخلافة

(١) أبو حنيفة لعبد الحلیم الجندی ص ٢٨٥ .

(٢) الجاحظ لأحمد كمال زكى ص ٦٩ عن الشهرستانى فى الملل والنحل ص ١٩٦ .

بعد النبي ﷺ هو عمه العباس لأنه وارثه وعصبته وأن الناس اغتصبوه حقه وظلموه أمره حتى ردَّ هذا الحق بقيام دولة العباسيين .

وقد توطدت العلاقة بين الاعتزال والتشيع بظهور طائفة الزيدية الشيعية ذلك أن زيد بن علي كان تلميذا لواصل بن عطاء رأس المعتزلة فاقبَس منه الاعتزال ، وصار أصحابه كلهم معتزلة ، وبذلك تأثرت الأفكار الشيعية بأفكار المعتزلة ، فقد كان واصل يعتقد أن الإمام على رضى الله عنه في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام ما كان على يقين من الصواب وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه ، وتأثر الشيعة بالمعتزلة في جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل فقد كان على أفضل الصحابة ولكن الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها (١) .

هذا عرض موجز يشير إلى بعض مواقف المعتزلة الذين يعتزون بالعقل من أهل البيت ، وهو موقف لا يصل إلى حد التعصب الذي يملى على صاحبه الرغبة في الانتصار ، لأن التعصب كثيرا ما يدفع صاحبه إلى حب الغلبة ولو عن طريق التزييف واختراع الأباطيل .

وليس كل المعتزلة هواهم مع أهل البيت ، ولكنهم شغلوا بقضايا كلامية أخرى استنزفت من جهدهم الكثير ، كالقول بخلق القرآن وجحد الكرامة للولى وغير ذلك .

وهم وإن كانوا في اتجاههم نحو أهل البيت غير متعصبين فعلى العكس كانوا في قضية القول بخلق القرآن فقد تعصبوا لها تعصبا ألغى العقل وجحدوا وأرادوا حمل الناس على اعتقاده بالقهر والسلطان ، وعذب في سبيل ذلك علماء أجلاء واستشهد آخرون .



## الخوارج

وكان الخوارج أكثر صراحة فى إظهار موقفهم من أهل البيت . فقد حددوا هذا الموقف من على رضى الله عنه بخروجهم عليه أولا ، وما سموا خوارج إلا لذلك ، ثم أمعنوا فى الخصومة فحكموا بتكذيبه وكفره وأعلنوا الحرب عليه حتى حاربهم .

والخوارج تفرعوا إلى فرق شتى يجمعها جميعا التبرى من عثمان وعلى رضى الله عنهما ويقدمون ذلك الاعتقاد على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك - كما يقول الشهرستانى - .  
بل إنهم يرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا .

واستفحل أمر الخوارج حتى طلبوا البيعة لأنفسهم ولقبوا من تخلف منهم بأمر المؤمنين .

وغر الخوارج الناس بكثرة صيامهم وصلاتهم ، وصف مولى عروة بن أذينة سيده أمام زياد بن أبيه فقال : ما أتيته بطعام فى نهار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط . ولكنه مع ذلك كان أول من جرد سيفاً فى شق عصا المسلمين ، وكانت عقيدته فى الصحابة سيئة .

وهذا أبو حمزة الخارجى يصف أصحابه بقوله : « شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة وأطلاح سهر ( أنضاء : جمع نضو وهو الخفيف اللحم ، وأطلاح جمع طليح وهو المهزول ) ينظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وجباههم واستقلوا ذلك فى جنب الله » (١) .

وفى هذه الخطبة لم يسلم من لسانه القادح أحد غير أصحابه وغير أبى

بكر وعمر من أصحاب رسول الله ﷺ فقد قال عن عثمان : إنه سار ست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ووصف عليا رضى الله عنه بأنه لم يبلغ من الحق قصدا ، ثم لعن معاوية وابنه وأخذ يقتص خلفاء الأمويين خليفة خليفة ، ولكنه أعرض عن عمر بن عبد العزيز ، قال عن بنى أمية : إنهم فرق ضلالة بطشهم بطش جبرية ، ووصف الشيعة بأنها ظهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية علي الله ، لم يفرقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ولا بعلم نافذ فى القرآن (١) .

كانوا متطرفين فى عدائهم ، والتطرف فى كل شىء مذموم كما أن الاعتدال فى كل أمر محبوب ، والإسلام هو دين الوسطية التى تعنى الاعتدال الذى يكفكف من غرب المغالاة والتزمت ، ويأخذ بيد المسلم من عثار التفريط والإفراط ، والدين متين لا يشاده أحد إلا غلبه ، وربما جمح المغالى عن سنن القصد - وكثيرا ما يفعل - فأدى به ذلك إلى ما يسمى بالهوس الدينى الذى يحمله على الإنكار على جماهير المسلمين ورميهم بالويل والثبور وعظائم الأمور لأنهم لا يرون رأيه ولا يعتنقون هواه .

وهؤلاء الخوارج بالغوا فى العبادة واستباحوا مع ذلك دماء الصحابة وأموال المسلمين وأولوا الآيات القرآنية على هواهم ، لانتقاص قدر من أجمع المسلمون على فضله وكرامته ، أو رفع قدر من أجمعوا على رفضه وإدائته .

فقد قالت الأزارقة : إن الله أنزل فى شأن على رضى الله عنه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٢) .

(١) راجع الخطبة فى البيان والتبيين ٢/ ١٠٢ .

(٢) البقرة : ٢٠٤ .

وصوبوا ما فعله عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - وقالوا : إن الله أنزل في شأنه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (١) .

وامتدح عمران بن حطان وهو مفتى الخوارج وشاعرهم فعل عبد الرحمن بن ملج قاتل علي بن أبي طالب فقال في حقه :

يا ضربة من منيب ما أراد بها      إلا ليلغ من ذى العرش رضوانا  
إني لأذكره يوما فأحسبه      أوفى البرية عند الله ميزانا (٢)

وحكموا بتكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار جميعا .

وقد رد القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي علي عمران بن حطان في بيته السابقين فقال :

إني لأبرأ مما أنت قائله      عن ابن ملجم الملعون بهتانا  
يا ضربة من شقى ما أراد بها      إلا ليهدم للإسلام أركاننا  
إني لأذكره يوما فآلعه      دينا وآلعن عمران بن حطانا (٣)

ولم تكن الغيرة الدينية المتطرفة وراء حركة الخوارج ، ولكنها فتنة المخالفة وعماية التعصب للرأى ، وفي مقتل على رضى الله عنه كانت هناك فتنة أخرى هي فتنة الهوى . ذلك أن عبدالرحمن بن ملجم كانت له ابنة عم أجمل بنات زمانها فخطبها فقالت : لا أتزوج حتى تسمى لى . قال : لا تسألينى شيئا إلا أعطيتة ، فقالت : ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على . فقال : ما سألت هو لك مهر إلا قتل على . قالت : فالتمس غرته فإن أصيبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى ، وإن ملكت فما عند

(١) البقرة : ٢٠٧ .

(٢) الملل والنحل ص ٢٠٩ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ١ / ٦١٠

**الله** خير لك من الدنيا . فقال : **والله** ما جاء بى إلى هذا المصر وقد كنت هاربا منه إلا ذلك ، وقد أعطيتك ما سألت ، وخرج من عندها وهو يقول :

**ثلاثة آلاف وعبد وقينة** **وقتل على بالحسام المصمم**  
**فلا مهر أغلى من على وإن غلا** **ولا فكك إلا دون فكك ابن ملجم**

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن جدة من الخوارج ، فقال له : هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : تساعدنى على قتل على . قال : ثكلتك أمك لقد جئت شيئا إداً قد عرفت غناه فى الإسلام وسابقته مع النبى ﷺ <sup>(١)</sup> فما زال به ابن ملجم حتى أشركه معه فى مؤامراته .

ولا يمكن أن تتحسن علاقة أهل البيت بالخوارج وهم الذين اغتالوا عميدهم . ولا ينسى الخوارج موقعة النهروان التى أفنأهم فيها على بن أبى طالب ولم يبق منهم إلا أقل من عشرة تفرقوا فى البلاد وملأوها جورا وكان ذلك تصديقا لقول النبى ﷺ : « **سيخرج من ضئضى** <sup>(٢)</sup> **هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** » . وهؤلاء هم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية .

أما ذو الخويصرة فقد ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة بقوله : عن أبى سعيد الخدرى ققال : بينا رسول الله ﷺ يقسم ذات يوم قسما ، فقال ذو الخويصرة - رجل من تميم - : يا رسول الله اعدل . فقال : **ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟** فقال عمر رضى الله عنه : أئذن لى فلاضرب عنقه .

قال : لا ، إن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، وينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، وينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، سبق الفرث والدم ، يخرجون على

(٢) بمعنى أصل ويراد به العقب والنسل .

(١) مروج الذهب ٦٠٧/١ .



حين فرقة من الناس ، آيتهم رجل إحدى ثدييه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر» .

قال أبو سعيد : أشهد لسمعته من رسول الله ﷺ وأشهد أنى كنت مع على رضى الله عنه حين قاتلهم ، فالتمس فى القتلى فأتى به على النعت الذى نعته رسول الله ﷺ (١) .

وذو الخويصرة هذا هو حرقوص بن زهير السعدى من بنى تميم .  
وأما ذو الثدي فقد ذكره المسعودى فى مروج الذهب قال : أتى على  
على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدي ، وأمر على بطلب  
المخدج فطلبوه فلم يقدرُوا عليه ، فقام على وعليه أثر الحزن لفقد  
المخدج ، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض ، فقال : افرجوا ففرجوا يمينا  
وشمالا واستخرجوه ، فقال على رضى الله عنه : الله أكبر ما كذبت على  
محمد وإنه لناقص اليد ليس فيها عظم ، طرفها حلمة مثل ثدى المرأة عليها  
خمس شعرات أو سبع ، رءوسها معقفة ، ثم قال : اثنوني به ، فنظر إلى عضده  
فإذا لحم مجتمع على منكب كثدى المرأة عليه شعرات سوداء إذا مدت اللحمه  
امتدت حتى تحاذى بطن يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه ، فثنى رجله  
ونزل وخر ساجدا لله . ثم ركب ومر بهم صرعى فقال : لقد صرعكم من  
غرکم . قيل : ومن غرهم؟ قال : الشيطان وأنفس السوء . فقال أصحابه :  
قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر . فقال : كلا ، والذى نفسى بيده  
وانهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها  
مثلها (٢) .

(١) أسد الغابة ١٣/٢ والرصاف : جمع الرصفة وهى عقب يلوى على مدخل نصل  
السهم والنضى : نصل السهم وسمى نضياً لهزاله من كثرة البرى ، والقذذ : جمع  
القذذ وهى ريش السهم ، وتدردر : تتحرك - وهذا مثل لسرعة نفوذ السهم فلا يوجد  
فيه شئ من الدم وغيره .  
(٢) مروج الذهب ٦٠٢/١ .

وربما كان من أعقابهم بعض أصحاب الجماعات المتشددة الذين يكفرون كل مسلم غيرهم ، ولا يعتقدون النجاة إلا فيهم ويحاولون بث ما يعتقدون بالقوة . ومن أقبح الخوارج أولئك الذين حاربوا الخوارج مع على ، ثم طلبوا إليه أن يدعهم للراحة قليلا ، ثم أخذوا يتسللون ويلحقون بأوطانهم ، فلم يبق معه إلا نفر يسير ، ومضى منهم الحارث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا إلى دين النصرانية ، وهم من ولد سامة بن لؤي بن غالب ، فقاتلهم على وهزمهم شر هزيمة .

### انشعاب كلمة الهاشمين

وما زالت كلمة الهاشمين واحدة حتى قامت الدولة العباسية فانشعبت . وكان الناس في تطلعهم لأهل البيت ينظرون إلى أن صاحب الحق من أولاد على رضى الله عنه ، وكان هؤلاء لما اتصفوا به من أخلاق مرضية ، وما تعرضوا له من مظالم متلاحقة قد استثاروا عواطف الناس نحوهم بالحب والإقبال ، وكان الفساد قد مد رواقه على البلاد في العصر الأموي ، واستشرى في قصور الخلفاء والأمراء حتى تغيرت قلوب المخلصين للدين عليهم وانشغلت بحب غيرهم ممن انعقدت الآمال عليهم . سئل بعض شيوخ بنى أمية عقب زوال الملك عنهم : ما كان سبب زوال ملككم ؟

فقال : إننا شغلنا بلذاتنا عن تفقده ما كان تفقده يلزمنا ، فظلمنا رعيتنا فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا ، وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ، ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا ، وأمضوا أمورا دوننا وأخفوا علمها عنا ، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعاديونا فتظاهروا معهم على حربنا ، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقللة أنصارنا ، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا (١) .

وقد أحكم العلويون أمرهم وأفادوا من التجارب السابقة ، وكان القائم بأمرهم أبو هاشم بن محمد بن على بن أبى طالب ، فحين دنت وفاته وكان ضيفا على ابنه عمه على بن عبد الله بن عباس بالحميمة أدلى بنصيبه من الخلافة إليه ، فأعد على للأمر حتى قامت الدولة العباسية .

وبعد قيامها حدث انقسام فى صفوف الموالين لأهل البيت ، وخشى أبناء العباس على ملكهم فضيقوا الخناق على العلويين حتى اضطر أبو جعفر المنصور إلى القبض على عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وزج به فى السجن مع عدد من أهل بيته ، وثار ضد المنصور محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية بالمدينة فقتل ، وثار أخوه إبراهيم بن عبد الله بالبصرة فقتل أيضا ، ومات أبوهما عبد الله ومن معه فى السجن .

لقد انشعبت الكلمة وتفرق الصف .. وكان أبناء على رضى الله عنه كتب عليهم أن يحال بينهم وبين الخلافة الدنيوية ، وها هى ذى بعد أن أصبحت منهم قاب قوسين إذا بها تفر منهم إلى غيرهم ، وإن كانوا قد أعطوها بأيديهم وبسخاء نفس إلى أبناء عمومتهم .

والسلطان يورث الأثرة ويدفع إلى الغلبة ويعلم صاحبه الشح به والمحافظة عليه ، وقد يكون ضحيته القرابة والرحم فى بعض الأحيان .

وقد أثارت مصارع العلويين بهذه الصورة التى شاهدها الناس عواطف الشعراء ففاضت قرائحهم بالرثاء الحزين ومن ذلك ما قاله دعبل الخزاعى فى قصيدته المشهورة التى يقول فيها ..

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

لآل رسول الله بالحيف من منى وبالركن والتعريف والجمرات

ديار على والحسين وجعفر  
ديار عفاها كلُّ جَوْنٍ مبادر  
قبور بكوفان وأخرى بطيبة  
وأخرى بأرض الجَوْجَزَانِ مَحَلُّهَا  
إلى أن يقول :

مَلَامَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ  
فِي أَرْبَ زَدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ  
أَحْبَايَ مَا عَاشُوا وَأَهْلَ ثِقَاتِي  
وَزَدَ حُبَّهُمْ يَارَبِّ فِي حَسَنَاتِي

### موقف أهل السنة من أهل البيت

وسنرجئ الحديث عن الشيعة قليلا حتى نتبين موقف أهل السنة من أهل البيت بعد أن بينا موقف المعتزلة والخوارج منهم .  
وقد وقف أهل السنة من أهل البيت موقفا معتدلا ، لم يغالوا في حب ، ولم يغالوا في بغض .

لقد أحب هؤلاء أهل البيت لما تفرضه مودتهم التي أوصى بها القرآن العظيم والنبى الكريم ، وكان قدوتهم فى ذلك الصحابةُ الأجلاء ومن سار على نهجهم من التابعين بإحسان ، وقد مر بنا كيف أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قبل يد ابن عباس رضى الله عنهما وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وكيف أن ابن عمرو بن العاص كان حزينا لمقاطعة الحسين له ، وما زال به حتى صالحه .

وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب شديد الاحتياط والتوقى لدينه فى الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه ، حتى إنه ترك المنازعة فى الخلافة مع كثرة ميل أهل الشام له ، ولم يقاتل فى شىء من الفتن ، ولم يشهد مع على



رضى الله عنه شيئا من حروبه حين أشكلت عليه . ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه .

وروى ابن الأثير فى سلسلة متصلة عمن سمع ابن عمر يقول حين حضره الموت : ما أجد فى نفسى من الدنيا إلا أنى لم أقاتل الفئة الباغية . أخرج أبو عمر وزاد فيه : مع على <sup>(١)</sup> .

وكان رأى أهل السنة فى الخلافة أنها ما أجمع عليه المسلمون ، وليس هناك نص جلى أو خفى بشأن الخلافة بالنسبة لعلى أو غيره بعد النبى

ﷺ

وقال الأشاعرة : تثبت الخلافة بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين إذ لو كان نص لما خفى ، والدواعى تتوفر على نقله .

وقد اتفق المسلمون فى سقيفة بنى ساعدة على اختيار أبى بكر ، ثم اتفقوا على عمر بعد أبى بكر واتفقوا بعد الشورى على عثمان واتفقوا بعده على على رضى الله عنهم جميعا .

وقال الأشاعرة : وهم مترتبون فى الفضل ترتيبهم فى الإمامة .

وقال الكرامية : الإمامة تثبت بإجماع الأمة دون النص والتعيين ، كما يقول أهل السنة جميعا ، إلا أنهم قالوا : يجوز عقد البيعة لإمامين فى قطرين وغرضهم فى ذلك إثبات إمامة على بالمدينة والعراقين وإمامة معاوية بالشام .

وينبه سفيان الثورى - وهو من أئمة السنة وأمير المؤمنين فى الحديث - الأذهان إلى ما يجب أن يكون عليه المؤمن فى موقفه من على رضى الله عنه فيقول : ما قاتل على أحدا إلا كان على أولى بالحق منه .

ويضع منهجا لتصحيح المفاهيم عند الناس فينصح زائر الشام بالإكثار

من ذكر مناقب على ، وزائر الكوفة بالإكثار من ذكر مناقب أبي بكر وعمر ، ذلك لأن الشاميين يحاولون الخط من شأن على رضي الله عنه لمكان الأمويين منهم ، والكوفيين يحاولون الخط من شأن الشيخين لظهور التشيع فيهم .

وعن عبد الوهاب الحلبي قال : سألت سفيان الثوري ونحن نظوف بالبيت عن الرجل يحب أبا بكر وعمر إلا أنه يجد لعلى من الحب ما لا يجد لهما ؟ قال : هذا رجل به داء ينبغي أن يسقى دواء .

والداء في رأيه هو التفضيل بين الصحابة الأجلاء . حقا إن لكل صحابي مزية ، ولكن المزية لا تقتضي الأفضلية . ولذلك نسمعه يقول - فيما يرويه عنه قبيصة بن عقبة - : من قدم عليا على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وأخشى ألا ينفعه مع ذلك عمل .

قال الشيخ عبد الحليم محمود في كتاب سفيان الثوري ص ٦٢ : من كلام سفيان الدال على صفاء سيرته وإخلاص قلبه بالنسبة للصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - قوله : لا يستقيم حب على وعثمان إلا في قلب نبلاء الرجال .

ولأن أهل السنة لم تتجاوز نظرهم إلى أهل البيت أكثر مما كانوا يعرفونه لهم من فضل وصلاح ، فهي لم تغال في قدرهم ولم تغض من شأن غيرهم ممن هم جديرون بالتقدير والإعجاب ، عاملوهم على مقتضى هذه النظرة المحايدة ، وهي أسلم على أي حال .

توفي على بن الحسين رضي الله عنه المعروف بزين العابدين ، فأشع الناس وأهل المسجد إليه ليشهدوه ، وبقي سعيد بن المسيب في المسجد وحده فقال خشرم لسعيد بن المسيب : يا أبا محمد ألا تشهد هذا الرجل الصالح في البيت الصالح ؟ فقال سعيد : أصلي ركعتين في المسجد أحب إلي من أن أشهد هذا الرجل الصالح في البيت الصالح .

ولكن سليمان بن يسار خرج إليه فصلى عليه وتبعه وكان يقول :  
شهود جنازة أحب إلى من صلاة تطوع <sup>(١)</sup> .

وهذا هو مقياس السنة في العلاقة بالناس .

ولا يقال إن سعيد بن المسيب كان جافى الطبع أو مجاملا للأمويين  
كلا ولكنه كان يحكمه الورع ، وكأنه كان قد آلى على نفسه ألا يبرح  
مسجد رسول الله ﷺ حتى في أخرج الأوقات .

فهو لم يبارح المسجد في أيام الحرة ، وكان يصلى فيه وحده ، وكان  
يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ كل وقت <sup>(٢)</sup> .

وكان عنيقا مع بني مروان ولقد ضرب في ذلك ووضع في السجن  
وطيف به في المدينة ، وكان يظفر بتقدير أهل البيت وثنائهم .

قال أبو جعفر : سمعت أبي على بن حسين يقول : سعيد بن المسيب  
أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفقههم في رأيه .

ولقد اقتدى به سفيان الثوري في الإمساك عن الصحابة رضى الله  
عنهم . حدث على بن زيد قال : قال لى سعيد بن المسيب : قل لقائذك  
يقوم فينظر إلى وجه هذا الرجل وإلى جسده . قال : فانطلق فنظر فإذا  
وجه رجل أسود الوجه ، فجاء فقال : رأيت وجه زنجي وجسده أبيض ،  
فقال : إن هذا الرجل سب هؤلاء الرهط من الصحابة طلحة والزبير وعليا  
فنهيت فأبى ، فدعوت عليه . قال : قلت إن كنت كاذبا فسود الله  
وجهك ، فخرجت بوجهه قرحة فاسود وجهه <sup>(٣)</sup> .

(١) الطبقات الكبرى ج ٥ قسم ١ ص ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٥ .

وموقف أهل السنة من الخلافة يستتبعه موقفهم من أهل البيت . فهم ينظرون إلى أن أهل البيت لا فضل لهم إلا قرابتهم من النبي ﷺ وما تفضل الله به عليهم من حسن الخلق والمحافظة على الدين .

والقراية شرف ولكنها لا تعطى الحق في الخلافة لأن النبوة لا تورث وحسن الخلق قدر مشترك بينهم وبين من أكرمه الله بنعمة التوفيق في هذا الميدان .

وقد أيد بعض أهل السنة بعض الخارجين من أهل البيت لوجهة نظر رأوها تتعلق بالدين ، فقد أيد أبو حنيفة محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية وأخاه إبراهيم في خروجهما على المنصور ، كما أيدهما الإمام مالك أيضا وكثير من القراء والعلماء ، بل إن الإمام أبا حنيفة قال عمن قتلوا مع إبراهيم بالبصرة إنهم كما لو قتلوا يوم بدر .

وأشاد شعبة بن الحجاج وهو من أئمة السنة بموقعة باخمرا التي قتل فيها إبراهيم وقال : والله لهى عندى بدر الصغرى .

وخرج ابن هرمز أستاذ مالك مع محمد بن عبد الله بن الحسن في المدينة ، ف قيل له : والله ما فيك شيء - لأنه كان شيخا كبيرا ضعيفا لا جلد له على القتال - فقال ردا على ذلك : قد علمت ولكن يرانى جاهل فيقتدى بى .

وكانت فتوى مالك في الخروج مع محمد لمن استفتاه وفي عنقه بيعة للمنصور : إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين (١) .

وموقف هؤلاء العلماء ليس تشيعا ولكنه مناصرة لحق .

وكانت فتنة - على حد تعبير ابن هرمز - حين سأل قائد جيش

(١) مالك - تجارب حياة - لأمين الخولى ص ١٤٦ .



المنصور عن سبب خروجه مع محمد بن عبد الله : يا شيخ ما وزعك فقهك عن الخروج ؟ فأجابه : كانت فتنة شملت الناس فشملتنا .

والحق أن القلوب انعطفت إلى أهل البيت بطبيعتها الصافية حين رأت أن الريح هبت على غير اتجاهها معهم وتحالفت الأحداث عليهم . فهؤلاء الأمويون يغتصبون الخلافة من على إثر حروب ودماء ، وهؤلاء العباسيون الذين طلبوا الأمر بهم خصوا أنفسهم به وحجبوا العلويين عنه بل ساموهم العذاب الأليم .

وقد استشعر الأمويون فظاعة ما فعلوه مع الحسين ، ويقول المؤرخون إن يزيد ظل يتجرع مرارة الندم على قتل الحسين « وأخذ يتبين سوء عواقب ما حدث ، فروى أنه كان يقول وهو يذكر الحادث آسفا : وما على لو احتملت الأذى وأنزلته معي في دارى وحكمته فيما يريد وإن كان فى ذلك وكف ووهن فى سلطانى حفظا لرسول الله ﷺ ورعاية لحقه وقرابته؟! »

لعن الله ابن مرجانة فإنه أخرجه واضطره ، وقد كان سألته أن يخلى سبيله ويرجع فلم يفعل ، أو يضع يده فى يدى أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل ، فأبى ذلك وردة عليه وقتله ، فبغضنى بقتله إلى المسلمين ، وزرع لى فى قلوبهم العداوة ، فبغضنى البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلى حسينا ، مالى ولا بن مرجانة - لعنه الله - (١) .

وكذلك شعر بعض العباسيين بأنهم ظلموا أبناء عموماتهم ، وحاولوا تصحيح الوضع معهم ، فعمد المأمون إلى اختيار على بن موسى المشهور بالرضا ، وهو من أبناء على ، وليا للعهد ، وقد اختاره لفضله وورعه

(١) عبد الملك بن مروان لضياء الدين الرئيس ص ١٤٠ . راجع المحاسن والمساوى لإبراهيم بن محمد البيهقى ٤٣/١ .

وعلمه ، وأتبع اختياره بإجراء عملى فى شارة الدولة وشعارها ، فقد أمر جنده بطرح السواد وارتداء ثياب الخضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق طالبا أخذ البيعة له (١) .

ولئن كانت هذه حركة سياسية ولكنها تعكس إحساسا داخليا وشعورا بالذنب ، وقد تعرض المأمون بتصرفه ذلك لحملة قاسية من نقد العباسيين لم يسلم منها إلا بموت على بن موسى الرضا ، الذى قيل فى موته كلام . وما على العلويين بأس فى أن يطلبوا الخلافة ، ولكنهم حين طلبوها طلبوها بوجه ليس فيه التواء وهو ما يتفق مع مثاليتهم التى درجوا عليها .

قال الأستاذ على أدهم فى كتابه « أبى جعفر المنصور » ص ١٢٦ : وكانت مثالية على بن أبى طالب العالية تعيش فى نفوس أبنائه وذريته ولذلك كانت تغلب عليهم الناحية الروحية وإيثار العدالة واتباع الحق ومجافاة الدسائس واستغلال نواحي الضعف فى الطبيعة الإنسانية ، وكانوا يطلبون المجد المؤثل ويسعون لبلوغ المكانة اللاتقة بهم والجديرة بماضيهم ولكنهم لا يحاولون أن يسلكوا لها الطرق المتلوية ويتبعوا الأساليب التى تنافر الأخلاق الكريمة ، وقد تفوق عليهم أبناء عمهم العباسيون بحذقهم السياسى وكفايتهم العملية وقدرتهم على معرفة الوقت المناسب للحركة والعمل واغتنام الفرص العارضة مع موافاة الظروف ومساعدة الأحوال (٢) .

### الصوفية وأهل البيت

ويتصل بأهل السنة الصوفية - ونقصد بهم من هم على الجادة الذين أخلصوا الله عملهم فصفت نفوسهم وسمت أرواحهم ووصلوا إلى مقام الإحسان فرضى الله عنهم ورضوا عنه .

(١) المأمون . د/ مصطفى هدارة ص ٤ .

(٢) أبو جعفر المنصور - أعلام العرب .

والتصوف الحقيقي هو جوهر الدين ولبابه ، وقد تحقق به قوم نهج على دربهم تلاميذ مخلصون ، وهؤلاء كانت علاقتهم بأهل البيت علاقة الحب والمودة التي يفرضها الدين ، لا يتجاوزون حدود الشرع .

اعتبر هؤلاء الصوفية أن أهل البيت نماذج خلقية سامية حاولوا أن يقتدوا بهم فى سلوكهم ، ولم يفهموا فى أهل البيت غير أنهم تربطهم بالرسول الكريم وشيعة القربى وصلة النسب ، وهم فى هذه الناحية جديرون بالحب والتكرم تحقيقاً لوفاة النبى ﷺ بود أهل بيته ، وإلا فإن هؤلاء المنتسبين لهذه الدوحة لم يخرجوا عن كونهم بشراً يتعرضون للصواب والخطأ .

وحب الصوفية الحقيقيين لم يورطهم فى الخروج عن تعاليم الدين أو يجرحهم إلى مخالفات تتعارض مع العقيدة السليمة التى جاء بها النبى ﷺ وبرا منها أهل البيت أنفسهم ولا يحمدونها فى شيعتهم .

وقد ناقش بعض الصوفية الشيعة فى موقفهم من أهل البيت وما فهموه من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فالشيعة فهموا أن الآية تشير إلى عصمة أهل البيت . ونستعير قلم الصوفى الكبير « الحكيم الترمذى » فى رده على هذا الفهم فى هذه الآية وفى الحديث الذى رواه « إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتى ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما فإنهما لن يفرقا حتى يردا على الحوض » .

فقد أنكر الترمذى أن تكون العصمة هي مفهوم الآية والحديث . قال : « لأن العصمة للنبيين عليهم السلام والمحنة لغيرهم »

ويذهب فى بيان المقصود من قوله ﷺ « لن يفرقا حتى يردا على الحوض » وقوله : « ما إن أخذتم به لن تضلوا » بأنه واقع على الأئمة

السادة منهم لا على غيرهم ، لأنه كان فيهم المخلطون والمسيئون ، وليس بالمسيئ المخلط قدوة ، فيلزمنا الاقتداء بهؤلاء الأئمة من حيث علمهم وفقههم لا من حيث أصلهم وعنصرهم ، فإذا وجد هذا العلم وهذا الفقه فى غير عنصرهم لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء .

وقد يقال : إذا لم يكن هناك فرق بين علمائهم والعلماء من غيرهم فما قيمة النص عليهم ؟ وما معنى التخصيص ؟

إن ذلك بسبب طيب عنصرهم مما يعين على صفاء القلب ونزاهته وتقويته على إدراك ما إليه الحاجة من شريعته .. والعنصر إذا طاب كان معينا على ما يحتاج إليه ، وطيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق ، ومحاسن الأخلاق تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته ، وإذا نزه القلب وصفا كان النور أعظم ، وأشرق الصدر بنوره ، وكان عوناً له على درك ما به الحاجة من الشريعة « (١) .

وللترمذى رأى فى مفهوم أهل البيت نستخلصه من مناقشته للحديث المروى « النجوم أمان لأهل السماء والعلماء الصديقون أهل البيت أمان للأمة » (٢) فهو يرى أن أهل البيت الذين هم أمان للأمة هم الصديقون الذين يخلفون النبي ﷺ من بعده على مناجاه ، وذلك أن لفظ البيت مأخوذ من تبوءة الذكر ، وقد بعث النبي ﷺ لبيوى لذكر الله فى الأرض، فبدأ بمكة فطرد ونفى الذكر ، ثم جعل الله مهاجراً ومستقراً ، فمن هاجروا إليه ولزموه فصاروا أهل الذكر فهم أهل بيته ، ومن أواوا إليه

(١) الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية . د/ عبد الفتاح بركة ١/ ١٥٨ .

(٢) الحديث فى المستدرک ٢/ ٤٤٨ ، وفى مجمع الزوائد ١٠/ ١٧ ، ورواية الحاكم هى :

« النجوم أمان لأهل السماء ، فإذا ذهبت أمانها ما يوعدون ، وأنا أمان لأصحابى ما كنت فإذا ذهبت أمانهم ما يوعدون ، وأهل بيتى أمان لأمتى فإذا ذهب أهل بيتى أمانهم ما يوعدون »



ولم يصيروا من أهل الذكر فليسوا من أهل بيته بل هم من أصحابه فأتباعه ، فصار بيت رسول الله ﷺ لتبوءه الذكر على هذا الوجه .

أما الأهل والآل فهما بمنزلة واحدة ، والآل بمعنى أنه حيثما تفرق يثول إلى أصل واحد ، وكذلك النسب يثول إلى الأصل ، وأهل البيت على هذا المعنى كل من رجع نسبه إلى ذلك الأصل .

قال : « ولما كان الله تعالى قد اختص الرسول ﷺ لنفسه واصطفاه لذكره ، وكان قلب الرسول ﷺ في كل أمر راجعا إلى الله سبحانه وتعالى كان هذا بيتا أعلى وأشرف من البيت الذي هيا في أرضه وهو بيت النسب ، فكل من رجع بقلبه إلى الله تعالى على طريقه فهو من أهل هذا البيت » .

والترمذي يفهم من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ لأن مبدأ الكلام قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ ﴾ وهو كلام منسوق بعضه على بعض ، ولم تنزل في علي وفاطمة والحسن والحسين كما يقول الشيعة . وذكر الضمير في عنكم - ولم يقل عنكن - لينصرف إلى الأهل والأهل مذكر .

والذي يفهم من حديث الثقلين - على اعتبار صحته - أن النبي ﷺ أوصى بحفظ ذريته ورعاية حقوقهم لأنهم ذرية طاهرة طيبة من صلب نقي والله فيهم خبايا ، ورسول الله ﷺ محفوظ بينهم وله حرمة عظيمة فمن كان بهذه الصفة فحقيق أن يعظم حتى لا يتفرقوا عن كتاب الله ﷻ فيضلوا تأويله ، وأما أن يكون لهم سلطان خاص في الشريعة والدخول في نوازل الناس فلا (١) .

وقد تأول بعض الشيعة قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> على أن المقصود بأولى الأمر علي وأبنائه من بعده رضى الله عنهم .

ولكن الترمذى يفهم أن ولى الأمر هو من فهم عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ما تههم إليه الحاجة فى أمر الشريعة . . أولو الأمر هم العلماء والفقهاء فتخصيص أولى الأمر بأهل البيت تحكم لا دليل عليه .

وفهم الصوفية لقضية الخلافة هو فهم أهل السنة تماما ، فالنبي ﷺ لم يوص لعلى فلو أوصى له لما حدث مانع إطلاقا من تنفيذ الوصية ولجاهد على جاحدى هذه الوصية بكل ما أوتى من قوة وإلا كان مخالفا لأمر النبي ﷺ ، ولكن الثابت أن عليا كان سامعا مطيعا للخلفاء الثلاثة الذين تقدموه ، مما يدل على أنه لم يكن هناك نص صريح أو خفى على خلافة على رضى الله عنه .

جاء فى كتاب المحاسن والمساوى <sup>(٢)</sup> : قال على - رضى الله عنه - : **والله** لئن كنت أول من صدق بالنبي ﷺ لأكون أول من كذب عليه ، أما أن يكون عندى عهد من رسول الله ﷺ فلا ، **والله** لو كان عندى ما تركت أخا تيم وعدى على منبر رسول الله ﷺ ولكن نبينا لم يقتل قتلا ولم يميت فجأة ، ولكنه مرض ليالى وأياما فأتاه بلال ليؤذنه بالصلاة فيقول : إيت أبا بكر وهو يرى مكانى ، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا فى الأمر فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله ﷺ لدينا .

ومن مناقشة الترمذى للشيعة فيما فهموه أو تأولوه يتضح لنا أن

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) ٣٦/١ والكتاب من تأليف إبراهيم بن محمد البيهقى .

التصوف ليس تابعا للتشيع وأن علاقته به ليست هي علاقة التابع بالتبوع كما فهم البعض أو علاقة الفرع بالأصل كما توهم البعض . بل إن هناك منافرة بين أفكار التصوف والأفكار والمبادئ الشيعية . « وإن وجود تشابه بين بعض الأفكار الشيعية والتصوفية لا يكفي أن يكون دليلا على تبعية التصوف للتشيع أو انطباعه بطابعه ، بل لعله يتخذ دليلا علي اتجاه معاكس بمعنى أن التشيع قد استفاد بعض المبادئ من المحيط الإسلامي العام فصبغها بصبغته ، بحيث تصبح امتيازا خاصا لطائفة خاصة ، وأن التصوف أعاد الأمر إلى نصابه حين نفى عن هذه المبادئ صبغتها الطارئة وتركها علي ما كانت عليه عامة بين المسلمين » (١) .

وسياتى بعد قليل أثر التصوف في الفكر الشيعة حتى قرب بينه وبين فكر أهل السنة .

ويلتقى محيي الدين بن العربي - وهو من أقطاب التصوف - مع الحكيم الترمذى وقد لخص الإمام عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه : البواقيت والجواهر مفهوم محيى الدين حول الإمامة ، وهو مفهوم يطابق رأى الأشاعرة تماما ، حيث يقول : أفضل الأولياء المحمديين بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين .

وهذا الترتيب بين هؤلاء الأربعة الخلفاء قطعى عند الشيخ أبى الحسن الأشعري ظنى عند القاضي أبى بكر الباقلانى ، ومما تشبث به الروافض فى تقديمهم عليا رضى الله عنه على أبى بكر رضى الله عنه حديث أنه ﷺ أتى بطير مشوى فقال : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير » فأتاه على رضى الله عنه ، وهذا الحديث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ، وأفرد له الحافظ الذهبى جزءا قال : إن طرقة كلها باطلة واعترض الناس علي الحاكم حيث أدخله فى المستدرک .

قال : ودليل أهل السنة في تفضيل أبي بكر الحديث الصحيح : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في صدره » وهو نص صريح في أنه أفضلهم . وفي البخاري عن ابن عمر قال : كنا نقول خير الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، ولا ينكر ذلك علينا . ونسب إلى الأشعري قوله : قد أطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام الخلفاء الأربعة الراشدين وتعظيمهم علي ترتيبهم ، أما الصحابة فلأنهم شاهدوا فضل أبي بكر بقرائن الأحوال المقتزنة بقوله ﷺ وبفعله المنبئين عن الأفضلية عند الله تعالى ، وأما التابعون فلأنهم خير القرون بعد الصحابة ، ولأنهم أعرف بعقائد الصحابة في أبي بكر وغيره .

ويستلزم ذلك في رأى ابن عربى وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ، ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون ، وذلك لأنهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلبسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل ، كل ذلك وجوبا لإحسان الظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد ، فإن تلك أمور مبناها عليه ، وكل مجتهد مصيب أو المصيب واجد والمخطئ معذور بل مأجور .

قال ابن الانبارى : وليس المراد بعدم التهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف يبحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شئ يقدح في عدالتهم والله الحمد .

قال : ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم ( يقصد معاوية وعمرو بن العاص وأضرابهما ) فإن مثل هذه المسألة منزعا دقيق ، ولا يحكم فيها إلا رسول الله ﷺ فإنها مسألة نزاع بين أولاده وأصحابه .



وقال الكمال بن أبى شريف : ليس المراد بما شجر بين على ومعاوية المنازعة فى الإمارة كما توهمها البعض ، وإنما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضى الله عنه إلى عشيرته ليقترضوا منهم ، لأن عليا رضى الله عنه كان يرى أن تأخير تسليمهم أصوب ، إذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة عند العامة ، فإن بعضهم كان قد عزم على الخروج على الإمام على وعلى قتله لما نادى يوما بأن يخرج عنه قتلة عثمان ، ورأى معاوية أن المبادرة إلى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب ، فكل منهما مجتهد مأجور .

وانتهى الشعرانى بعد تلخيصه لآراء ابن عربى من الفتوحات المكية إلى ما يلى : قال العلماء ؛ ويجب اعتقاد براءة عائشة قطعا من جميع ما قاله الملحدون فى حقها لنزول القرآن الكريم ببراءتها فى سورة النور ، وكذلك يجب اعتقاد وجوب محبة ذرية نبينا محمد ﷺ وإكرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين وأولادهما ، ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين ، وبين أحد من الصحابة غير من ثبت فيهم النص ، ونكره كل من آذى شريفا ونهجره ولو كان من أعز أصحابنا وفاء لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (١) والمودة هى ثبات الحب لا مجرد الحب (٢) .

وقد قرر ابن عربى فى الفتوحات المكية أن آل الرجل فى لغة العرب هم خاصته الأقربون إليه ، وخاصة الأنبياء وألهم هم الصالحون العلماء بالله المؤمنون ... فلا ل محمد ﷺ وهم المؤمنون من أمتة العلماء مرتبة النبوة عند الله تظهر فى الآخرة ، فلا تتخيل أن آل محمد ﷺ هم أهل بيته خاصة ، ليس هذا عند العرب ، وقد قال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا آلَ

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) البواقيت و الجواهر للشعرانى ٩٠ / ٢ وما بعدها .

**فَرَعُونَ** ﴿١﴾ . يريد خاصته ، فإن الآل لا يضاف بهذه الصفة إلا للكبير القدر في الدنيا والآخرة فهذا قيل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ﴿٢﴾ .

وابن عربى يرى كغيره من المسلمين المنصفين أن لأهل البيت منزلة سامية وأن الله سبحانه وتعالى كرمهم وشرفهم بمقتضى الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣﴾ ويدخل في هذا التشريف من أدرجه النبي ﷺ في زمرة أهل البيت كسلمان الفارسي .

فهؤلاء هم المطهرون اختصاصا من الله وعناية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به ، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة ، فإنهم يحشرون مغفورا لهم ، وأما في الدنيا فمن أتى منهم حدا أقيم عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة له كما عرّف (٤) وأمثاله .

قال : وينبغي لكل مسلم مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله تعالى في قوله : ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر عن أهل البيت أن الله قد عفا عنهم فيه ، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وأوجب ابن عربى محبة أهل البيت استجابة لطلب النبي ﷺ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وفى ذلك صلة الأرحام ، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأل فيه مما هو قادر عليه بأى وجه يلقاه غدا ويرجو

(٢) الفتوحات المكية ٨ / ١٧٠ .

(١) غافر : ٤٦ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

(٤) ماعز : صحابى اسمه ماعز بن مالك الأسلمى ، أصاب حدا ، فذهب إلى النبي ﷺ

وطلب منه أن يقيم عليه الحد ، وأصر على ذلك . أسد الغابة ٨ / ٥

شفاعته ؟ وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه المودة فى قرابته فكيف بأهل بيته فهم أخص القرابة ؟ (١) .

حقا ، لقد أثرت آراء الصوفية هذه فى الأفكار الشيعية ، ويقرر الدكتور أحمد محمود صبحى ذلك بقوله : « كان التصوف وما زال همزة الوصل بين مختلف الفرق خصوصا بين أهل السنة والشيعية ، ليس لأن الصوفية من أهل الحلول الوسطى وإنما لأنهم يدفعون بالمريدين بعيدا عن المجادلات والمشاحنات ويميلون بهم إلى عدم الانتصار للنفس ، ومن ثم فقد أصبح التصوف يجمع بين أهل السنة والشيعية ، فضلا عن اعتناق أهل السنة منهم أفكارا شيعية معتدلة كأفضلية على - وقد رأينا رأى ابن عربى فى ذلك ونسبتهم طريقتهم إليه » (٢) .

ثم يقول فى ص ٩٤ من كتابه : التصوف إيجابياته وسلبياته : ولكن الدور الإيجابى البناء للتصوف إنما لزم عن أثر التصوف فى التشيع ، إذ تمكن من تخفيف غلواء عداوة الشيعة لأهل السنة ، فلطالما أخذ على الشيعة أنهم أكثر فرق المسلمين طعنا فى كبار الصحابة ، وماذا يكون أكثر إثارة لأهل السنة من سب الشيخين وتجريح الصحابة الذين لم يشهدوا خلافة على حتى يعارضوه كأبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ، فضلا عن الطعن لا فيمن حاربه فحسب كالزبير وطلحة وعائشة بل وفيمن اعتزله كسعد بن أبى وقاص وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر . وكيف لا ينقم أهل السنة على الشيعة وقد نسبوا إلى الإمام الباقر أن كل علم دنى من تفسير أو حديث أو فقه يؤخذ عن غير الإمام - بالمدلول الشيعى - فهو باطل ؟ وأن الله معذب كل رعية فى الإسلام لا تدين بموالاة إمامهم ؟

(١) الفتوحات المكية ٣/ ٢٢٩ .

(٢) التصوف إيجابياته وسلبياته . د/ أحمد محمود صبحى ص ٩١ .

هكذا اشتعلت نار العداوة والبغضاء بين أهل السنة والشيعة . . وزادت نار العداوة والبغضاء اضطراباً إلى أن تقدم التصوف مؤدياً دوره المشهور . ولا ترجع مقدرة الصوفية على التوفيق لمحاربتهم شرور النفس بما فى ذلك الغضب والإحزن وإثارة الأحقاد فحسب ، وإنما لما فى طبيعة التصوف من تناقض ، إنه إذا أمكن اجتماع النقيضين أو بالأحرى انبثاق النقيض عن النقيض - وكان ذلك نسقاً - فكيف لا يمكن الجمع بين طائفتين من المسلمين ما دام ذلك واقعا ممكناً ؟!

لقد تسامى كمال الدين هيثم البحرانى ت ٦٧٩ هـ وهو من أفضل علماء الشيعة بفضل تصوفه بكثير من معتقدات الشيعة الاثنى عشرية فاستحال مفهوم التبرى الشيعى ( أى البراءة من أعداء الأئمة ) إلى معنى صوفى بحث هو براءة الإنسان من حوله وقوته وعدم الالتفات إلى النفس بعين الرضا والتزكية ، كذلك اعتبر السب أمراً مبتذلاً يجب التخلّى عنه لأن ذلك كان فى زمن اقتضت فيه ظروف السياسة ذلك ، وأباح أخذ العلم عن أئمة أهل السنة ومنهم الغزالى مع خصومته للشيعة ( ويلاحظ أن الغزالى من أئمة الصوفية أيضاً ) .

وهكذا تمكن التصوف من أن يبدل تصورات الشيعة من أخلاق مغلقة لا تنضج إلا بروح التعصب والجمود إلى أخلاق مفتوحة يشيع فيها التسامح والصفاء . وما زال التشيع الآن يتأرجح بين تيارين متعارضين تيار يتقارب مع أهل السنة بفضل علماء الشيعة المتصوفة ، وتيار منغلّق يخشى على كيانه من التسامح والانفتاح بتأثير علمائه المتعصبين <sup>(١)</sup> .

وقد آن لنا الآن أن نعرف شيئاً عن علاقة الشيعة بأهل البيت .





## الشيعية وأهل البيت

### التشيع في اللغة

جاء في لسان العرب : الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع ، والشيعة الفرقة وجمعها شيع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ (١) .

والشيعة أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شيع ، وأشيع جمع الجمع ويقال شايعة كما يقال والاه .

ويقع لفظ الشيعة على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد .

### وفى الاصطلاح

غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته رضوان الله عليهم حتى صار هذا اللفظ اسما خاصا بهم ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم . وفى مذهب الشيعة كذا أى عندهم . وأصله من المشايعة أى المتابعة والمطاوعة .

قال الأزهرى والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبى ﷺ ويوالونهم .

### متى بدأت الشيعة ؟

بدأت الشيعة مع الخلافات التى ظهرت بشأن الخلافة ، فالذين شايعوا عليا وحاربوا معه وناصروه كانوا شيعته ، وهؤلاء اعتقدوا أنه الأحق بالخلافة ليس فقط حين توليها ، بل إنه أحق بها منذ قبض رسول الله ﷺ ولكن القوم اغتصبوا حقه .

واعتقد الشيعة أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيرهم لهم أو بتقية من عندهم .

وقال الشيعة : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن من أركان الدين لا يجوز للرسول إغفاله وإهماله ولا تفويضه للعامة وإرساله .

وقد تفرقت الشيعة إلى فرق كثيرة ، ولكن يجمعهم القول بوجود تعيين الإمام والتنصيب عليه . وعلى ذلك فلا بد أن يكون النبي ﷺ قد عين الخليفة القائم بعده ونص عليه وأنه هو على .

ويجمعهم أيضا القول بأن الأنبياء معصومون والأئمة كذلك معصومون وجوبا عن الكبائر والصغائر .

ويجمعهم أيضا وجوب موالة على وأهله والتبري من غيره قولا وفعلا وعقدا إلا في حال التقية ، إلا أن الزيدية يخالفون بقية الشيعة في ذلك .

ويذكر العاملي في كتابه « أعيان الشيعة » أن الشيعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، وكان قد لقب بالتشيع جماعة من الصحابة منهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر . ويرد بذلك على ابن النديم في كتابه الفهرست من أن الشيعة لم يبدأ ظهورهم إلا من يوم موقعة الجمل .

قال ابن النديم : قال محمد بن إسحاق : لما خالف طلحة والزبير على علي رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان ، وقصدهما على عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله - جل اسمه - تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول : شيعتي ، وسماهم عليه السلام الأصفياء (طبقة) والأولياء (طبقة) وشرطة الخميس (طبقة) والأصحاب (طبقة) .

ومعنى شرطة الخميس أن عليا رضى الله عنه قال لهذه الطائفة :  
تشرطوا فإنما أشارتكم على الجنة ولست أشارتكم على ذهب ولا فضة ،  
إن نبيا من الأنبياء فيما مضى قال لأصحابه : تشرطوا فإنى لست  
أشارتكم إلا على الجنة (١) .

وفى الواقع أن عليا رضى الله عنه ناصره كثير من الصحابة فى خلافه  
مع طلحة والزبير ومعاوية ، لأنهم كانوا يعتقدون بأحقية فى الخلافة بعد  
مبايعة الناس له عقب مقتل عثمان رضى الله عنه وأن الخارجين عليه يجب  
قتالهم لأنهم منشقون على الوحدة مفرقون للجماعة .

وهذا لا يمنع أن بعضهم كان يميل إليه بادئ ذى بدء ، ويرون أنه كان  
أولى بالأمر عقب وفاة الرسول ﷺ إلا أن عليا ثبت عنه أنه لم ينكر على  
أبى بكر خلافته لأنه رأى النبى ﷺ قدمه ليؤم الناس فى الصلاة والصلاة  
عماد الدين ، فمن ارتضى للدين فهو مرتضى للدنيا .

وتشيع الناس لعلى وقتذاك إنما هو تشيع الذين يريدون دفع الظلم  
وإقرار الحق ، وما كان هناك مفر من قتال من شق عصا الطاعة على الإمام  
المنتخب الذى بايعه الناس جميعا ، ولم يكن بد من قتال معاوية وأنصاره  
لأن معاوية لم يبايعه أحد ، وهو يطلب الحكم للدنيا ، وعلى يطلبه  
للدن .

هذه حجة من ناصروا عليا رضى الله عنه وشايعوه ، وكان تشيعهم  
نزعة عاطفية مبنية على أساس متين من الحق والعدل والدين ، ولم  
يتخلف عن على إلا من خشى الفتنة التى حذر النبى ﷺ عاقبتها ، ثم لم  
يلبث كثير من المتخلفين أن ندموا على تخلفهم .

يقول الرواة : حين قتل عثمان وبويع على خرج حذيفة بن اليمان إلى

مسجد الكوفة ونادى مناديه : الصلاة جامعة . فوضع حذيفة على المنبر - وكان عليلا - فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن الناس قد بايعوا عليا ، فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا وآزروه ، فوالله إنه لعلى الحق أولا وآخرا وإنه خير من مضى بعد نبيكم ومن بقى إلى يوم القيامة ، ثم أطبق يمينه على يساره وقال : اللهم أشهد أنى بايعت عليا .

هكذا كان مشايعو على رضى الله عنه يقاتلون معه ويناصرونه احتسابا لوجه الحق وابتغاء لرضوان الله حتى ابتلى بفرقتين :

أحدهما الخوارج الذين خرجوا عليه وأجبروه على قبول التحكيم ثم قاتلوه وكفروه .

والأخرى بعض شيعته من المتطرفين الذين غالوا فى حبه وحب ذريته وقالوا فيه ما هو برئ منه .

وروى صاحب المحاسن والمساوى عن على رضى الله عنه قوله : هلك فى رجلان عدو مبغض ومحب مفرط . وقوله : ليحبنى أقوام حتى يدخلهم حبى النار ويبغضنى أقوام حتى يدخلهم بغضى النار هم الرافضة والناصبية ، وروى عن فاطمة رضى الله عنها قالت : دخل على على رضى الله عنه وأنا عند النبي ﷺ فقال : أبشر يا أبا الحسن أما إنك فى الجنة وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يرفضون الإسلام يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون<sup>(١)</sup> .

### ابن سبأ ودوره

وقد بدأت هذه المغالاة فى الإمام على بعبد الله بن سبأ اليهودى الذى يطلق عليه ابن السوداء وكان من أهل صنعاء يهوديا وأسلم فى السنة



السابعة من خلافة عثمان رضى الله عنه وسرعان ما ظهر فى ثوب الغيور على الدين مما أدخل الشك على المؤرخين لاسيما العرب منهم ، وجعلهم يعتقدون أنه إنما اعتنق الإسلام ليضل المسلمين ويكيد للإسلام ، وأنه كان أقوى العوامل لإثارة الناس على عثمان ونشوب الفتنة الكبرى التى كان لها ما بعدها .. لقد أخذ ينتقل فى البلاد الإسلامية فبدأ بالحجاز ثم البصرة فالكوفة ومنها إلى الشام فمصر ، ولما وفد على الشام قابل أبا ذر الغفارى فوجد فيه الرجل الذى ينشده ، فأثاره ضد عثمان ، مما مهد للفتنة الكبرى التى ذهب ضحيتها عثمان رضى الله عنه سنة ٣٥ هـ .

وأخذ ابن سبأ ينشر دعوته التى ألبسها ثياب الدين ضد عثمان واتصل بالثائرين فى الكوفة والبصرة وتبادل معهم الكتب والرسل ، وبعث الدعاة يدعون لعلى بن أبى طالب ، واستطاع أن يؤثر فى نفوس الناس المتحمسة لآل البيت ، حتى هبوا العقول إلى الاعتقاد بأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق (١) .

ولم يكن من الصعب على ابن سبأ أن يقوم بتنفيذ مخططه بعد أن ساعدت الظروف على ذلك .. فلما تولى على الخلافة بدأ مخططا جديدا زعم فيه أن عليا حل فيه الإله ، وقال له : أنت أنت ، يعنى أنت الإله ، فأنكر على عليه ذلك ، ويقال إنه حرق من يقول ذلك بالنار ، ونفى ابن سبأ إلى المدائن ، وكان ابن سبأ فى يهوديته يقول عن يوشع بن نون وصى موسى عليه السلام ما قاله فى على رضى الله عنه .

وهو أول من قال بالنص فى إمامة على ومنه انشعبت أصناف الغلاة فى التشيع ، ومن مزاعمه التى يحكيها الشهرستانى فى كتابه (٢) أنه زعم

(١) آل البيت فى مصر ص ١٩٣

(٢) الملل والنحل .

أن علياً حتى لم يمت ، ففيه الجزء الإلهي ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملؤها عدلاً بعد أن ملئت جوراً .

وقد أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد استشهاد علي رضي الله عنه وفرقة هذه هي التي عناها الشاعر إسحاق بن سويد العدوي في قوله :

برئت من الخوارج لست منهم      من الغزاة منهم وابن باب  
ومن قوم إذا ذكروا علياً      يردون السلام على السحاب  
ولكني أحب بكل قلبي      وأعلم أن ذاك من الصواب  
رسول الله والصديق حبا      به أرجو غداً حسن المآب (١)

وفرقه ابن سبأ أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة والتناسخ وهي معتقدات باطلة ظهرت في الفرق الشيعية المختلفة على تعاقبها .

وتأول ابن سبأ كلمة على غير حقيقتها قالها عمر رضي الله عنه حين فقأ على عين رجل في الحد في حرم الله ، وقد رفعت القصة إلى عمر فقال : ماذا أقول في يد الله فقأت عينا في حرم الله . فقال ابن سبأ : وأطلق عمر اسم الألوهية عليه لما عرف منه ذلك (٢) .

### إنكار أهل البيت على الغلاة

تشعبت الشيعة فرقا كثيرة ، وقال بعضهم قولاً منكراً جعل أهل البيت أنفسهم يتبرأون منهم ، وربما اندس بعض الانتهازين الذين يعملون لأنفسهم في صفوف الشيعة ، مستظلين براية أهل البيت كالمختار بن عبيد الثقفي الذي فهم حقيقته على بن الحسين ، فرفض أن يجيبه على رسالته

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٥ .

(٢) الملل والنحل ص ٣٦ .

التي كتبها إليه طالبا تفويضه في القتال باسمه ضد الأمويين ، وتبرأ منه محمد بن الحنفية حين اتضحت نيته أخيرا .

ومن مغالاة المختار في مذهبه الذي أورده مورد التهلكة قوله أنه يجوز البداء <sup>(١)</sup> على الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

قال ابن سعد في طبقاته : كان المختار لما قدم الكوفة أشد الناس على ابن الزبير وأعييه له ، جعل يلقي إلى الناس أن ابن الزبير كان يطلب هذا الأمر لابن الحنفية ثم ظلمه إياه ، وجعل يذكر ابن الحنفية وحاله وورعه وأنه بعثه إلى الكوفة يدعو له ، وأنه كتب له كتابا فهو لا يعدوه إلى غيره ، ويقرأ ذلك الكتاب على من وثق به ، وجعل يدعو الناس إلى البيعة لمحمد بن الحنفية ، فيبايعون له سرا ، فشك قوم ممن بايعه في أمره وقالوا: أعطينا هذا الرجل عهدنا أن زعم أنه رسول ابن الحنفية ، وابن الحنفية بمكة ليس منا ببعيد ولا مستتر ، فلو شخص منا قوم إليه فسألوه عما جاء به هذا الرجل عنه فإن كان صادقا نصرناه وأعناؤه على أمره ، فشخص منهم قوم فلقوا ابن الحنفية بمكة فأعلموه أمر المختار وما دعاهم إليه ، فقال : نحن حيث ترون محتسبون ، وما أحب أن لى سلطان الدنيا بقتل مؤمن بغير حق ، ولوددت أن الله انتصر لنا ممن شاء من خلقه فاحذروا الكذابين وانظروا لأنفسكم ودينكم . فانصرفوا على هذا <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن سعد أخبرنا عيسى بن دينار المؤذن قال : سألت أبا جعفر عن المختار فقال : إن على بن الحسين قام على باب الكعبة فلعن المختار ، فقال رجل : جعلنى الله فداك تلعنه وإنما ذبح فيكم ؟ فقال : إنه كان كذابا يكذب على الله ورسوله <sup>(٣)</sup> .

(١) البداء : استصواب شئ علم بعد أن لم يعلم وذلك غير جائز على الله تعالى الله

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ قسم ١ ص ٧٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٨

وقال يحيى بن سعيد : سمعت على بن الحسين - وكان أفضل هاشمى أدركته - يقول : أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا ، وفى رواية : أحبونا حب الإسلام **فوالله** ما زال حبكم بنا حتى بغضتمونا إلى الناس .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن موهب : جاء نفر إلى على بن الحسين فأتوا عليه فقال : ما أكذبكم وما أجراكم على **الله** ، نحن من صالحى قومنا ، وبحسبنا أن نكون من صالحى قومنا .

ولم يرض أهل البيت عن شىء مما قاله فيهم شيعتهم مما لا يوافق طبيعة البشر ، وأبى تواضعهم الجرم ومعرفتهم لأقدار أنفسهم إلا أن ينكروا على هؤلاء الغلاة مغالاتهم ، ويتبرءوا مما يقولونه فيهم ، وما أشبه هؤلاء المغالين بالدبة التى قتلت صاحبها وهى تحسب أنها تحبه وتدفع عنه .

كان أهل البيت لا يعرفون فى أنفسهم إلا أنهم بشر لهم حظهم من الصواب والخطأ ، وكانوا لا يقصرون فى العبادة بل كانوا يبالغون فيها ويؤدونها على أكمل وجه من الإتقان والإخلاص الذى أوجبه **الله** .

كان على بن الحسين إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فسئل عن ذلك فقال : أما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجى ؟ واشتعلت النار مرة فى منزله وهو ساجد ، وانشغل الناس بإطفائها ولم ينفتل من صلاته . وبعد أن فرغ من صلاته أخبروه بوقوع الحريق وإطفائه ، فقال : لقد شغلتنى عن هذه النار النار الكبرى .

وكانوا يجلسون فى مجالس العلم يسألون العلماء فى أمور دينهم ، فلم يزعم واحد منهم أنه بلغ النهاية فى العلم ، وما أضافه إليهم شيعتهم بأنهم أوتوا علم ما كان وما سيكون فهو من باب التقول والافتراء عليهم . قال مسعود بن مالك : قال لى على بن حسين : ما فعل سعيد بن جبير ؟ قال : قلت صالح - وذلك قبل أن يقتل - قال : ذاك رجل كان يمر بنا



فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق (١) .

وكان على يجالس أسلم مولى عمر ، فقال له رجل من قريش : تدع قريشا تجالس عبيد بنى عدى ؟ فقال على : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع (٢) .

وإن أهل البيت أروع من أن يتكلموا على قرابتهم من رسول الله ﷺ وهم قدروا قوله : يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا .

روى الفضيل بن مرزوق قال : سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل ممن يغلو فيهم : ويحكم ، أحبونا الله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فأبغضونا . قال : فقال رجل : إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته . فقال : ويحك لو كان الله مانعا بقرابة من رسول الله ﷺ أحدا بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أبا وأما ، والله إنى لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ، وإني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين ، ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ، ونحن نرضى به منكم . ثم قال : لقد أساء بنا آباؤنا إن كان هذا الذى تقولون من دين الله ثم لم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه .

قال : فقال له الرافضى : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلى مولاه ؟ » قال : أما والله أنه لو يعنى بذلك الإمرة والسلطان لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ، ولقال لهم : أيها الناس هذا وليكم من بعدى ، فإن أنصح الناس كان للناس رسول الله ﷺ ، ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله

(١) الطبقات الكبرى ج ٥ قسم ١ ص ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق .

اختاروا علياً لهذا الأمر والقيام بعد النبي ﷺ إن كان لأعظم الناس في ذلك خطيئة وجرمًا إذ ترك ما أمره به رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره أو يعذر فيه إلى الناس (١) .

جاء في محاضرات الأدباء : قال يحيى بن زيد بن علي : نحن من أمتنا بين أربعة أصناف ، ظالم لنا حقنا ، وبالع بن فوق قدرنا ، ومعطينا ما يجب لنا ، وحامل علينا ذنب غيرنا (٢) .

لطالما نصح أهل البيت لأشياعهم وطالبوهم ألا يضعوهم فوق منزلتهم وألا يقولوا عليهم وفيهم غير الحق .

ولم يكن عند أهل البيت علم بما زيفه هؤلاء على ألسنتهم من ضلالات أضلوا بها أنفسهم وأضلوا بها غيرهم .

### من الأقوال الضالة

فليس في الإسلام رجعة أو تناسخ كما يقول بعض الشيعة . قال ابن سعد في طبقاته : حدثنا زهير عن جابر قال : قلت لمحمد بن علي : أكان منكم أهل البيت أحد يزعم أن ذنبا من الذنوب شرك ؟ قال : لا ، قلت : أكان منكم أهل البيت أحد يقر بالرجعة ؟ قال : لا . قلت : أكان منكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر ؟ قال : لا فأحبهما وتولاهما واستغفر لهما (٣) .

وهذه التساؤلات من آثار الأفكار التي كان يدين بها بعض الشيعة ويروجون لها . وكان محمد بن علي يقول : اللهم إني أبرأ إليك من المغيرة بن سعيد وبيان .

(١) الطبقات الكبرى ج ٥ قسم ١ ص ٢٣٥ .

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ٢/ ٢١٥ .

(٣) الطبقات ج ٥ قسم ١ ص ٢٣٦ .

أما المغيرة بن سعيد العجلي فقد زعم أن الخلافة بعد محمد بن علي بن الحسين في محمد الملقب بالنفس الزكية الخارج بالمدينة ، وزعم أنه حتى لم يمت .

وكان المغيرة هذا مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، وادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ، ثم ادعى النبوة واستحل المحارم ، وغلا في حق علي - رضى الله عنه - غلوا شديدا لا يعتقده عاقل (١)

وأما بيان فهو بيان بن سمعان التميمي ، وهو من الغلاة القائلين بألوهية أمير المؤمنين علي رضى الله عنه قال : حل في علي جزء إلهي واتحد بجسده ، فبه كان يعلم الغيب ، وبه كان يحارب الكفار ، وبه قلع باب خيبر .

وقد قتله خالد بن عبد الله القسرى على ذلك ، وقيل أحرقه بالنار (٢).

قال ابن سعد : أخبرنا فضيل بن مرزوق قال : سألت عمر بن علي وحسين بن علي عمي جعفر قلت : هل فيكم أهل البيت إنسان مفترضة طاعته تعرفون له ذلك ، ومن لم يعرف له ذلك فمات مات ميتة جاهلية ؟ فقالوا : لا والله ما هذا فينا ، من كان قال هذا فينا فهو كذاب . قال : فقلت لعمر بن علي : رحمك الله إن هذه منزلة تزعمون أنها كانت لعلي ، إن النبي ﷺ أوصى إليه ، ثم كانت للحسن ، إن عليا أوصى إليه ، ثم كانت للحسين ، إن الحسن أوصى إليه ، ثم كانت لعلي بن الحسين إن الحسين أوصى إليه ، ثم كانت لمحمد بن علي إن عليا أوصى إليه . فقال : لما مات أبي فما أوصى بحرفين ، قاتلهم الله ، والله إن هؤلاء إلا متاكلون بنا . هذا خنيس الخروء قلت : ما خنيس الخروء ؟ قال :

(١) الملل والنحل ٣٧٣.

(٢) الملل والنحل ص ٢٩٧ .

قلت : المولى بن خنيس ؟ قال : نعم ، المولى بن خنيس ، والله  
لفكرت على فراشي طويلا أتعجب من قوم لبس الله عقولهم حين أضلهم  
المولى بن خنيس (١) .

لقد تطورت الشيعة فى تعاليمها ، وخرج كثير من فروعها عن الجادة  
حتى نشأت منهم فرقة الإسماعيلية الباطنية ، والقرامطة ، وحتى ظهرت  
من أعقاب تلك التعاليم تعاليم يبرأ منها الدين والعقل السليم .

وقد علل الإمام الشوكانى - رحمه الله - فى كتابه « قطر الولى فى  
معرفة الولى » لظهور هذه الطوائف الغالية بقوله : اعلم أن بقايا المجوس  
وطوائف الشرك والإلحاد لما ظهرت الشريعة الإسلامية ، وقهرتهم الدولة  
الإيمانية والملة المحمدية ، ولم يجدوا سبيلا إلى دفعها بالسيف ولا باللسان  
ولا بالحجة والبرهان ستروا ما هم فيه من الإلحاد والزندقة بحيلة تقبلها  
الأذهان ، وتدعن لها العقول فانتموا إلى أهل البيت المطهرين وأظهروا  
محبتهم وموالاتهم كذبا وافتراء ، وهم فى الباطن أعظم أعدائهم وأكبر  
المخالفين لهم ، ثم كذبوا على أكابرهم الجامعين بين العلم والدين  
المشهورين بالصلاح والرشد ، فقالوا : قال الإمام فلان كذا ، وقال الإمام  
فلان كذا ، وجذبوا جماعة من العامة الذين لا يفهمون ولا يعقلون  
فتدرجوا منهم بدعوات معروفة وسياسات شيطانية ، وما زالوا ينقلونهم  
من رتبة إلى رتبة ، ومن درجة إلى درجة حتى أخرجوهم إلى الكفر  
البراح والزندقة المحضة والإلحاد الصراح ، فعند ذلك ظهرت لهم دول  
منها دولة اليمن التى قام بها على بن الفضل الملحد ، وكذلك منصور بن  
حسن الخارج معه من عند رأس الملحدة ميمون القداح ، فملك بعض  
الديار اليمنية ، ونشر الدعوة الباطنية بالسيف كما نشرها على بن الفضل  
... وتصدى لهؤلاء الإمام الهادى يحيى بن الحسين من سلالة أهل البيت



فصاويلهم وجادلهم وقاتلهم حتى كفهم عن كثير من البلاد ، وبقي للإسلام رسمه وللدین اسمه ، ولولا أن حفظ الله دينه بذلك لصارت اليمن بأسرها قرمطية باطنية (١) .

لقد بلغ من جرأة هؤلاء القرامطة أن سفكوا دماء المسلمين في الأشهر الحرم ، وقتلوا الحجاج ، واقتحموا الحرم المكي والمسجد الحرام ، وملأوه بالحث ، وردموا بثر زمزم ، واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه ، وصعد شيطانهم فوق البيت الحرام وهو يقول :

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأننا حججنا حجة جاهلية محللة لم تبق شرقا ولا غربا

أى دخلوا البيت الحرام بملايس الحل فى أشهر الحج ودون أن يحرموا .

وقال مخاطبا الحجاج : يا حمير أنتم تقولون من دخله كان آمنا ، ثم قلع الحجر الأسود وحمله معه إلى هجر .

ثم أطفأ الله شرهم وأخذتهم فى آخر المدة جيوش التتر الخارجين على الإسلام فكان فى هذه المحنة منحة . . أذهب الله بها هذه الطائفة الخبيثة ثم عاد للإسلام مجده كما كان واعتنق ملوك التتر الإسلام وكانت العاقبة للدين (٢) .

وحديثنا هنا ينصرف إلى الشيعة المتطرفين الذين خرجوا بتشيعهم عن الطريق السوى فى موقفهم من أهل البيت ، ونظروا إليهم نظرة لا يقرها الدين ، كان وراءها فلسفات وافدة وأفكار غريبة وتطلعات شعوية تدين بمعتقدات متوارثة .

(١) قطر الولى فى معرفة الولى ص ٢٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٣ .

ولكنه لا ينكر أن كثيراً من الشيعة كانوا معتدلين مخلصين فى ولائهم لأهل البيت غير متطرفين فى حبهم لهم ، لم يخرجوا بهم عن حدود البشرية ، وليست لهم مطامع خاصة من وراء هذا التشيع . ومن هؤلاء من أبلوا بلاء حسناً فى الدفاع عنهم وناصروهم بأنفسهم واقتدوهم بأرواحهم وجاهدوا تحت رايتهم واستشهدوا فى سبيل قضيتهم ، وسطرت لهم صفحات نقية فى البطولة والشجاعة والتضحية ولاقى كثير منهم العنت والعذاب ومصادرة الأموال .

ومنهم من كانت لهم أشعار رائعة فى مدح أهل البيت ورثاء شهدائهم، نذكر من ذلك على سبيل المثال قول الكميت بن زيد :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ	ولا لعباً منى وذو الشيب يلعبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى	وخير بنى حواء والخير يطلبُ
إلى نفر البيض الذين بحبهم	إلى الله فيما نالنى أتقرب
بنى هاشم رهط النبى فإننى	بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خففت لهم منى جناح مودة	إلى كُتِف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء	مِجَنَّا على أنى أذمُّ وأقصَبُ (١)

وقوله :

وهات الثناء لأهل الثناء	بأصوب قولك فالأصوب
بنى هاشم فهم الأكرمون	بنو الباذخ الأفضل الطيّب
ولياهم فاتخذ أولياء	من دون ذى النسب الأقرب
وفى حبهم فاتهم عاذلاً	نهاك ، وفى حبهم فاحطب (٢)

(١) هاشميات الكميت ١٥ .

(٢) الهاشميات ص ٥٧ .

إن الصورة المثلى لأهل البيت تتضمن أن تقوم علاقتنا بهم على أساس الحب لهم والافتداء بهم في أخلاقهم الطاهرة والسير على نهجهم الكريم إن الله - جل وعلا - جعلهم في موضع القدوة ، ورفع منزلتهم وطهرهم من الرجس تطهيرا ، وهذا يعني أن نحفظ لهم هذه المكانة فلا نتجاوز بهم حدها أو نخرجهم من حيز البشرية التي فطر الله عليها الخلق جميعا بما في ذلك الأنبياء والمرسلون . غير أن الأنبياء والمرسلين أكرمهم الله بالعصمة دون غيرهم من آبائهم وذرياتهم ، وإن كان لأبائهم وذرياتهم - كما يقول المقريزي في كتابه « فضل أهل البيت » - الرجاء في اللحاق بآبائهم في المثوبة والفضل .

### التشيع المرفوض

والتشيع لأهل البيت في حد ذاته ليس عيبا ما دام لا يتعدى الحدود الواجبة ، وقد أحب كثير من الأئمة والعلماء أهل البيت ، وللإمام الشافعي في ذلك أبيات وردت في ديوانه يقول فيها :

يا راكبا قف بالمحصب من منى      واهتف بقاعد خيفها والناهض  
سحرا إذا فاض الحبيب إلى منى      فيضاً كملتطم الفرات الفائض  
إن كان رفضا حُب آل محمد      فليشهد الثقلان أني رافضى (١)

ذلك أنه كان قد شاع في الأوساط حينئذ أن كل محب لأهل البيت إنما هو من الروافض الغالية ، فأراد الإمام الشافعي رضي الله عنه أن يصحح هذا الفهم ويبين أن حب أهل البيت لا يعني هذا الاتجاه السياسي المنحرف الذي غالى في أهل البيت هذه المغالاة التي أخرجتهم عن حدود البشر، وجعلت منهم طائفة خاصة لا يجوز في حقها ما يجوز في الناس .

والشافعي نفسه هو الذي يقول مصححا عقائد الناس وموجها لهم إلى أمثل الطرق :

شهدت بأن الله لا ربَّ غيره  
وإن عراً الإيمان قول مُبين  
وأن أبا بكر خليفة ربه  
وأشهدُ ربي أن عثمان فاضل  
أئمة قوم يُهتَدَى بهداهم  
لَحَى اللهُ من إياهم يتنقص (١)

وكان الشافعي قد أحس أن أحكام الناس لا تصدر عن روية وتعقل ،  
فإنهم يهتمون من أثنى على أبي بكر بأنه من النواصب الذين يناصرون عليا  
العداء ، ويهتمون من يثنى على عليّ بأنه من الروافض ، ولذلك صور  
هذا الموقف بين الأحكام المتضاربة بقوله :

إذا نحن فضلنا عليا فإننا  
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته  
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما

ويقرر ذلك أيضا قائلا :

إذا في مجلس نذكر عليا  
يقال تجاوزوا يا قوم هذا  
برئت إلى المهيمين من أناس  
وسبطيه وفاطمة الزكية  
فهذا من حديث الرافضية  
يرون الرفض حب الفاطمية (٣)

(١) الديوان ٨٨ .

(٢) الديوان ١٠٦ .

(٣) الديوان ١٢٦ .



ومع ذلك فحب آل البيت الخالص هو منهج المسلم الحق ويقرر الشافعى ذلك بقوله

يا آل بيت رسول الله **حُبُّكُمْ** فرض من الله فى القرآن أنزله  
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له  
ويقصد أن الصلاة على النبى **ﷺ** وعلى آله فى الصلاة بعد التشهد  
أساس فى صحة الصلاة .

وهذا الموقف الذى يقفه الشافعى من أهل البيت يبين ما يليق بالمسلم  
فى عقيدته السليمة التى ينبغى ألا تتجاوز بأقدار البشر حدودها المرسومة  
وآلا يكون الارتفاع بالمنزلة على حساب منزلة أخرى - كما فعل كثير من  
المشايخين والنواصب والخوارج .

وشبيه بالشافعى فى ذلك بديع الزمان الهمدانى الذى رماه أبو بكر  
الخوارزمى بأنه من النواصب وأنه يكره على بن أبى طالب رضى الله عنه  
فقال فى ذلك :

يقولون لى : لا تحب الوصية  
أحب النبى وآل النبى  
وأعطى الصحابة حق الولاء  
فإن كان نصباً ولأء الجميع  
وإن كان رفضاً ولأء الوصى  
فله أنتم وبهتانكم  
وإن كنتم من ولأء الوصى  
يرى الله سرى إذا لم تروه

فقلت : الثرى بقم الكاذب  
وأحتفى آل أبى طالب  
وأجرى على السنن الواجب  
فإنى كما زعموا ناصبى  
فلا برج الرفض من جانبى  
ولله من عجيب عاجب  
على العجب كنت على القارب  
فلم تحكمون على الغائب؟

ألا تبصرون لرشد معى      ولا تهتدون إلى الله بى  
أعزُّ النبیِّ وأصحابه      فما المرء إلا مع صاحب  
أیرجو الشفاعة من سبهم ؟      بل المثل السوء للضارب  
حنانیک من طمع بارد      ولبيك من أمل كاذب  
یوقی المکاره قلبُ الجبان      وفى الشبهات يدا الحاطب (١)

### من الفرق الغالية فى الشيعة

يقول الشهرستانى : من الشيعة هؤلاء الذين غالوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق .

وقد اقتبس هؤلاء مذهبهم من مذاهب الفلاسفة والمجوس واليهود والنصارى . حيث شبه اليهود الخالق بالخلق ، وزعموا كما ورد فى التوراة التى فى أيديهم بعد أن حرفوها أن الإله فى صورة بشر يأكل ويشرب ويلعب - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

وشبه النصارى الخلق بالخالق حيث زعموا فى عيسى عليه السلام أقوالا يبرأ هو منها وأشار إليها القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٢) .

وما زالت الأفكار الفلسفية تتطور حتى كادت تنحصر فى أقوال الشيعة بين التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ .

(١) ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر فى الملح والنوادر للحصري ص ٢٠٨ .

(٢) المائدة : ١١٦ .

ومن العجيب أن يلتقى فكر المعتزلة مع أفكار الشيعة ، مع أن الاعتزال قائم على العقل والمنطق ، و لكن العقل إذا تعدى حدوده جمع وأداه ذلك إلى اختراع مقولات قد تتطور إلى معتقدات .

بل الأعجب أن يلتقى فكر بعض السلفيين مع أفكار الشيعة فى التشبيه عندما يأنف هؤلاء من تأويل النصوص التى يفهم من ظاهرها التشبيه مثل قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١) ، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢) . وفى الحديث الشريف : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » وغير ذلك من الآيات والأحاديث التى يأخذونها على ظاهرها .

وقد جرت عادة جمهور العلماء من أهل السنة أن يؤولوا ذلك ، قال العلامة اللقانى :

**وكل نص أوهم التشبيهها أوله أو فوض ورم تنزيها**

فيقولون فى مثل قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إنه استواء لأنعلمه ، أو أن الاستواء بمعنى الاستيلاء والملك كما جاء فى قول الشاعر :

**قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق**

أو بمعنى العلو والارتفاع كما فى قول الشاعر :

**فأوردتهم ماء بفيقاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى**

والتأويل فيه تنزيه للخالق - جلا وعلا - وهو الذى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٣) . ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٤) .

(٢) الفتح : ١٠ .

(٤) الأنعام : ١٠٣ .

(١) طه : ٥ .

(٣) الشورى : ١١ .

أما التشبيه فقد كان قول طائفة من الشيعة يطلق عليها السبائية ، وهم أصحاب عبد الله بن سبأ . وقد زعم هذا اليهودى أن عليا كرم الله وجهه هو الإله ، وقد نفاه على إلى المدائن حين قال له : أنت أنت ، أي أنت الإله .

وهو أول من قال بالنص فى إمامة على رضى الله عنه ومن هذا اليهودى وقولته ظهرت أقوال الغلاة بعد ذلك .

وزعم عبد الله بن سبأ أن عليا لم يميت ، إذ كيف يموت من حل فيه الجزء الإلهي ، وأنه هو الذى يجيئ فى السحاب وأن الرعد صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وهذه الطائفة الشيعية تزعم الغيبة والرجعة ، بمعنى أن الإمام قد يغيب ثم يرجع ، وتزعم تناسخ الجزء الإلهي فى الأئمة بعد على ، فينتقل هذا الجزء من إمام إلى إمام .

وقد ترك عبد الله بن سبأ الفرصة لمن جاء بعده فى تطوير فكرة التناسخ التى قال بها الكامليون ، وهم أصحاب أبى كامل .

قال أبو كامل : الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص ويختلف تكامله فى الأشخاص ، فقد يكون فى شخص نبوة ، وقد يكون فى غيره إمامة ، وقد تناسخ الإمامة فتصبح نبوة ، وقد تناسخ الأرواح وقت الموت ، وتناسخها يعنى انتقال الروح من جسد الميت إلى جسد آخر يحيا بها ، ومقتضى ذلك أن تتغير الأجساد وتتغير المخلوقات أيضا .

وهذه الفكرة مستوحاة من المجوسية والبرهمية والفلاسفة ، ولا علاقة للإسلام الذى قرر تكريم الإنسان بها .

ويتعلق بالتناسخ الحلول ، وهو قول خارج على المفهوم الإسلامى



الصحيح ، ولذلك اعتبر الصوفية الحقيقيون الذى يقول بالحلول ممن يتنسب إلى التصوف دخيلا عليهم ، وهم يبرأون منه ومن قوله . والحلول معناه أن يحل الله أجزء منه فى عبد من عباده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ولا أضلّ من طائفة فرّعت على هذه الأقوال قولا ضالا يزعم أن عليا الإله هو الذى بعث محمدا ﷺ بالرسالة ، وهؤلاء هم العلبيون أتباع العلباء بن ذراع الدوسى .

وتفاوت فهم هؤلاء فى ألوهية أهل البيت فمنهم من ألهم جميعا ومنهم من ألهم بعضهم .

ومفهوم ألوهية الإمام يقضى بعدم موته ، ولكنه يختفى إلى أجل سوف يظهر فيه ، وهذا ما يقوله أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي الذى قرر أن محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية هو الإمام بعد محمد بن على بن الحسين ، وأن النفس الزكية لم يمت .

ويبدو أن الفكرة راقّت له حتى ادعى الإمامة لنفسه ، ولم يقنع بذلك فادعى النبوة ، واستحل المحارم ، وغلا فى حق على غلوا شديدا . . وخطا خطوة أخرى كأنه يريد أن يصل منها إلى شىء فى نفسه ، فزعم أن الله تعالى صورة وجسم له أعضاء فى مثل حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب تنبع منه الحكمة .

وتأول آيات القرآن الكريم تأولا عجيبا مضحكا ، فقال فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ (١) . إن الأمانة هي منع إمامة على بن أبى طالب ، فأبين أن يحملنها ، ولكن الإنسان حملها وهو عمر بن الخطاب فمنعها من على وولاها أبا بكر بشرط أن يجعل له الأمر من بعده .

فانظر إلى هذا التعسف الذى أوحى به ذلك الضلال .

وأما البداء فقد جوزه - كما رأينا سابقا - المختار بن أبى عبيد الثقفى ، والبداء قد يكون فى العلم بأن يظهر الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - فى العلم خلاف ما علم .

وقد يكون فى الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم . وقد يكون فى الأمر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بشىء آخر بخلافه .

وذلك كله اجتراء على الله سبحانه وتعالى أوجبه الجهل بالحكمة وأدى إليه الضلال المبين .

وسبب اجتراء المختار على هذا القول هو أنه كان يزعم أنه يعلم ما يحدث من الأحوال بواسطة وحى أو رسالة من قبل الإمام ، فإذا لم يحدث ما أخبر به قال : قد بدا لربكم . يكبر عليه أن يكذب نفسه ، ويُجَوِّزُ حدوث هذا من الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

وكان المختار متشيعا لمحمد بن الحنفية ، ولكن محمد بن الحنفية تبرأ منه حين بلغه عنه أنه لبس على الناس بأنه من دعائه كما تبرأ من الضلالات التى ابتدعها .

ولا علاقة لأهل البيت بما أذاعه هؤلاء الغلاة الضالون وافتروه فى شأن الدين وفى حق أهل البيت ، والمعروف أن ابن الحنفية كان من أولى العلم والمعرفة المشهورين بالورع والزهد والتقوى وصواب الرأى ، ولكن الغلاة قالوا فى حقه ما لا يجوز ، ومن ذلك قول كثير عزة الشاعر فى شأن الإمامة التى ختمت بابن الحنفية .

ولا الحق أربعة سواء  
هم الأسباط ليس بهم خفاء  
وسبطٌ غيبته كربلاء

ألا إن الأئمة من قریش  
على والثلاثة من بنیه  
فسبطٌ سبطٌ إيمان وبر

وسبَّطَ لا يذوق الموت حتى      يقود الخيل يقدمه اللواء  
تَغَيَّبَ لا يَرى فيهم زمانا      برضوي عنده عسل وماء

وهل هناك ضلال أكثر من أن يخلع على المخلوق صفة الخالق فيزعم بأنه حى لم يمت وسيعود من مُغَيَّبٍ الذى يقيم فيه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بالماء والعسل ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ؟

### المتشيعون يدعون لأنفسهم

والتاريخ يحدثنا أن بعض الشيعة حين يتشيعون لأهل البيت لا يكون تشيعهم خالصاً لوجه الحق أو مدفوعاً بالحب الصادق لهم ، ولكنه الهوى الذى يجر إلى المنفعة المادية أو المغايم السياسية ، فهو تشيع استغلالى أشبه بالملتفين حول أولى المناصب الرفيعة أو المرشحين فى الانتخابات المختلفة ، لا يكون التفافهم إلا انتهاز الفرصة أو تحقيقاً لمصلحة .

والدليل على ذلك أن بعض المتشيعين قد يدعون لأنفسهم حين تنهياً لهم الظروف أو يجدون مطامحهم توشك أن تضيع . كان أبو منصور العجلي من زعماء المتشيعين لأبى جعفر محمد بن على الباقر ، وحين تَقَوَّلَ على الباقر بما لا يجوز تبرأ منه وطرده ، فانتهاز فرصة وفاة الباقر ودعا الناس إلى نفسه وقال إن الإمامة انتقلت إلى . وتسمى الطائفة التى تزعمها بين الشيعة باسم المنصورية نسبة إليه .

وبلغ الأمر به أن اخترع مقولات باطلة يزعم فيها أنه عُرِجَ به إلى السماء ، ورأى معبوده فمسح برأسه وقال له : يا بنى أنزل فبلغ عنى ، ومعنى ذلك أنه ابن الإله وأنه رسول ، ومؤدى ذلك أن الرسالة لم تنقطع بعد .

وتبدو الصلة واضحة بين هذه الآراء ومعتقدات النصارى ، بل إنه يرى أن أول ما خلق الله هو عيسى بن مريم عليه السلام ثم على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وكذلك ادعى أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدى الإمامة لنفسه حين تبرأ منه الإمام جعفر الصادق - وكان أبو الخطاب يتشيع له - لأن الصادق وقف على غلوه الباطل فى حقه ، فقد قال : إن الأئمة أنبياء بل هم آلهة ، وإن جعفر هو الإله فى زمانه ، وليس هو المحسوس الذى يرونه ، ولكنه لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها ، وهذا هو الحلول بعينه .

وقد قُتل أبو الخطاب فى أيام المنصور . قتله عيسى بن موسى حين كشف الناس خبث دعوته ، وورث بعض أتباعه الإمامة بعده إلى رجل منهم يقال له معمرٌ تنسب إليه الطائفة المعمرية التى أباحت الخمر والزنا وسائر المحرمات .

وبعضهم ورثها لرجل منهم يقال له بزيغ ، وقد زعم هذا أن كل مؤمن يوحى إليه وأن أصحابه أفضل من جبريل عليه السلام .

وبعضهم ورثها لرجل منهم يقال له عمير بن بيان العجلي ، تنسب إليه الطائفة العجلية ، نصبوا خيمة بكناسة الكوفة وعكفوا فيها يعبدون جعفر الصادق ، وقد صلب يزيد بن عمر بن هبيرة هذا الرجل بكناسة الكوفة .

وصرف أحمد بن الكيال الدعوة إلى نفسه بعد أن كان يتشيع لأحد دعاة أهل البيت بعد جعفر الصادق ، وحين انكشف أمره وظهرت بدعته لعنه أهل البيت وطردوه . فادعى الإمامة أولا ثم زعم أنه القائم بالأمير ثانيا وله مقولات باطلة ضالة أشار إليها الشهرستانى فى الملل والنحل .

ولم يكتف هؤلاء وأضرابهم بادعاء الإمامة حتى أتبعوا ذلك بالخروج والفتنة وادعاء أسماء الأئمة من أهل البيت .

وهذا صاحب ثورة الزنج الذى ثار بالبصرة وأعمل فيها النهب والسلب ، ادعى أنه على بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عيسى بن علو



ابن الحسين ، وعاث في الأرض فسادا . قال الذهبي <sup>(١)</sup> عنه : « وهو مطعون في نسبه ، بادر إلى دعوته سودان أهل البصرة وعبدها ، ومن ثم قيل فتنه الزنج ، والتف عليه كل شيطان واستفحل أمره وهزم الجيوش واستباح البصرة قتلا وسبيا ، وامتدت أيامه خمس عشرة سنة من سنة ٢٥٥هـ حتى سنة ٢٧٠هـ في خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل حتى قتله الموفق أخو المعتمد ، وقد أنشد يزيد بن محمد المهلبى فيه قوله :

أيها الخائن الذى دَمَّرَ البصرة      أبشر من بعدها بدمار  
إن تقل جدى النبى فما أنت      من الطيبين والأخيار  
قد نفى الله فى الكتاب ابن نوح      حين كان ابنه من الكفار

وقال الحصرى فى كتابه الجواهر <sup>(٢)</sup> : وإنما قال المهلبى هذا له قبل أن ينكشف أمره أنه دعى ، وقد حقق أبو بكر الصولى أمر انتحاله النسب فقال : حدثنى محمد بن أبى الأزهر وقد أذكرته خبر على بن محمد صاحب الزنج فقال : ادعى أنه علوى ولكنى نظرت مولده ومولد محمد بن أحمد الذى ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان لمحمد بن أحمد ولد سماه عليا مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان ، وقد رجع هذا المدعى عن هذا النسب فادعى أنه على بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان من ولد زيد بن على . قال أبو عبد الله محمد بن على بن حمزة : لم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره ، لأنه قتل ابن ثمانى عشرة سنة ولا ولد له ، وقال : بشر بن محمد بن السرى بن عبد الرحمن بن رحيب هو ابن عمر من أهل مخا ، وهو على بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من العجم من ضياع الري ،

(١) فى كتاب دول الإسلام ١/ ١٥٣ .

(٢) جمع الجواهر والملح والنوادر ص ١٥٤ .

وقال ابن الأثير فى الكامل : كان اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه فى عبد القيس ، وأمه بنت على بن رحيب بن محمد بن حكيم من بنى أسد بن خزيمه من قرى الرى .

قال الذهبى : قتل هذا الخبيث من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف ، وكان يصعد - لعنه الله - على المنبر فيسب عثمان وعلياً ومعاوية وعائشة وهذا اعتقاد الأزارقة الخوارج (١) .

وهذا يؤكد أن انتحاله التشيع أولاً ونسب العلويين ثانياً إنما كان بغية الظفر بمأربه ، والظاهر أنه كان زنديقاً يتستر برأى الأزارقة الخوارج فالشيعة فقد استباح حرمة المسلمين عامة والهاشميين خاصة .

ويبدو أن الناس قد استرابوا فى أمر الداعية باسم أهل البيت لما رأوه من زيف بعضهم . وحكى ابن خلكان (٢) أن المعز لدين الله الفاطمى حين جاء إلى القاهرة بعد فتح مصر على يد قائده جوهر كان يطعن فى نسبه ، فلما قرب من البلد وخرج الناس للقاءه اجتمع به جماعة من الأشراف ، فقال له عبد الله بن طباطبا : إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال المعز : سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا ، فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم ، وقال : هل بقى من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا : لم يبق معتبر ، فسلّ عند ذلك نصف سيفه وقال : هذا نسبى ، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا حسبى ، فقالوا جميعاً : سمعنا وأطعنا .

وقد ذكر ابن خلكان أقوالاً عدة فى نسبه ونسب آبائه ، وتحدث عن سياسته وعدله وعطائه فى مواضع مختلفة من كتابه .

(١) دول الإسلام ١/ ١٦٤ .

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٤٦٥ فى ترجمة عبد الله بن طباطبا .

### أقوال الغلاة الباطلة في حق الإله

وللغلاة أقوال باطلة لا تناسب مقام الألوهية العظيم ، وقد أشرنا إلى بعضها آنفا ، فغير ما تقدم من دعوى تشبيه الحق بالخلق وجواز البداء على الله تعالى لهم أقوال ينكرها الدين الخالص ويبرأ منها كل ذى عقل سليم وخلق قويم .

فمن ذلك ما يدعيه هشام بن الحكم وإليه تنتسب الطائفة الهاشمية الشيعية - وقد نسج على منواله هشام بن سالم الجواليقي - فقد قالوا : إن بين المعبود وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ، ولولا ذلك ما دلت عليه ، بل إن المعبود سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه فى مكان مخصوص وأنه على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت ، وهو نور ساطع يتلأأ ، وله حواس خمس ، ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء هى نور أسود ، لكنه ليس بلحم ولا دم ، ومن غريب قوله أيضا أن الإمام معصوم والنبي غير معصوم ، وحجته فى ذلك أن النبي بالوحي يتنبه إلى الخطأ فيتوب ، أما الإمام فلا يوحى إليه فيجب أن يكون معصوما حتى لا يخطئ .

### لماذا أفرغ التشيع فى فارس ؟

فكرة الشيعة التي تقول : إن الإمامة نصية ، وأنها أمر من الأمور اللازمة فى الدين فلا ينبغى أن تترك هملا ، بل يجب أن تتدخل السماء فى إقرارها ووضع قواعدها وتنظيمها هى فكرة قائمة على أساس أن الحاكم من طينة ممتازة غير الطينة التى خلق منها عامة البشر ، وأن الدماء التى تجري فى عروقه دماء زكية غير الدماء التى تجري فى عامة الناس ويمكن إدراك ذلك من خلعهم على الإمام صفات عليا حتى إنهم ليؤلهونه أو يجعلون الإله يحل فيه أو على الأقل يجعلونه معصوما لا يخطئ وهذه نزعات جاءت من عقيدة الفرس فى ملوكهم الذين كان الشعب يقدهم

وينظر إليهم نظرة التابع للمتبوع والعبد للسيد . جاء في كتاب ضحى الإسلام لأحمد أمين : « وتشيع قوم من الفرس خاصة لأنهم مروا أيام الحكم الفارسي على تعظيم البيت المالك وتقديسه ، وأن دم الملوك ليس من جنس دم الشعب ، فلما دخلوا في الإسلام نظروا إلى النبي ﷺ نظرة كسروية ، ونظروا إلى أهل بيته نظرتهم إلى البيت المالك ، فإن مات النبي ﷺ فأحق الناس بالخلافة أهل بيته <sup>(١)</sup> .

وقد ناقش الشيخ أبو الحسن الندوى <sup>(٢)</sup> منطق الشيعة هذا وفنده وأظهر أنه منطق ياباه الإسلام الذي سوى بين الناس وفاضل بينهم على أساس التقوى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> .



(١) ضحى الإسلام ٢٠٩/٣ .

(٢) راجع في ذلك كتابه : صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية ص ٨٠ .

(٣) الحجرات : ١٣



## أهم فرق الشيعة

### تقديم

جاء فى الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية (١) .

يقول الأستاذ على الشابى : إن أغلب المصادر السنية كمقالات الإسلاميين للأشعرى ، والفرق بين الفرق للبغدادى ، والتبصير فى الدين للإسفرائينى ، واعتقادات فرق المسلمين والمشرىين للفخر الرازى ، والفرق بين المفرىقين أهل الزىغ والزندقة للعراقى خلطت فى تقسيمها للشيعة واستخدمت بعض المصطلحات فى غير موضعها ، كإطلاق بعضها الرافضة على سائر فرق الشيعة ، وإقحامها الغلاة ضمن الفرق الإمامية وبالرجوع إلى مقدمة ابن خلدون وإلى المصادر الإسلامية ككتاب الرجال للكشى ، وفرق الشيعة للنوبختى ، والمقالات والفرق للأشعرى القمى يمكن تقسيم الشيعة إلى قسمين :

(١) الشيعة الغلاة كالسبئية ، والكيسانىة ، والكاملىة ، والمنصورىة ، والغرابىة ، والبزىغىة ، واليعقوبىة ، والأزدىة والبيانىة .

(٢) الشيعة المعتدلة وهم على قسمين :

أ - الإمامىة ويندرج تحتها : الاثنا عشرىة ، والإسماعىلىة .

ب - غير الإمامىة وهم الزيدىة .

والبلاد التى يقطنها الشيعة هى العراق ، وفارس ( إيران ) والهند ، وباكستان وكثر التشيع فى مصر على عهد الدولة الفاطمىة .

ويقول على مبارك : ولما صارت مصر إلى الأيوبىة وجلس على تختها صلاح الدين الأيوبى أبطل مذهب الشيعة من جميع الديار المصرىة ، وأقام بها مذهبى الإمام مالك والإمام الشافعى .

ونحاول إلقاء الضوء على بعض الفرق الشيعية دون إسهاب .

## التعريف بأهم الفرق الشيعية

### الزيدية

تنسب هذه الفرقة إلى الإمام زيد بن الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

ولد الإمام زيد سنة ٧٩ هـ ، وتوفى سنة ١٢٢ هـ فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى .

كان فقيها عابدا زاهدا شجاعا عالما .

ذكره ابن حبان فى الثقات ، وذكر أنه رأى بعض الصحابة ، فهو على هذا من التابعين ، ثم ذكره مرة أخرى فى أتباع التابعين . وقد ترجم له ابن الأثير وابن عساكر والذهبي وأرخ ولادته سنة ٧٦ هـ .

وروى عنه من الأئمة الثقات سفيان الثورى ، ومنصور بن المعتمر وشعبة بن الحجاج ، والزهري ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وأبو حنيفة وغيرهم .

وروى هو عن أبيه رضى الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وعن عروة بن الزبير وأبان بن عثمان وعن كثير غيرهم . وكان شغوبا بطلب العلم ورحل فى طلبه ، والتقى بواصل بن عطاء وعرف ما عنده .

وصل إلى منزلة عالية فى العلم ، وينسب إليه مذهب فقهي مشهور وله من الكتب المجموع الفقهي ، والمجمع الحديثي ، ويسمى المجموع الفقهي المسند .

قال عنه ابن حجر : ثقة من الطبقة الرابعة .

وأدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثالثة من التابعين وقال عنه : زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو الحسن الهاشمى العلوى المدنى أخو أبى جعفر الباقر وعبد الله وعمر وعلى وحسين ، وأمه أم ولد .

قال : الزركلى - فيما ترويه الموسوعة الذهبية : وقف المجمع العلمى فى ميلانو مؤخرا على مجموع فى الفقه مطبوع رواه أبو خالد الواسطى عن زيد بن على ، وإن صحت النسبة كان هذا الكتاب أول كتاب دون فى الفقه الإسلامى ، ومثله تفسير غريب القرآن ( مخطوط ) ولا بد من الثبوت من صحة نسبته إليه .

روى عن حذيفة قال : إن النبى ﷺ نظر إلى زيد بن حارثة وبكى وقال : « **إن المظلوم من أهل بيتى سمي هذا والمقتول فى الله والمصلوب من أمتى سمي هذا** » .

كان إمام هدى وتقوى ودين ، يتولى الأئمة السابقين ويعرف فضلهم ، فقد سئل من بعض أصحابه عن قوله تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ** (١٠) **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** (١١) ﴾ (١) فقال أبو بكر وعمر ، ثم قال : لا أنالنى الله شفاعة جدى إن لم أوالهما . وقال : أما أنا لو كنت مكان أبى بكر لحكمت مثل ما حكم أبو بكر فى فذك .

وقال أيضا : الرافضة حربى وحرب أبى فى الدنيا والاخرة .

### خروجه على هشام وسببه

جاء فى كتابنا « سيرة آل البيت » :

فى ضوء ما جاء فى مختلف المصادر من تضيق الأميين على أهل بيت رسول الله ﷺ ومحاولة إخراجهم وإسقاط منزلتهم بين الناس كان

خالد بن عبد الله القسرى أمير المدينة من قبل هشام بن عبد الملك يؤدى دوره فى هذا الصدد باجتهاد مع الإمام زيد بن على رضى الله عنهما ، ولكن لم يجد طائلا ، فقد كان زيد رضى الله عنه رجلا عاقلا فطنا يقطع الطريق على كل محاولات هذا الوالى التى كان يقوم بها فى تشويه صورة أهل البيت رضى الله عنهم .

ولكن لكل شىء حده فلما تفاقم الأمر توجه زيد بن على إلى دمشق فى محاولة لإنصافه من هذا الوالى الذى توالى مضايقاته وإهاناته لأهل البيت ، وطلب زيد مقابلة هشام ، ولكن هشاما لم يأذن له . وبقي أياما متطاولة فى دمشق ، وهشام لم يأذن له ، ويرفع الرقاع تلو الرقاع يطلب فيها السماح للقاء الخليفة ، ولكن الخليفة يوقع فى أسفلها : ارجع إلى منزلك .

ولكن كيف يرجع دون أن يعرض قضيته ؟ ولماذا تكلف متاعب الحضور إلى دمشق إذن ؟ لقد أصر على لقاء هشام مهما طالت مدة الانتظار .

وأخيرا أذن له هشام بعد طول انتظار .

وكان اللقاء فى مكان مرتفع يتوصل إليه بدرج .

وصعد زيد الدرج ، وتوقف فى بعض الدرج ليستريح وقال فى ضيق: لا يحب الدنيا أحد إلا ذل . ثم تابع صعوده .

وكان هشام قد جمع حوله أهل الشام فى محاولة لمضايقته .

فلما دخل زيد لم يجد مكانا يجلس فيه ، فجلس حيث انتهى به المجلس .

ولما رآه هشام جابهه بكلام فيه غلظه يريد أن ينال منه ويسقطه من أعين القوم الذين جمعهم حوله ، وكان مما قاله له : أخوك الباقر ؟ يهزا من هذا الاسم !! .



فرد عليه زيد قائلا : سماه النبي ﷺ الباقر الذى يبقر العلم ويستخرج زُبْدَه ، لشد ما اختلفتما فى الدنيا ولتختلفان فى الآخرة ، فاتق الله .

واستكثر أن يقول له زيد اتق الله . وأرغى وأزبد .

فقال له زيد فى هدوء : يا أمير المؤمنين ، ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر عن تقوى الله .

فقال له هشام : اسكت ، أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة وأنت ابن أمة تزوجها أبوك ؟!

وما كان زيد يفكر فى الخلافة أو يطمع فيها أو تحدّثه نفسه بها . ولكن الكلمة التى قالها لا بد لها من جواب مهما تكن النتيجة فقال له : إن لك عندى جوابا لو أردت .

قال هشام : أجب .

قال زيد : لا أعلم أحدا أفضل عند الله من نبي بعثه الله تعالى ، ولقد بعث الله نبيا أنجبته أمة تزوجها أبوه ، ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يبعثه ، وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، والنبوة أعظم من الخلافة عند الله ، ثم لم يمنعه الله من أن جعله أبا للعرب ، وأبا خير البشر محمد ﷺ ، وما يقصر برجل أبوه رسول الله ﷺ .

وفى رواية : وما على أحد من ذلك إذا كان جده رسول الله ﷺ وأبوه على بن أبى طالب .

فقال له هشام : أخرج .

فقال زيد : أخرج ثم لا ترانى إلا حيث تكره .

فوثب هشام من مجلسه ، وتفرق الشاميون عنه .

وقال هشام لحاجبه : لا يبيت هذا هنا أبدا .

فخرج زيد وهو يقول : ما كره قوم جر السيوف إلا ذلوا .

ثم خرج موليا وجهه نحو الكوفة .

لقد اضطر هشام زيدا إلى الثورة ، فقد حجب عنه لقاءه أياما متطاولة دون أن يأذن له ، وهو يعلم أنه قصده طالبا للإنصاف ، ومجلس الخلفاء قديما يتناصف الناس فيه فإذا به يضيق بأحق الناس في النصفة .

ولم يكتف هشام بحجب زيد ، بل تعمد أن يضيق عليه في المجلس ، وتعمد أن يثير مشاعره ويؤذيه بالكلام ويسخر منه ، واعتبر زيد ذلك كله إهانة لا يحق له أن يسكت عنها .

لقد خرج ساخطا ثائرا ميمما وجهه شطر الكوفة ، وهو يردد قول الشاعر :

بكرت تُخَوِّفُنِي الحتوفُ كَأَنِّي	أصبحت من غرض الحياة بمعزل
فأجبتها إن المنية مَنَهْلٌ	لا بد أن أسقى بكأس المنهل
إن المنية لو تُمَثَّلُ مُثَلَّتْ	مَثَلِي إذا نزلوا بضيق المنزل
فَأَقْنِي <sup>(١)</sup> حياءك لا أبالك فاعلمي	إني امرؤ سأموت إن لم أقتل

### في الكوفة

لقد سار إلى الكوفة التي سبق أن قتل فيها جده على بن أبي طالب رضى الله عنه ، واغتيل على أبوابها جده الحسين رضى الله عنه<sup>(٢)</sup> . ولكن كان له فيها على الرغم من ذلك أنصار وشيعة .

جاء في كتاب الكامل لابن الأثير : كانت بيعة زيد بن على التي يبايع

(١) فاقني : الزمى .

(٢) سيرة أهل البيت ٢/ ٤٢٧ .

عليها الناس : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفئ بين أهله بالسواء ، ورد المظالم ونصر أهل البيت : أتبايعون على ذلك ؟

فإذا قالوا : نعم . وضع يده على أيديهم ويقول : عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله ﷺ ، لتفين بييعتي ، ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لي في السر والعلانية .

فإذا قال : نعم ، مسح يده على يده ، ثم قال : اللهم اشهد . فبايعه خمسة عشر ألفا ، وقيل : أربعون ألفا . فأمر أصحابه بالاستعداد (١) .

### الأنبياء يتهمون

وجاءت ساعة الجد ، واتجه والى العراق يوسف بن عمر إلى زيد بن علي ، واستدعى الإمام زيد هؤلاء الذين بايعوه فإذا بهم يقولون له : ما قولك - رحمك الله - في أبي بكر وعمر ؟

فقال رضى الله عنه : غفر الله لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتي تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا . فرفضوه ، فسموا بالرافضة .

واشتعلت معركة بين زيد وقليل معه من أنصاره الذين لم يرفضوه مع جيش يوسف بن عمر ، وانتهت المعركة بمصرعه بعد قتال شديد استمر عدة أيام وقد أبلى زيد ومن معه بلاء حسنا وقتلوا من جنود العدو كثيرا . ولجأ العدو إلى استعمال السهام فأصاب سهم جبهة زيد فاستشهد رضى الله عنه ، ومثل بجثته ، واجتز رأسه وصلب جسده وطيف برأسه في

البلاد حتى استقر فى مصر ودفن فيها فى المسجد المعروف باسم والده زين العابدين رضى الله عنه (١) .

### علام يقوم مذهب الزيدية ؟

جاء فى كتاب « بيان للناس » الذى أخرجه الأزهري الشريف :

الزيدية يوجدون الآن فى اليمن ، ومذهبهم قريب من مذهب أهل السنة ، وهم وإن اعتقدوا أفضلية على بن أبى بكر وعمر أجازوا إمامة المفضول مع قيام الفاضل (٢) . وتعليل ذلك أشير إليه بقولهم :

كان على بن أبى طالب رضى الله عنه أفضل الصحابة ، إلا أن الخلافة فُوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها ، من تسكين نائرة الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة كان قريبا ، وسيف أمير المؤمنين على من دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد ، و الضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هى ، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد ، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن ممن عرفوا باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق فى الإسلام ، والقرب من رسول الله ﷺ ، ألا ترى أنه لما أراد فى مرضه الذى مات فيه تقليد الأمر لعمر بن الخطاب زعق الناس وقالوا : لقد وليت علينا فظا غليظا ، فما كانوا يرضون بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب لشدة وصلابته وغلظته فى الدين وفظاعته على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر بقوله : لو سألنى ربى لقلت : وليت عليهم خيرهم لهم (٣) .

(١) راجع تفصيل المعركة فى المرجع السابق .

(٢) بيان للناس ١٢ / ٢ .

(٣) الموسوعة الذهبية ٢٦ / ٣٠ .



ولكن هذا تعليل سياسى لتقديم أبى بكر فى الخلافة على على رضى الله عنه .

والذى حدث لم يكن كذلك . فما كان فى ذهن على ولا أبى بكر ولا أحد هذا الذى يقولونه . لم يكن هناك تفكير أو مقارنة بين المختارين ، بل الأمر جاء عفو الخاطر دون ترتيب أو إعداد حين اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليولوا سعد بن عبادة ، ونما هذا الخبر إلى عمر فاستدعى أبى بكر على عجل . وتركوا ما هم فيه وصحبهما أبو عبيدة ابن الجراح ، وجرى كلام قليل بايع المسلمون على أثره أبى بكر رضى الله عنه دون إعداد سابق أو تفكير لاحق ، ونظروا إلى أن النبى ﷺ اختاره ليؤم الناس فى الصلاة عنه فى أثناء مرضه والصلاة عماد الدين ، فقالوا : من اختاره النبى ﷺ لدينا نختاره لدنيانا وهو أولى بهذا الأمر لقدّم صحبته لرسول الله ﷺ ومصاحبته له فى هجرته وتضحيته بكل ما يملك فى سبيل هذا الدين .

ولم يغضب على ولم يناقش فيه ، وسار فى خدمة الدين وطاعة الخليفة كما كان فى أيام النبى ﷺ دون تقصير أو تغيير ، ولكن الذى ناقش واعترض وغير وبدل هم هؤلاء الشيعة بعد ذلك بسنين .. واخترعوا أقوالا وروايات ما أنزل الله بها من سلطان .

يقول الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه « إسلام بلا مذاهب » الزيدية - ونقص المعتدلين منهم - لا يهاجمون الخلفاء الراشدين ، وقد انقسمت الزيدية بعد زيد إلى فرق ثلاث جنحت إلى الغلو ، وخالفت رأى الإمام زيد فى الشيخين وفى غير ذلك من بعض المسائل الأخرى . وهذه الفرق هى :

\* الجارودية ، أصحاب أبي الجارود زيد بن أبي زياد .

\* والسليمانية أصحاب سليمان بن جرير .

\* والصالحية والبشرية أصحاب الحسن بن صالح وكثير النوى الأثر .

وكل فرقة من هذه الفرق تميل في بعض الأحكام إلى الاعتدال ، وتجنح في بعضها الآخر إلى الشطط . وكل واحدة تتفق مع زميلتها في القليل وتختلف عنها في الكثير .

غير أن الذي يدعو إلى الطمأنينة هو أن هذه الفرق الزيدية لم تعد لها مكانة ظاهرة عند الزيدية المعاصرة .

فاليزيدية اليمنية المعاصرة تسير على منهج الإمام زيد بن علي رضي الله عنهما من حيث القصد والاعتدال وأخذ الأمور مأخذ السماحة ، اللهم إلا إذا استثنينا بعض الشيوخ في صعدة وصنعاء <sup>(١)</sup> .

وفي الموسوعة الذهبية :

يقوم المذهب الزيدى فى استنباط الأحكام على القرآن الكريم والحديث والإجماع والقياس والاستحسان والمصلحة المرسلّة والاستصحاب ، ويكثر عندهم المجتهدون من أبناء الإمام زيد وأحفاده وأولاد عمومته وأتباعهم منهم حفيده : أحمد بن عيسى بن زيد ، والقاسم بن إبراهيم الرسى والناصر الكبير أبو محمد الحسن بن علي الأطروشى ، والهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى ، وابنا الهادى الإمام محمد المرتضى والإمام الناصر أحمد وغيرهم .

### الفقه الزيدي

وقد تأثر الفقه الزيدى كثيرا بمدرسة أهل الرأى ، وهى مدرسة أهل

العراق نظراً لما بين الإمامين زيد بن علي والإمام أبي حنيفة النعمان من الصلات العلمية ، والمعاصرة في الزمن ، فقد أوصى الإمام زيد أتباعه فيما لم يجدوا فيه نصاً من الفقه الزيدي أن يرجعوا في ذلك إلى مذهب أبي حنيفة ، وقد ازدهر الفقه في العراق في عصر أبي حنيفة رحمه الله .

وقد اعتبر الزيدية الإجماع والقياس من مصادر التشريع فوافقوا بذلك جمهور المسلمين .

ويتفق الزيدية مع المعتزلة في الاعتقاد وعلى ذلك فإنهم أشبه ما يكون بمذهب أبو حنيفة في الاعتقاد وأشبه ما يكون بمذهب المعتزلة في علم الكلام .

ويمتاز الفقه الزيدي إجمالاً بمسائل معروفة قد تكون محل اتفاق مع غيرهم من فرق الشيعة الآخرين وقد تكون محل اختلاف .

فهم يخالفون الإمامية في اعتبارهم الإجماع والقياس مصدرين للتشريع في الأصول .

أما مميزات الفروع لدى الزيدية فذلك مثل :

(أ) زيادة عبارة ( حيٍّ على خير العمل ) في الأذان والإقامة ، وهي محل اتفاق عند الشيعة .

(ب) التكبير خمس تكبيرات في صلاة الجنازة .

(ج) عدم حل طعام المذبح من غير المسلم .

(د) تحريم نكاح الكتابيات - وهذا محل اتفاق عند الشيعة - .

(هـ) لم يجزوا نكاح المتعة المعروف عند غيرهم من الشيعة .

(و) يمنعون المسح على الخفين ، واستدلوا على ذلك بأدلة مختلفة .

وخالفوا في ذلك غيرهم من الشيعة ، كما خالفوا في ذلك أهل السنة .

والزيدية أقرب لحمة إلى العرب والإسلام إذا قيس الأمر بغيرهم من طوائف الشيعة الآخرين ، حتى عدوا من مذاهب أهل السنة . يقول الحاكم : والزيدية يجمع مذهبهم على تفضيل الإمام على رضى الله تعالى عنه على سائر الصحابة ، وأولويته بالإمامة ، وقصرها من بعد الحسين فى السبطين ، أى فى ذريتهما واستحقاقها إنما يثبت بالفضل ، والطلب لا الوراثه كما يقول العباسية ، ويعتقدون وجوب الخروج على الجائر من أولى الأمر <sup>(١)</sup> .

### الطائفة الإمامية

سُمُّوا بذلك الاسم لأنهم قالوا بإمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه نصّاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين <sup>(٢)</sup> .

وقالوا بإمامة اثني عشر إماماً من آل البيت ، يسمون بالاثني عشرية وبالموسوية ، وهؤلاء الأئمة عندهم هم :

على رضى الله عنه ، وابنه الحسن ، وابنه الحسين ، وعلى زين العابدين بن الحسين ، وكانت الإمامة لابنه الأكبر زيد بن على ، فلما رفضوه - كما سبقت الإشارة - ولواً بدله أخاه الباقر ، ثم جعفر الصادق ، وكان له ستة أولاد أكبرهم إسماعيل ثم موسى الملقب بالكاظم .

ولما مات إسماعيل فى حياة والده أوصى والده بالإمامة لابنه موسى الكاظم . وبعد وفاة جعفر الصادق انقسم الاتباع ، فمنهم من استمر على

(١) الموسوعة الذهبية ٢٦ / ٢٩ .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى .



إمامة إسماعيل وهم الإسماعيلية أو المسيحية ، والباقون اعترفوا بموسى الكاظم وهم الموسوية .

ومن بعد موسى ابنه على الرضا - ثم ابنه محمد الجواد ، ثم ابنه على الهادى ، ثم ابنه الحسن العسكرى - نسبة إلى مدينة العسكر وهى مدينة (سامرا) وكان اسمها سرّ من رأى واختصرت إلى سامرا ، وكان يقيم بها فنسب إليها . وهو الإمام الثانى عشر . وقد مات ولم يعقب فوقف تسلسل الأئمة . وكانت وفاته سنة ٢٦٥ هـ .

ويقول الإمامية : إن العسكرى دخل سردابا فى سامرا ، ولم يمت ، وسيرجع بعد ذلك باسم المهدي المنتظر .

وهذه الطائفة منتشرة فى إيران وسوريا ولبنان ، ومنهم جماعات متفرقة فى أنحاء العالم ، ولهم كتب ومؤلفات كثيرة من أهمها كتاب «الوافى» فى ثلاثة مجلدات كبيرة ، جمعت كثيرا مما فى كتبهم الأخرى كتب عليه أحد السنة نقدا سماه « الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة » .

كما كتب رئيس أهل السنة بباكستان « محمد عبد الستار التونسى » رسالة فى ذلك (١) .

وهم مغالون فى أفكارهم واعتقاداتهم .

وجاء فى الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية عنهم :

والإمامية من فرق المسلمين لأنهم وإن خالفوا جماعة المسلمين فى عرض المسائل إلا أن مخالفتهم لا تخرجهم عن ملة الإسلام

لأنهم يعترفون بالعقائد الإسلامية وقواعد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة .

فهم يشهدون : أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ورسالته عامة ، وهى خاتمة الرسالات ، ويؤمنون بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وإن نسوا أن صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار لو كان هناك نص على تعيين على رضى الله عنه للخلافة ما خالفوه (١) .

وفى كتاب « إسلام بلا مذاهب » عن الشيعة الإمامية :

« هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا هذه الأيام ، وتربطهم بنا نحن أهل السنة روابط التسامح والسعى إلى تقريب المذاهب ، لأن جوهر الدين واحد ، ولبه أصيل لا يسمح بالتباعد .

والشيعة الإمامية يشملون ثلثى إيران تقريبا ، ونصف سكان العراق ، ومئات الألوف من سكان لبنان ، وبضعة ملايين فى الهند والجمهوريات الإسلامية التى تحتلها روسيا .

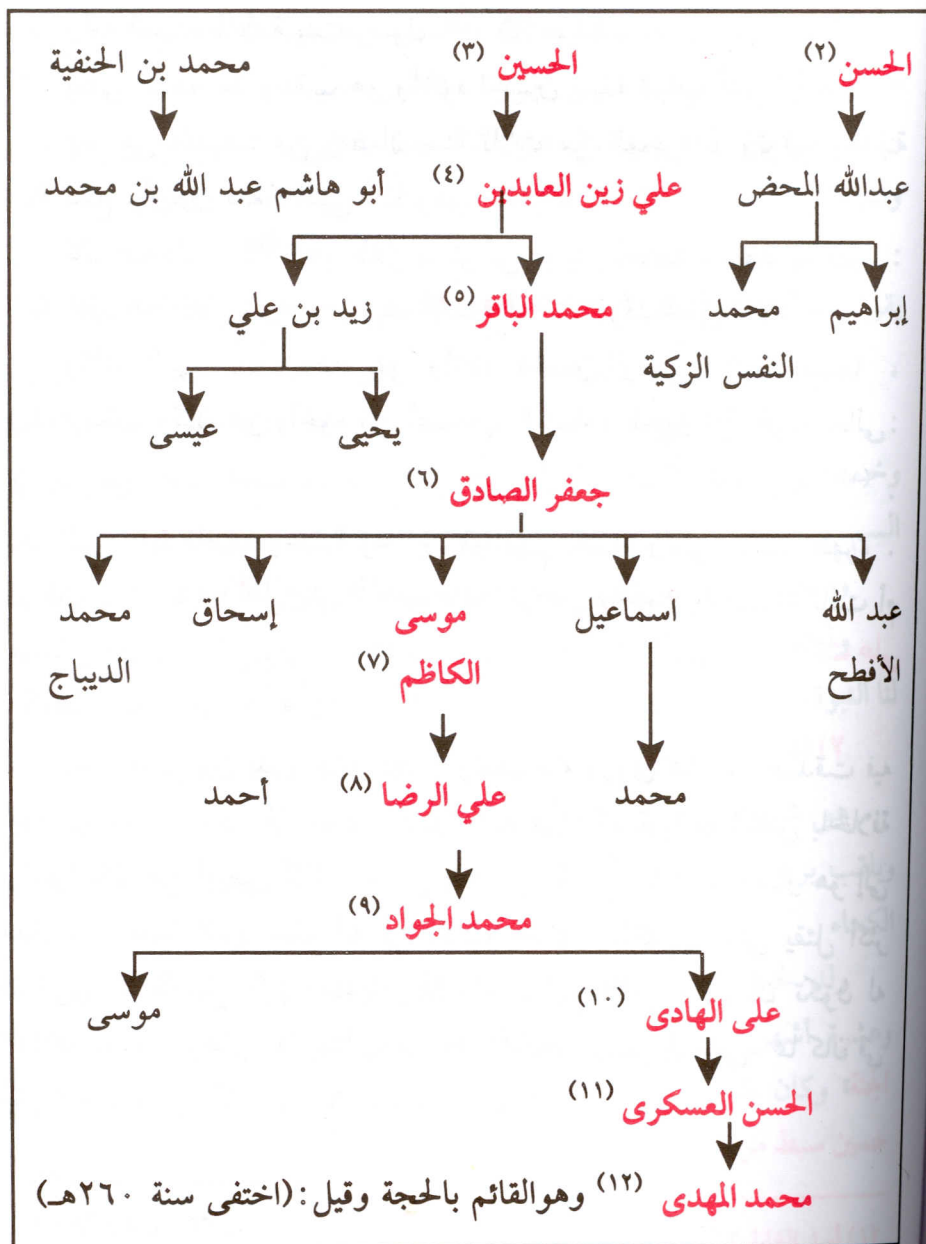
والعقيدة العامة للإمامية هي نفس عقيدة الشيعة ، وهى إيمانهم المطلق بإمامة على بن أبى طالب إيمانا ظاهرا كاملا ووصفه بالوصى ، وانتقال الوصاية إلى أبنائه من بعده (٢) .

(١) الموسوعة الذهبية ٥٢ / ٦ .

(٢) إسلام بلا مذاهب ص ١٨٩ .

## سلسلة الأئمة الاثني عشرية

### (١) علي أمير المؤمنين



أضواء على هذه الأعلام (من بعد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

### (١) الإمام الحسن

هو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأمه السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين .  
يكنى أبا محمد ويلقب هو وأخوه الحسين سيذا شباب أهل الجنة .  
ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفي بالمدينة سنة تسع وأربعين سماء النبي ﷺ وعق عنه يوم سابعة .  
قال عنه النبي ﷺ وهو طفل يتعثر في مشيته فحمله وصعد به المنبر :  
« **إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين** » وقد تحقق ذلك .  
وكان النبي ﷺ يحبه هو وأخاه الحسين رضي الله عنهما ،  
ويداعبهما ، وكان هو وأخوه من أصحاب الكساء ، فحين نزل قوله تعالى :  
﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ (١) .  
دعا النبي ﷺ فاطمة وحسنا وحسين فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره .  
ثم قال : « **هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا** » قالت أم سلمة وكان ذلك في بيتها : وأنا منهم يا رسول الله ؟ فقال : « **أنت على مكانك ، أنت على خير** » .

نشأ الحسن بين يدي جده ﷺ ، وتعلم منه وروى عنه ، وصدقت فيه نبوءة رسول الله ﷺ فإنه بعد استشهاد أبيه في الكوفة بايعه الناس بالخلافة وكانوا أكثر من أربعين ألفا ، وسار إليه معاوية من الشام ، وسار هو إلى معاوية ، فلما تقاربا علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يقتل أكثر الأخرى ، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر على أن تكون له الخلافة بعده ، وعلى ألا يطالب من أهل الحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه ، وغير ذلك من القواعد .



فأجابه معاوية إلى ما طلب ، فظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ :  
 « **إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فتيين من المسلمين** » وأى شرف أعظم من  
 شرف من سماه النبي ﷺ سيداً ؟ !

كان كريماً عابدا ورعا حليماً ، قاسم الله ماله ثلاث مرات ، وحج  
 عدة حجات قدرها بعض الرواة بثلاثين حجة ماشيا على قدميه ،  
 والنجائب بين يديه ، وسئل عن ذلك فقال : **إنى لأستحي من ربي أن ألقاه**  
**ولم أمش إلى بيته .**

ولقد دعاه ورعه إلى ترك الدنيا والمملك رغبة فيما عند الله ، وكان  
 يقول : **ما أحببت أن ألى أمر أمة محمد ﷺ على أن يهرق في ذلك محجمة دم .**  
 وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان رضى الله عنه .

توفى سنة تسع وأربعين ، وقيل : سنة خمسين وقيل سنة إحدى  
 وخمسين . وكان سبب وفاته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته  
 السم .

ورفض أن يفضى إلى أخيه الحسين باسم من فعل ذلك .  
 وأوصى أخاه الحسين رضى الله عنه قائلاً : **لا أرى أن الله تعالى جمع**  
**لنا النبوة والخلافة فلا يستخفك أهل الكوفة ليخرجوك** <sup>(١)</sup> .

## (٢) الإمام الحسين

هو شقيق الحسن بن على رضى الله عنهما ، يكنى أبا عبد الله  
 ويلقب بريحانة رسول الله ﷺ ، وهو سيد شباب أهل الجنة وخامس أهل  
 الكساء .

ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة بعد الحسن بسنة  
 وعشرة أشهر . كان النبي ﷺ يقول : « **الحسن والحسين ريحانتي من**  
**الجنة** » وكان يقول : « **حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً**  
**حسين سبط من الأسباط** » .

كان رضى الله عنه فاضلا كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها .

واستشهد فى كربلاء فى يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين ، من أرض العراق وقبره مشهور يزار .

راح ضحية شيعته ، فقد كان مقيما فى مكة ، ولكن شيعته فى العراق ألحوا عليه أن يقدم عليهم ، وتابعوا ذلك بالوفود والرسائل ، ولما وصل إلى كربلاء وجد جيوش عبيد الله بن زياد والى يزيد بن معاوية على العراق فى انتظاره . وقد أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، وكان فى أهله وأولاده وبعض أنصاره لا يزيد عددهم جميعا على الثمانين بما فيهم النساء والأطفال . وكان جيش عبيد الله بن زياد أربعة آلاف ما بين فارس ودارع وراجل .

وقد أبلى الحسين رضى الله عنه بلاء حسنا ، واستشهد بطلا شجاعا وباء كل من شارك فى دمه بالخيبة والخسران .

قال منصور النمرى يرثيه :

بؤتَ بحمل ينوء بالحامل	ويلك يا قاتل الحسين لقد
حفرته من حرارة الثاكل	أى حياء حبوت أحمد فى
وانهض فرد حوضه مع الناهل	تعال فاطلب غدا شفاعته
لكننى قد أشك بالخاذل	ما الشك عندى بحال قاتله
تنزل بالقوم نقمة العاجل	كأنما أنت تعجبين ألا
ربك عما ترين بالغافل	لا يعجل الله إن عجلت وما
حققت عليه عقوبة الآجل (١)	ما حصلت لأمري سعادته

(٣) على زين العابدين

هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .  
أمه أم ولد ، اسمها غزالة ، قال الشبلنجى فى كتابه ( نور الأبصار )

اسمها سلافة ، ولقبها الفارسي « شاه زنان » أى ملكة النساء ، وهى بنت يزدجرد ابن انوشروان ملك الفرس .

ويطلق عليه ابن الخيرتين ، أى ابن الخير من العرب والخيرة من الفرس . ولد سنة ست وثلاثين من الهجرة .

وشارك فى موقعة كربلاء ، واختبره الله بمرض أقعده عن الحركة فلم يستطع القتال مع من قاتلوا . فسلم بذلك من القتل ، ولكنه لم يسلم من الأسر ، فأسر مع من أسر من النساء والأطفال .

وكان الله قد ادخره ليحفظ عترة النبى ﷺ من الفناء ، فلو أنه قد قتل لفنى نسل الحسين رضى الله عنه .

كان كثير الصلاة والصيام والقيام والبر بالفقراء والمساكين ، وكان لا يفتر عن البكاء ، وإذا صلى استغرق فى صلاته حتى لا يحس بشئ حوله ، وقد اشتعلت النار فى بيته يوما وهو يصلى فلم يتبه لها ، وأطفئت وهو يصلى ، ف قيل له بعد أن انفتل من صلاته ذلك ، فقال : لقد ألهنتى عنها النار الكبرى .

كان يحمل الصدقات للناس فى الليل سرا لا يساعده أحد ولا يراه أحد وكان يقول : صدقة السر تطفى غضب الرب . ولما مات عرف الناس أن الذى كان يعولهم هو على زين العابدين بانقطاع ما كان يقدمه لهم بموته .

وكان حليما صبوراً تحمل كثيرا من الأذى ولم يشك ، يروى أنه خرج من المسجد يوما ، فجعل رجل يسبه ، فانتدب له الناس ، فقال على : دعوه ، ثم أقبل عليه يقول : ما ستره الله من عيوبنا عنك أكثر . ألك حاجة ننقضها لك ونعينك عليها ؟

فاستحيا الرجل واعتذر ، فألقى على زين العابدين عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم .

فكان هذا الرجل يقول إذا رآه : أشهد أنك من أولاد النبى ﷺ .

كان يديم العبادة ويستلذها حتى قيل إنه كان يصلى فى اليوم واللييلة ألف ركعة .

ولا يستكثرون أحد ذلك ويقول . كيف يطيق القيام بهذا العدد ؟ وأين الوقت الذى يسع ذلك ؟ ولكن الله تبارك وتعالى يبارك للصالحين المخلصين فى أوقاتهم وقدراتهم حتى ينجزوا فى الوقت القصير العمل الوفير .  
وكان عالما جليلا ، ورث العلم عن أبيه وأهل بيته الذين أكرمهم الله بفضله وعلمه .

### لومه للغلاة من الشيعة

وكان ينعى على الشيعة مغالاتهم ، وكان له موقف من المختار بن عبيد الثقفى ، كان لا يثق فيه ويرى أن ما يفعله المختار إنما يقصد به مصلحته الخاصة وليصل به إلى طموحات فى نفسه .  
وكان يقول للشيعة : أيها الناس ، أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عبنا .

قال يحيى بن سعيد : قال على بن الحسين رضى الله عنه : أحبونا حب الإسلام فوالله ما زال بنا ما تقولون حتى بغضتمونا إلى الناس .  
وجاءه نفر فبالغوا فى الثناء عليه فقال : ما أكذبكم وأجراكم على الله نحن من صالحى قومنا ، وبحسبنا أن نكون من صالحى قومنا .  
وقد كان يغضب حين يصفه بعض الناس بما يرى أنه ليس فيه أو يخلع عليه من المناقب ما يعلم أنه مخالف للواقع .

وفى تفسير القرطبى ، فى سورة الحشر : روى محمد بن على بن الحسين أن نفرا من أهل العراق جاءوا إلى أبيه فسبوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ثم عثمان رضى الله عنه فقال له على : أمن المهاجرين أنتم ؟ قالوا : لا .

قال : أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ؟

قالوا : لا .

قال : قد تبرأت من هذين الفريقين ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين

قال الله عز وجل فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا



وَلَا إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ .

توفي رضى الله عنه بالمدينة ودفن فى البقيع سنة أربع وتسعين .  
وغلب اسمه على مسجد ابنه زيد بن على المعروف بمدينة القاهرة  
وكان الله تعالى قد أراد أن يحيى ذكره فى هذا المكان ، مع أن ذكره  
معروف فى كل مكان .

### امتداح الشعراء له

جاء فى « البداية والنهاية » لابن كثير وكتاب « الأغانى » للأصفهاني  
وغيرهما من كتب التاريخ والأدب : أن هشام بن عبد الملك فى أثناء  
ولايته للعهد حج ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن من الزحام حتى  
نصب له منبر ، فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو  
كذلك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى له عنه  
الناس إجلالا وهيبة واحتراما . فقال أهل الشام : من هذا ؟

فقال هشام : لا أعرفه - قال ذلك تجاهلا - لئلا يرغب فيه أهل  
الشام . وكان الفرزدق الشاعر شاهدا ، فقال : أنا أعرفه ، وانطلق يقول :

والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا التقى النقى الطاهر العلم  
بجده أنبياء الله قد ختموا  
العرب تعرف من أنكرت والعجم  
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم  
فما يكلم إلا حين يتسم

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته  
هذا ابن خير عباد الله كلهم  
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله  
وليس قولك : من هذا بضائره  
إذا رآته قريش قال قائلها  
يغضى حياء ويغضى من مهابته  
إلى آخر ما قال :

فغضب هشام وحبس الفرزدق فى مكان اسمه عسفان بين مكة  
والمدينة ، فقال الفرزدق :

أحبسنى بين المدينة والتي  
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد  
فبلغ هذا الشعر هشاما فأطلقه<sup>(١)</sup> .  
وما أطلقه إلا خوفا من لسانه .

فانظر كيف لم ترفع هشاما سلطته وراثته في عين الناس ، كما  
رفعت عليا خشيته لله . وتواضعه له . وصدق رسول الله ﷺ القائل :  
«من تواضع لله رفعه» .

#### ٤) محمد الباقر

هو أبو جعفر محمد بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن  
أبى طالب رضى الله عنهم ، ويكنى أبا جعفر .  
هو أحد الأئمة الاثنى عشر فى اعتقاد الإمامية ، وهو والد الإمام  
جعفر الصادق الذى به يكنى .  
وكان الباقر عالما سيدا جليلا ، وإنما قيل له الباقر لأنه بقر فى العلم  
أى توسع فيه ، والتبقر التوسع ، وفيه يقول الشاعر :

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبي على الأجل

ولد بالمدينة يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة سبع وخمسين من  
الهجرة ، وكان عمره يوم استشهاده جده الحسين رضى الله عنه ثلاث سنين .  
وأمه هى أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم .  
وتوفى الباقر فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائة ، وقيل فى  
الثالث والعشرين من صفر عام أربعة عشر ، وقيل غير ذلك . وكانت  
وفاته بالحميمة .

ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع فى القبر الذى دفن فيه أبوه وعم أبيه  
الحسن بن على رضى الله عنهم فى القبة التى فيها قبر العباس رضى الله  
عنه<sup>(٢)</sup> .

(١) سيرة ال البيت ٢ / ٢٨٥ . (٢) وفیات الاعيان لابن خلكان ٢ / ٢٢١ .

وكانت له مواقف من الشيعة هي مواقف التوجيه والإرشاد والتصحيح، كان يرفض منهم ما يزعمونه كذبا من ادعاءات أو افتراءات لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وكان دائم الثناء على صحابة رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

حدث زهير عن جابر قال : قلت لمحمد بن علي : أكان منكم أهل البيت من يزعم أن ذنبا من الذنوب شرك ؟ قال : لا .

قلت : أكان منكم أهل البيت أحد يقر بالرجعة ؟ قال : لا .

قلت : أكان فيكم أهل البيت أحد يسيء إلى أبي بكر وعمر ؟ قال : لا ، فأحبهما وعظمهما واستغفر لهما (١) .

وقال : شيعتنا من أطاع الله عز وجل واتقاه .

قال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر عن حلية السيف فقال : لا بأس بها فقد حلّى أبو بكر الصديق سيفه . قلت : وتقول : الصديق ؟

قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ، ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا ولا في الآخرة (٢) .

هكذا كان أهل البيت رضوان الله عليهم وموقفهم من شيعتهم لا يرضون بما يصدر عنهم من تجاوزات أو انحرافات .

### ٥ الإمام جعفر الصادق

هو أبو عبد الله جعفر الملقب بالصادق ابن الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٩/٥ بتحقيقنا .

(٢) آل بيت النبي ٤٠٦/٢ .

وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ورث علم جده لأبيه الحسين وجده لأمه القاسم بن محمد بن أبى بكر . هو أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية . وكان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته وعمله ، وفضله أشهر من أن يذكر .

ولد سنة ثمانين من الهجرة ، وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة بالمدينة ودفن بالقيع .

صحب جعفر الصادق أباه الباقر أربعاً وثلاثين سنة عباً فى خلالها من علم أبيه الغزير بالإضافة إلى ما حصله من علوم علماء أهل البيت وغيرهم من المنتشرين فى المدينة حتى أصبح علماً من أعلام الدين ونجماً من نجوم أهل البيت الذين تشد إليهم الرحال ، ويتلقى العلماء على أيديهم قواعد العلم وآداب الدين .

ومن الذين أفادوا منه وأخذوا عنه الإمام أبو حنيفة النعمان على الرغم من فضله وتقدمه .

وكان الخليفة المنصور قد أغرى أبا حنيفة أن يحاور الصادق ويرتب له أسئلة عويصة يحرجه بها حتى ينصرف المعجبون به عنه ، وكانت هذه المحاورة تحت رعاية المنصور نفسه ، وعقدت المحاورة وأجاب الصادق عن كل ما سألته عنه أبو حنيفة فى لباقة وحسن أداء وانطلاق ومقدرة ، وكان تقدير أبى حنيفة فى نهاية المحاورة أن قال : إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف العلماء .

وهكذا كان الصادق، كان عالماً باختلاف الناس ، وكان يشير إلى ذلك فى إجابته التى وجهها النعمان إليه ، فيقول : أنتم تقولون كذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ، ونحن نقول كذا . فتارة يتابع أبا حنيفة ، وتارة يتابع أهل المدينة ، وتارة يخالف الاثنين وينفرد برأى ، وهذا يدل على علم واسع وبراعة فائقة .



وانتهى الأمر إلى أن أبا حنيفة وثق صلته بالصادق وأصبح يلزمه كثيرا ليفيد من علمه وفضله .

وكان الصادق شجاعا لا يهاب أحدا وربما كان يجابه الخليفة المنصور بكلام يدل على شجاعته وقوة حجته . كان في مجلس المنصور يوما وقد حام الذباب حول المنصور وتكاثر عليه حتى أضجره ، فقال المنصور للصادق في ضجر : لم خلق الله الذباب ؟ فأجاب الصادق قائلا : ليزل الله به الجبابرة .

وكان الصادق لا يستكثر من زيارة المنصور ولا يذهب إلى مجلسه إلا لاما .. وكانت إقامة الصادق في المدينة .. فكتب إليه المنصور قائلا : لم لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟

فرد عليه الصادق قائلا : ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهتلك ، ولا نراها نقمة فنعزيزك .

فقال له المنصور : تصحبنا لتنصحنا .

فقال له الصادق : من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا ينصحك (١) .

إن الصادق لم ينس كيف بطش المنصور بأقرب الناس إليه خوفا على كرسى الخلافة .. وما الخلافة في نظر أولياء الله ؟ إن أمدّها قصير وحسابها غدا عسير .

### الصادق والشيعة

ابتلى الصادق ببعض الدعاة الذين استغلوا اسمه أسوأ استغلال فتكونت فرقة غالية نسبت نفسها إليه اسمها الناوسية ، أسسها بعضهم في قرية اسمها (ناووس) وقالوا : إن الصادق لم يميت . وهو حي ولن يموت حتى يظهر ويظهر أمره . كان هذا بعد وفاة الصادق ، وهو براء من هذا القول .

وفى حياته تكونت طائفة اسمها « الخطائية » ونسبت أقوالا وآراء إلى الصادق هو برئ منها ، ولما وقف الصادق على هذه الطائفة وأقوالها وعرف غلوها تبرأ منها ، ووكل أمرها إلى الحاكم الذى تابع مؤسس هذه الطائفة حتى ألقى القبض عليه وقتله لغلوه وكذبه <sup>(١)</sup> .

لقد كان أهل البيت رضى الله عنهم برآء من كل تخليط وتزييف لرسالة الإسلام السمحة الطاهرة

### ٦ الإمام موسى الكاظم

هو أحد الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة الإمامية .

وهو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ، ويكنى : أبا الحسن . ويدعى العبد الصالح كما جاء فى تاريخ بغداد للخطيب ، وذلك لكثرة عبادته وانشغاله بأمر نفسه وإصلاحها واجتهاده فى العبادة ، روى أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فى أول الليل ، وسُمع وهو يقول فى سجوده « عظم الذنب عندى فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة » وجعل يرددها حتى أصبح . وكان سخيا كريما ، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث له بصره فيها ألف درهم .

كان يقيم بالمدينة فأقدمه الخليفة المهدي إلى بغداد وحبسه . ذلك أن العيون أبلغته بما يبذله من مال على الناس ، وأفهمته أن هذا البذل ليصطنع به الأنصار الذين يشب بهم على الخلافة .

وظل فى حبسه صابرا حتى رأى المهدي فى النوم الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه يقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فأرسل المهدي من أخرجه ليلا من السجن ، وقال له : يا أبا الحسن

إني رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فى منامى يقرأ على هذه الآية، أفتؤمننى أن لا تخرج على أو على أحد من أولادى ؟ فقال : **والله** لا فعلت ، ولا هو من شأني . قال : صدقت .

فقال المهدي لحاجبه : أعطه ثلاثة آلاف دينا ورده إلى أهله بالمدينة ففعل الحاجب .

ومضى موسى الكاظم إلى المدينة فأقام بها حتي تولى هارون الرشيد الخلافة ، وشأن موسى كما هو ، فهو مشغول بالعبادة والإحسان إلى الناس وبذل المعروف وتفريج المضايق .

وزار هارون المدينة بعد انصرافه من الحج فى بعض الأعوام ، وأحسن موسى الكاظم استقباله ، وكان معه فى أثناء زيارة قبر الرسول ﷺ ، ولما وقف هارون أمام القبر الشريف قال : السلام عليك يا رسول الله يابن عمي . قال ذلك بهدف الافتخار على من جاءوا معه ومن هم حوله . وقال موسى الكاظم رضى الله عنه : السلام عليك يا أبتاه .

فتغير وجه هارون الرشيد ، وقال : هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا . وما كان الكاظم يقصد فخرا ولا يضرر شيئا ، بل هى تحية تعود أن يلقيها على جده ﷺ كلما دخل المسجد . وأضرر الرشيد فى نفسه شيئا .

فحين عزم على العودة إلى بغداد طلب من موسى أن يصحبه . ووافق موسى على اعتبار أنها صادرة عن رغبة صادقة ومحبة ومودة بين أولاد العم . وسار مع الرشيد ، فما وصل موسى إلى بغداد حتى أمر الرشيد بإيداعه السجن . وظل فى محبسه فترة طويلة . واختلفت الروايات حول نهايته .

ففى بعض الروايات : إن الرشيد رأى فى منامه رجلا أسود حبشيا معه حربة يقول له : إما أن تخلى الساعة عن موسى بن جعفر وإلا نحررتك بهذه الحربة . فأمر الرشيد حاجبه بالانصراف سريعا إلى السجن

وإطلاق سراحه ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم وخيره بين الإقامة في بغداد أو الرحيل إلى المدينة فاختار المدينة .

وفي رواية أخرى أنه ظل في السجن حتى مات فيه .  
وعلى الرواية الأولى أنه ظل في المدينة حتى وافته منيته سنة ثلاث وثمانين ومائة . وقيل إنه توفي في بغداد سنة ست وثمانين ومائة . وقيل إنه توفي مسموما .

وقال الخطيب : توفي في الحبس ودفن في مقابر الشونيز ، وقبره هناك مشهور يزار (١) .

فانظر إلى هذه الابتلاءات التي ابتلى بها أهل بيت رسول الله ﷺ العلويين على يد الأمويين تارة ، وعلى يد أبناء عمومتهم العباسيين تارة أخرى ، فكيف لا يكون ذلك سببا في التفاف الناس حولهم ، في محاولة لنصرتهم والتعبير عن حبهم ؟!

### ٧ الإمام علي الرضا

هو أبو الحسن علي الملقب بالرضا ابن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي رضي الله عنهم ، أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية .

وعلى العكس مما أصاب العلويين من أبناء عمومتهم العباسيين من قتل وتنكيل وترويع فإن عليا الرضا قربه الخليفة المأمون ، وعرض عليه أن يتنازل له عن الخلافة فلما أبى جعله ولي عهده وزوجه ابنته ، وضرب باسمه الدينار والدرهم .

وكان سبب ذلك فيما ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان أن المأمون جمع أولاد العباس ، الرجال منهم والنساء وهم بمدينة مرو ، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين الكبار والصغار ، واستدعى عليا الرضا فأنزله أحسن منزلة ، وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد



العباس وأولاد علي بن أبي طالب رضى الله عنه فلم يجد فى وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من على الرضا ، فبايعه ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام .

وغما الخبر إلى العباسيين فى العراق فعلموا أن فى ذلك خروجا للأمر عنهم ، فخلعوا المأمون وبايعوا عمه إبراهيم المهدي .  
ولكن الأمر لم يتم للمهدي ، واعتذر المهدي للمأمون بعد أن كان قد أهدر المأمون دمه ، فعفا عنه المأمون .

ولد الرضا سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة ، وتوفى فى آخر صفر سنة اثنتين ومائتين عن تسعة وأربعين عاما تقريبا . وتوفى فى مدينة طوس ودفن بها فى قبر ملاصق لقبر الخليفة هارون الرشيد الذى كان قد مات قبله بسنين فى هذا المكان .

وقيل فى سبب موته أنه أكل عنبا مسموما .  
وكان الرضا عالما أربيا وعابدا صالحا عاملا بعلمه وله كتاب رائع فى الحكمة والموعظة الحسنة منه قوله : **الله أعدل من أن يكلف العباد ما لا يطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون .**  
وله رواية فى الحديث روى عن أبيه وأهل بيته ، وروى عنه كثيرون وله شعر جيد منه قوله :

كلنا يأمل مدّا فى الأجل  
لا تغرنك أباطيل المنى  
والمنايا هن أفات الأمل  
إنما الدنيا كظل زائل  
والزم القصد ودع عنك العلل  
وقد امتدحه الشعراء ومن ذلك قوله الشاعر أبى نواس فيه :

قيل لى أنت أحسن الناس طرّا  
لك من جيّد القريض مديح  
فى فنون من الكلام النبیه  
فعلام تركت مدح ابن موسى  
يثمر الدر فى یدى مجتنبه  
قلت لا أستطيع مدح إمام  
والخصال التى تجمعن فيه ؟  
كان جبريل خادما لأبيه<sup>(٢)</sup>

يقصد بأبيه محمدا ﷺ .

## (٨) الإمام محمد الجواد

كنيته أبو جعفر ، وهو محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

وهو أحد الأئمة الاثني عشرية .

قدم بغداد وافدا على المعتصم الخليفة العباسي هو وزوجته أم الفضل بنت الخليفة المأمون . ذلك أن المأمون كان قد زوج ابنته ، كما زوج أباه من قبل ابنته الكبرى .

وتوفى الجواد في بغداد ، فَحُمِلَتْ زوجته أم الفضل إلي قصر عمها المعتصم لتعيش فيه .

كان الجواد راويا للحديث ويسند روايته عن آبائه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ . ومن رواياته قال : عن علي رضي الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني : « يا علي ما خاب من استخار ولا ندم من استشار » .

وقال : « يا علي عليك بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تُطوى بالنهار »<sup>(١)</sup> .

« يا علي اغد باسم الله فإن الله بارك لأمتي في بكورها »

وللجواد كلام في الحكمة منه قوله : من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة .

ومنه : من كثر همه كثر سقم جسمه ، وهي كلمة تبين أثر الهم في تضييع الصحة وإضعاف الجسد .

ومنه : من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، ومن اتقى الله أحبه الناس .

ومنه : عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه .

(١) رواه السيوطي في جمع الجوامع برقم ٢٧١٠٤ ، والدجلة بضم الدال وفتحها : السير

في أول الليل .

وقال : الشريف كل الشريف من شرفه علمه ، والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه .

ومن أخباره : قال جعفر بن محمد بن يزيد : كنت ببغداد فقال لى محمد بن منده بن مهران : هل لك أن أدخلك على محمد بن على الرضا؟

فقلت : نعم .

قال : فأدخلنى عليه . فسلمنا وجلسنا ، فقال حديث رسول الله

ﷺ : « إن فاطمة رضى الله عنها أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار »

قال : ذلك خاص بالحسن والحسين رضى الله عنهما .

ولد الجواد فى خامس رمضان وقيل منتصفه سنة خمس وتسعين ومائة .

وتوفى يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين ودفن عند جده موسى الكاظم فى بغداد فى مقابر قريش . وهذا يؤيد قول من يقول إن الكاظم مات فى بغداد ولم يميت فى المدينة .

### ٩ الإمام على الهادى

هو أبو الحسن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا كان يلقب بالهادى ويعرف بالعسكرى .

وهو أحد الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية .

وأمه أم الفضل بنت الخليفة المأمون الخليفة العباسى .

وكانت له عدة ألقاب غير الهادى ، منها المتوكل ، والناصح ، والنقى ، والمرضى ، والطيب .

ولد سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة .

### الوشاة يسعون به للمتوكل

سعى به بعض الحسدة إلى الخليفة المتوكل وأن فى بيته أسلحة ، وكتبوا كثيرة للشيعه ، فوجه إليه المتوكل ليلا جنودا من الأتراك وهجموا عليه فى

منزله ، فوجدوه فى بيت مغلق عليه وحده ، وعليه مدرعة من شعر ولا بساط تحته ، بل يجلس على الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف ، وهو متوجه إلى ربه تعالى يقرأ القرآن ويبكى فحمل وهو على حاله هذا إلى المتوكل .

فلما رآه المتوكل أعظمه وهابه وأجلسه إلى جانبه .

وأخبر المهاجمون المتوكل أنهم لم يجدوا فى بيته ما زعم الواشون أنه عنده وطلب المتوكل من الهادى أن يعظه ، فقرأ عليه آياتا من الشعر تذكّر بالموت والفناء وأن الدنيا لا بقاء لها ، وهذه الأبيات هى :

باتوا على قُلُلِ الأَجبالِ تحرسهم	غُلِبَ الرجالُ فما اغتتهم القُلُلُ
واستنزَلوا بعد عز من معاقلهم	فاودعوا حُفراً يابِس ما نزَلوا
نادى بهم صارخ من بعد ما قُبِروا	أين الأسِرَّةُ و التيجان والحلل؟
أين الوجوه التى كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل؟
فأنفصح القبرعنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتل
قد طالما أَكَلُوا دَهرًا وما لبسوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أَكَلوا

فبكى المتوكل حتى بل الثرى ، وبكى من فى حضرته ، وأمر برفع الشراب الذى كان يشربه هو ومن معه . وأمر للهادى بأربعة آلاف دينار وتحلل منه ورده إلى منزله مكرما .

وقد أثر الهادى أن يعظه بهذه الأبيات بدلا من القرآن ، لأنه كان الشعر أنسب لحاله ، فقد كان المتوكل فى مجلس شراب هو وندماؤه وقد حاول أن يشرك الهادى معه فى الشراب وقدم له الكأس التى كانت فى يده ، فقال له الهادى : يا أمير المؤمنين : لم يدخل باطنى ولما يخالط لحمى قط ، فأعفى ، فأعفاه ، ثم قال له المتوكل : أنشدنى شيئا من الشعر فأنشده الأبيات المذكورة .

أقام الهادى فى سامراء أكثر من عشرين عاما ، وتوفى سنة أربع وخمسين ومائتين (١) .



**(١٠) الإمام الحسن العسكري**

هو أبو محمد الحسن بن علي الهادي السابق ذكره .  
وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، وهو والد المنتظر  
صاحب السرداب . ويعرف بالعسكري  
ولد الحسن سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وتوفي سنة ستين ومائتين  
ودفن في قبر أبيه .  
ولقب العسكري نسبة إلى سر من رأى ، التي أصبحت سامراء ، فإنه  
لما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر . فأصبح المقيم فيها  
يقال له العسكري .  
ولما نسب إليها الحسن المذكور لأن المتوكل لما أشخص أباه عليا الهادي  
إليها أقام بها أكثر من عشرين سنة هو وولده فنسب إليها .

**(١١) ابنه محمد العسكري**

هو ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، وهو المعروف  
بالحجة . وتزعم الشيعة الإمامية أنه المنتظر ، والقائم ، والمهدي ، وهو  
صاحب السرداب عندهم ، وأقوالهم في ذلك كثيرة .  
وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى .  
وقد ولد محمد بن الحسن العسكري في منتصف شعبان سنة خمس  
وخمسين ومائتين وحين توفي أبوه كانت سنه خمس سنين .  
يقول الشيعة : إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه فلم  
يخرج إليها ، ولم يخرج بعد ، وما زالوا ينتظرون خروجه حتى الآن <sup>(١)</sup> .

**تعليق**

ذكر العلماء أقوالا كثيرة حول ذلك الأمر ، وما قالوه : إن دخوله  
السرداب أمر ممكن وأما انتظاره وخروجه في آخر الزمان فمغالاة لا تقوم  
على أساس سليم ومنطق قويم ، وأقل ما يقال فيها : إن ذلك طعن على

أهل البيت الذين يتشيع لهم هؤلاء ، لأن ذلك يعنى أن أهل البيت عقموا عن الإنجاب والنبوغ ، وعجزوا عن أن يأتوا بذرية مثل هذا المنتظر الذى دخل السرداب فى سن الطفولة وهى دون سن التكليف فقد اختلفوا فى تقدير سنه حين دخل السرداب ، فمنهم من يقول : كانت سنه تسع سنين ، وبعضهم يقول : عشر سنين ، وبعضهم يقول سبع عشرة سنة ، مع أن التاريخ يشهد أنه ظهر فى سلسلة آل البيت بعد هذا التاريخ رجال عظماء أجلاء كانت لهم منزلة عظمى عند الناس وفى قلوب الصالحين .

ولئن قالوا ذلك عن محمد العسكرى وأنهم ما زالوا ينتظرون خروجه ، فقد قال غير الإمامية مثل ذلك عن الإمام محمد بن الحنفية الذى توفى فى المدينة ودفن فى البقيع ، ولكن شيعته يقولون : إنه دخل سرداب بجبل رضوى واختفى فيه وسيظهر بعد حين ، وهو بين أسد وغمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان من بحار ماء وعسل ، وأنه يعود بعد الغيبة فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وفى ذلك يقول السيد الحميرى :

أطلت بذلك الجبل المقاما  
وسموك الخليفة والإماما  
مقامك فيهمو ستين عاما  
ولا وارت له أرض عظاما  
تراجعه الملائكة الكلاما  
وأندية تحدته كراما  
به عليه يلتمس التماما  
تروا راياته تترى نظاما

يقود الخيل يقدمها اللواء  
برضوي عنده عسل وماء

ألا قل للوصى فدتك نفسي  
أضر بمعشر والوك منا  
وعادوا فيك أهل الأرض طراً  
وما ذاق ابن خولة طعم موت  
لقد أمسى بمورق شعب رضوي  
وإن له به لمقبل صدق  
هدانا الله إذ حرتم لأمر  
تمام نوره المهدي حتى

وفيه يقول أيضاً كثير عزة :  
وسيط لا يذوق الموت حتى  
تغيب لا يرى فيهم زمانا

### ماذا وراء هذه النزعات ؟

إن وراء هذه النزعات مصالح خاصة ورغبات شخصية ، وقد سبق أن أشرنا إلى ابن سبأ وكيف قام بدور كبير في هذه الانحرافات التي ظهرت في التشيع ، وأن ذلك كان بسبب يهوديته وتعصبه لها وحقده الشديد للإسلام ورغبته في القضاء عليه بأى سبيل ، وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى ذلك حين قال : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١) .

وقد نهى الله عن موالاته اليهود والمشركون لذلك ، فلما علم اليهود أن المسلمين لا يوالونهم وينفرون منهم تصنعوا أمامهم الإسلام وخدعوا من استطاعوا أن يخدعوه حتى يؤثروا فيه ويثبوا فيه سموهم ليخرجوه من الإسلام . إنه هو الذى ابتدع بدعة التشيع فى الإسلام ، وغالى فى شأن على بن أبى طالب غلوا شديدا وانخدع به بعض المسلمين وتمكن من جرهم إلى ما يريد ، وكان شأنه فى ذلك شأن المارق الذى ادعى الإسلام وخدع الناس بكثرة صلاته وصيامه وركوعه وسجوده ووصل بينهم إلى منصب مرموق حقق من ورائه رغباته وأهدافه وأضل الناس وكان يصلى بهم ، فلما قضى وطره وبلغ مبتغاه تركهم ، وكتب وراء بطاقة يقول فيها :

**صلى وصام لأمر كان يطلبه فلما انقضى الأمر لا صلى ولا صام**

وقد لقي ابن سبأ مصيره على يد الإمام على ولكن الفتنة التى تركها ظلت قائمة ، وربما ازداد خطرهما بعد .

وكذلك الأمر بالنسبة للمختار بن أبى عبيد الثقفى الذى زين للناس أن محمد بن الحنفية رضى الله عنه ابن الإمام على رضى الله عنه هو المهدي ، وأنه لم يمت بل دخل فى شعب فى جبل رضوى وأقام فيه ومعه أربعون من أصحابه ، وهم أحياء يرزقون ، وسوف يعود إلى الدنيا ليملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .

## المختار الثقفي ودوره

والمختار الثقفي هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي ، من قبيلة ثقيف المقيمة بالطائف .

أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ ولم يره ، ولذلك لم يذكره أكثر المترجمين للصحابة ، ولكن ابن الأثير ذكره في كتابه « أسد الغابة » وذكر أنه والد المختار ، ووالد صفية زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وقد استشهد أبو عبيد في موقعة الجسر المشهورة في العراق سنة ثلاث عشرة وكان هو قائد الحملة ، واستشهد معه عدد كبير من المسلمين .

والمختار كان وصوليا متقلبا ، فقد كان أول أمره ناصبيا يبغض عليا رضي الله عنه بغضا شديدا . وكان عند عمه في المدائن ، وكان عمه نائبا ، فلما دخلها الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد استشهاد والده خذله أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية .

فلما أحس الحسن منهم الغدر فر منهم إلى المدائن في جيش قليل العدد فقال المختار لعمه : لو أخذت الحسن فبعثت به إلى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء أبدا .

فقال له عمه : بش ما تأمرني به . فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبي طالب ما كان وكان قد اعتقله ابن زياد . وكان المختار من الأمراء في الكوفة فجعل يقول : أما إنني لأنصرنه . فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد أن ضربه مائة جلدة .

فأرسل إلى صهره ابن عمر يستشفع به ، فأرسل عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية فتشفع له عنده ، فأرسل يزيد إلى ابن زياد فأطلقه وسيره إلى الحجاز في عباءة .

فصار إلى ابن الزبير في مكة ، وقاتل معه حين حضره أهل الشام قتالا شديدا . ثم بلغ المختار ما قاله أهل العراق فيه من التخييط فسار إليهم وترك ابن الزبير ، وقيل إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتابا إلى عبد الله بن مطيع وكان نائبه على الكوفة ففعل ابن الزبير .



فسار المختار إلى الكوفة ، وكان يظهر مدح ابن الزبير فى العلانية ، ولكن يسبه فى السر ويمدح ابن الحنفية ويدعو إليه . وما زال يفعل ذلك حتى استحوذ على أهل الكوفة بادعاء التشيع وإظهار الأخذ بثار الحسين رضى الله عنه .

وبسبب ذلك التفت حوله جماعات كثيرة من الشيعة ، وتمكن من أن يخرج عامل ابن الزبير ابن مطيع من الكوفة ، واستقر الأمر للمختار بالكوفة ، وكتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مدهانا لبنى أمية ، وقد خرج من الكوفة وأنا ومن بها فى طاعتك ، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو له على المنبر يوم الجمعة ويظهر طاعته ، ولكنه يبطن الدعوة لابن الحنفية وأهل البيت .

ثم شرع يتتبع قتلة الحسين ومن شهد الواقعة فى كربلاء ضده . فقتل منهم خلقا كثيرا ، منهم عمر بن سعد بن أبى وقاص أمير الجيش الذى قتل الحسين رضى الله عنه ، وشمر بن ذالجوشن أمير الألف الذين تولوا قتل الحسين رضى الله عنه وغيرهما .

وبعث قائد جيشه إبراهيم بن الأشتر فى عشرين ألفا إلى عبيد الله بن زياد ، وكان ابن زياد فى جيش مضاعف أربع مرات ، فتمكن ابن الأشتر من قتل ابن زياد وكسر جيشه ، واجتز رأس ابن زياد ورءوس أصحابه وأرسلها إلى ابن الزبير فى مكة فأمر ابن الزبير بنصبها على عقبة الحجون . ولما تبين لابن الزبير خداع المختار ومكره وسوء مذهبه بعث أخاه مصعبا أميرا على العراق ، وتمكن مصعب من قتل المختار واجتز رأسه وأرسله إلى أخيه فى مكة ولكن ابن الزبير لم يحفل بها وألقاها على باب المسجد .

ودالت دولة المختار وفرح المسلمون بزوالها ، وقد انكشف زيفه وضلاله وكذبه ، كان يزعم أن الوحي ينزل عليه ، وأن جبريل يحضر إليه ويجلس معه ، وجوز البداء على الله تعالى . وهذا كفر والعياذ بالله .

قيل لابن عمر رضى الله عنهما - وهو صهره - إن المختار يزعم أن

الوحي يأتيه ، فقال : صدق ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ (١) .

أى أن الوحي الذى يزعم أنه يأتيه إنما هو وحي الشياطين التى توحى إلى أوليائها بالشر والفساد . وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمنى وأنزلنى عنده ، وكان يتعاهد مبيتى بالليل . قال : فقال لى : اخرج فحدث الناس . قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول فى الوحي ؟ قلت : الوحي وحيان ، قال الله تعالى : ﴿ بَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (٣)

قال : فهموا أن يأخذونى . فقلت لهم : ما لكم وذاك ؟ إنى مفتيكم وضيئفكم ، فتركونى . وإنما أراد عكرمة أن يشير إلى كذب المختار وادعائه أن الوحي ينزل إليه .

وقد شهدت أسماء بنت أبى بكر بكذبه حينما قتل الحجاج ابنها عبد الله بن الزبير فقالت : إن رسول الله ﷺ قال : « **إن فى ثقيف كذابا ومبيرا** » (٤) . تشير إلى أن الكذاب هو المختار والمبير هو الحجاج وكلاهما من ثقيف .

لقد كان المختار سببا فى الأقوال التى فشت فى أذهان الشيعة تأثرا بما كان يقول ، وإن رجلا يزعم أن الوحي ينزل عليه وأن جبريل يجالسه وأنه يعلم الغيب لا يبعد عليه أن يقول : إن ابن الحنفية سوف يعود بعد موته . وأهل البيت رضى الله عنهم برآء من هذه الأقوال ، حريصون على سلامة الدين من كل عبث يضاف إليه أو يشوه صورته وصدقه وطهارته بل إن المحافظة عليه من صميم رسالتهم ، فقد قال النبى ﷺ : « **إنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فىكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى** »

(٢) يوسف : ٣ .

(١) الأنعام : ١٢١ .

(٤) رواه ابن كثير وعزاه إلى أحمد فى مسنده .

(٣) الأنعام : ١١٢ .

وإن اللطيف الخبير خبرنى إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما» <sup>(١)</sup> رواه أحمد فى المسند ١٧/٣ ، وفى الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٢ قسم ٢ ص ٢ .

### من تعاليم الإمامية

جاء فى كتاب بيان للناس :

هذه الطائفة يعيها تكفير الصحابة ، ويصنعون نصوصا وينسبونها إلى أهل البيت فى ذلك . وقد عرفنا مما سبق أن أهل البيت برآء من ذلك ، وأنهم كانوا يكونون للصحابة كل احترام ، وقدما من النصوص المروية عنهم من أمثال ما ذكره الإمام الحسن بن الحسن والإمام على زين العابدين والإمام زيد بن على والإمام محمد الباقر وغيرهم ما يدل على أنهم يدينون من يسب الصحابة أو يسىء إليهم ويتبرأون منهم .

وبعضهم يدعى أن هناك نقصا فى القرآن الكريم .

وهذا كلام تنقصه البيئة ويتعارض مع الواقع والصواب ، والإمام على رضى الله عنه كان معه مصحف لا يتعارض مع المصحف الذى جمعه عثمان رضى الله عنه وهو المتداول بين المسلمين . والقرآن محفوظ من مثل هذه الافتراءات وقد تعهد الله بحفظه فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وهؤلاء يقولون بالتقية وهى إظهار خلاف العقيدة الباطنة لدفع سوء عنهم . ويقولون إن الجهاد غير مشروع لغيبة الإمام والجهاد مع غيره حرام ولا يطاع ، ويرد على هؤلاء أن الشيعة فى مختلف العصور جاهدوا العدو ، وهم الآن يجاهدون العدو المغتصب الذى يحتل بلاد المسلمين فى العراق ولبنان وباكستان وأفغانستان ومختلف الأقطار . وقد سجل الشيعة المعتدلون فى جهادهم ضد العدو بطولة رائعة ما تزال الألسنة تلهج بها فى كل مكان وتستظل .



## الطائفة الإسماعيلية

تعد الطائفة الإسماعيلية من أخطر الطوائف الشيعية ، وهى منسوبة إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ، ظاهرها التشيع لآل البيت وحقيقتها هدم عقائد الإسلام ، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان والإسماعيلية هم أجداد الفاطميين والقرامطة ، ويعتقدون التناسخ والحلول ، وبعضهم يزعم ألوهية الإمام بنوع من الحلول ، وبعضهم يزعم رجعة من مات من الأئمة بصورة التناسخ <sup>(١)</sup> .

### اين يوجدون ؟

جاء فى الموسوعة الذهبية : أن هذه الفرقة طائفتان إحداهما فى الهند وتسمى (البهرة) ويتركزون فى بومباى . وهؤلاء يعترفون بالأركان الخمسة للإسلام الواردة فى حديث : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » رواه الشيخان .

ولكنهم يزيدون ركنا سادسا اسمه ( الطهارات ) ويتضمن هذا الركن تحريم الدخان والموسيقى والأفلام .

وهم فى صلواتهم يجمعون بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، ولا يصلون الجمعة ، ويحتفلون بذكرى غدير خم فى ١٨ من ذى الحجة كل عام حيث تمت فيه الوصية لعلی : « من كنت مولاه فعلى مولاه » أما الطائفة الثانية وتسمى الأغاخانية نسبة إلى زعيمهم أغاخان فقيم فى سلمية بسوريا ، وفى زنجبار وشرقى أفريقيا <sup>(٢)</sup> .

### اقسام هذه الطائفة

#### اسماعيلية القرامطة

ظهر هؤلاء فى البحرين والشام بعد أن شقوا عصا الطاعة على الإمام الإسماعيلي نفسه ونهبوا أمواله ومتاعه ، فهرب من سلمية فى سوريا إلى



بلاد ما وراء النهر خوفاً من بطشهم ، وقد سيطروا على الجزيرة وبلاد الشام والعراق وما وراء النهر ، ومن أشهر شخصياتهم عبد الله بن ميمون القداح .

### الإسماعيلية الفاطمية

وهى الحركة الإسماعيلية الأصلية ، وقد مرت بعدة أدوار .

#### أولاً: دور السّتر

وكانت منذ مات إسماعيل بن جعفر الصادق سنة ١٤٣ هـ إلى ظهور عبد الله المهدي، وتتناول هذه الفترة أسماء أئمة متعددين ، ولكنهم مختلف فيهم بالنسبة للسرية .

#### ثانياً: بداية الظهور

وقد بدأ هذا الدور بظهور الداعية الحسن بن حرشب الذى أسس دولة الإسماعيلية فى اليمن سنة ٢٦٦ هـ وامتد نشاطه إلى شمال أفريقية واكتسب شيوخ كتامة ، ويلى ذلك ظهور رفيقه على بن فضل الذى ادعى النبوة وأغفى أنصاره من الصلاة والصيام .

#### ثالثاً: بدء ظهور عبد الله المهدي

وقد كان مقيماً فى سلمية بسوريا ثم هرب إلى شمال أفريقيا واعتمد على أنصاره هناك من الكتامين .

وقد أسس أول دولة إسماعيلية فاطمية فى المهديّة بإفريقيا ( تونس ) وتتابع بعده الفاطميون حتى جاء المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٤١ هـ - ٣٦٥ هـ وفى عهده فتحت مصر سنة ٣٥٨ هـ وانتقل إليها المعز سنة ٣٦٢ هـ .

#### الإسماعيلية الحشاشون

وهم إسماعيلية نزارية بالشام وفارس وبلاد الشرق . وكيفية ظهورها: كان فى مصر وقت حرمان نزار شخص فارسى هو الحسن بن الصباح الذى كان حاجاً إلى الإمام المستنصر ، ولما شاهد ما حدث من الانقسام

عاد إلى بلاد فارس داعيا إلى الإمام المستور ، واستولى على قلعة الموت سنة ٤٨٣ هـ ، وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية ، وهم المعروفون بالحشاشين ، وقد أرسل بعض الفدائيين إلى مصر لقتل الإمام الأمر بن المستعلى ، وقد كان متعطشا للدماء حتى إنه قتل ولديه ومات سنة ٥٢٨ هـ من غير سليل .

### إسماعيلية الشام

وهم اسماعيلية نزارية، وظلوا خلال هذه الفترات الطويلة على عقيدتهم يجاهرون بها في قلاعهم وحصونهم، غير أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة بالرغم من الدور الخطير الذي قاموا به ولا يزالون إلى الآن في سلمية بالذات وفي القدموسى ومصيف وبانياس والخابى والكهف .

وإسماعيلية الشام امتلكوا قلاعا وحصونا في طول البلاد وعرضها وما تزال لهم بقايا في سلمية والخابى وقدموس وبانياس والكهف .

### إسماعيلية البهرة

وهم اسماعيلية مستعلية يعترفون بالإمام المستعلى ، ومن بعده الأمر ثم ابنه الطيب ، ولذا يسمون الطيبة ، وهم إسماعيلية الهند واليمن تركوا السياسة وعملوا بالتجارة ، فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة . والبهرة لفظ هندي قديم يعنى التاجر . وتنقسم البهرة إلى قسمين :

- (١) البهرة الداودية ، نسبة إلى الداعى قطب شاه داود ، وهم في الهند وباكستان، منذ القرن العاشر الهجري، وداعيتهم يقيم في (بومباي).
- (٢) البهرة السليمانية ، نسبة إلى الداعى سليمان بن حسن . ومركز هؤلاء اليمن حتى اليوم .

### الإسماعيلية الأغانية

ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع الميلادى ومن دعائهم : حسن على شاه ، وهو الأغاخان الأول ، استغله الإنجليز

لقيادة ثورة تكون ذريعة لتدخلهم ، فدعا إلى الإسماعيلية النزارية ، ونفى إلى أفغانستان ومنها إلى بومباي ، وقد خلع عليه الإنجليز لقب (أغاخان) سنة ١٨٨١ م وله نسل احتفظوا بلبقه .

### الإسماعيلية الواقفة

وهي فرقة اسماعيلية وقفت عند إمامة محمد بن إسماعيل وهو أول الأئمة المستورين ، ثم قالت برجعته بعد غيبته .

### أهم مبادئ الإسماعيلية

(١) القول بقدوم العالم ، وأن له مدبرين : الأول **الله** ، والثاني النفس .  
(٢) الإمام يعين بالنص لا بالانتخاب ، وهو معصوم من الصغائر والكبائر .

(٣) للقرآن معنى ظاهر ومعنى باطن لا يعلمه إلا الأئمة ، لأنهم ورثوا علم الباطن . ولا معنى للتمسك بحرفية القرآن ، ويجب فهمه على طريقة التأويل والمجاز .

(٤) لا يؤمنون بعلم ولا بحديث إلا ما روى عن أئمتهم .

(٥) تكفير من اغتصبوا الخلافة من على رضى **الله** عنه .

(٦) إباحة المحرمات والمحارم .

وقد أثبت التاريخ أن من وضعوا أساس مذهب الإسماعيلية الباطنية من أولاد المجوس . وضعوا تعاليم لهدم الإسلام ودرجوها تسع درجات تبتدئ بالتشكيك في الدين كقولهم : ما معنى رمى الجمار ؟ ولم كانت صلاة الصبح ركعتين والظهر أربعاً ؟ وأولوا القرآن الكريم والسنة النبوية بما يوافق هواهم ، فكان تحريفا لا تأويلا .

وزعماء الإسماعيلية يغيرون ويبدلون في المبادئ حسب أهوائهم وأتباعهم ، ويعتقدون أن لهم التصرف في أمور الدنيا والآخرة ، وكلما امتد الزمان زاد مذهبهم فسادا ، ولحق الناس من أعمالهم وأقوالهم شر كبير<sup>(١)</sup> . ولا شك أن هذه التعاليم يأبأها الإسلام ويبرأ منها .

## التعريف ببعض الاعلام المذكورة الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق

هو ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنه .

كان إسماعيل أكبر أبناء جعفر الصادق ، وكان هو المرشح للإمامة ولكن أباه أوصى بالإمامة لابنه موسى ، واختلف في وفاة إسماعيل فمن قائل إنه توفي ودفن في البقيع في حياة والده ، وفي رواية إنه كان لا يزال حيا بعد وفاة أبيه بخمسة أعوام ، وكانت له كرامات .

وفي رواية ثالثة: إن أباه حرمه الإمامة لأنه كان يشرب الخمر وأنه كان من أصدقاء أبي الخطاب الأسدي الذي ادعى ألوهية جعفر الصادق<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء<sup>(٢)</sup> : إن إسماعيل بن جعفر الصادق مات في حياة أبيه جعفر سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وترك من الأولاد محمدا وعليا وفاطمة وكان لمحمد بن إسماعيل الدعوى بعد والده . وذكر الكتاب نسلا لمحمد بن إسماعيل امتد عبر الزمان<sup>(٣)</sup> .

### عبيد الله المهدي

اختلف في أمره ، فقليل : إنه منسوب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر .

وقيل : إنه ليس له علاقة بأهل البيت ولكنه ابن رجل يهودي كان يعمل حدادا في سلمية ، ومات أبوه اليهودي فتزوجت أمه من أحد العلويين الذي قام على تربية الغلام ، فلما كبر الغلام ادعى أنه ابن علوي من بيت النبوة .

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٣٣٣ . (٢) من تأليف تقى الدين أحمد بن علي المقرئ .

(٣) المرجع المذكور ١٧/١ .



وقيل إنه من نسل عبد الله القداح الذى كان مولى لجعفر الصادق .  
وقال المغاربة : إنه من أعقاب عبد الله بن سالم البصرى وكان يطلق  
عليه ابن البصري (١) .

### عبد الله بن ميمون القداح

نسبه بعضهم إلى أهل البيت وقال : هو عبد الله بن ميمون بن محمد  
بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن محمد بن على بن الحسين بن على .  
ومن لم ينسبه هذا النسب يقول : إنه عبد الله بن ميمون القداح الذى  
ينسب إلى القداحية .

وهؤلاء ينسبون القداح إلى ديصان الشنوى ، وقد ولد ديصان هذا  
ميمون القداح الذى تنسب إليه فرقة تسمى بالميمونية ، وله مذهب فى  
الغلو ، وولد لميمون ولد اسمه عبد الله كان أخبث من أبيه وأعلم بالحيل  
والخديعة على بطلان الإسلام ، وأراد عبد الله أن يتنبأ فلم يتم له ذلك  
ونزل (ساباط أبى نوح) فنال بدعوته مالا ، وكان يتستر بالتشيع والعلم  
وصار له دعاة ، وثار عليه الشيعة والمعتزلة ففر إلى البصرة ، وادعى أنه من  
ولد عقيل بن أبى طالب ، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر  
الصادق ، ثم اشتهر خبره فطلبه العسكريون فهرب إلى سلمية ، وولد له  
ابن اسمه أحمد ، ومات عبد الله بن ميمون فقام من بعده ابنه أحمد  
بالدعوة التى كان يدعو بها أبوه . ومات أحمد فخلفه سلسلة من أولاده  
وأحفاده فى الدعوة التى يدعو إليها . حتى وصل الأمر إلى حفيد اسمه  
سعيد فغير اسمه إلى عبيد الله وتلقب بالمهدى ونسب نفسه إلى العلويين  
وقال إنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (٢) .



(١) إسلام بلا مذاهب ص ٢١٩ .

(٢) إنعاز الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ١ / ٢٤ .

### الشعر والتشيع

أثارت مصارع أهل البيت ظلماً قرائح الشعراء ، وأسالت دموعهم بالبكاء ، ومواجيدهم بالثناء ، فقالوا فيهم من الشعر الرائع ما يعبر عن حب عظيم ، وحزن صادق وألم دفين .

وقد بدأ شعر الشعراء بالحزن على عليّ رضى الله عنه رأس هذه الشجرة المباركة بعد النبي ﷺ ، فكان لمصرعه بهذه الصورة الفاجعة عقب كفاح دائب في خدمة الإسلام ورفعته هذا الدين المتين الذى أخلص له منذ الصغر وشب فيه واكتهل ، لم يقصر قيد أنملة فى الإخلاص له وإعلاء بنائه يقول الأستاذ أحمد الزيات عن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ورث على بن أبى طالب بحكم مولده ومرباه مناقب النبوة ومواهب الرسالة ، وبلاغة الوحى ، وصراحة المؤمن ، وبسالة المجاهد فأجمع الناس على إجلاله ، وكادوا يطبقون على حبه ، حتى من كتب عنه من الأوربيين قد شاركوا المسلمين فى هذه العاطفة ، فقد قال فيه الكاتب الإنجليزى « كارليل » : ( أما ذلك الفتى على فلا يسعك إلا أن تحبه ، ركب الله فى طبعه النبل منذ الحداثة ، وتجلّى فيه الكرم طوال عمره ، ثم طبعه الله على العمل ونفاذ الهمة وصراحة البأس ، وأتاه سر الفروسية وجرأة الليث ، وكل أولئك فى رقة قلب ، وصدق إيمان ، وكرم فعال تليق بالفروسية المسيحية ) .

ثم سار علىّ فى خصومته وخلافته وسياسته فى ضوء هذه الأخلاق فما قارف الأثرة ، ولا حاول الفرقة ، ولا راقب الفرصة ، ولا أثار العصبية ، ولا استخدم المال ، وإنما أخلص النية للعمرين <sup>(١)</sup> ، ومحض النصيحة لعثمان ، وأعذر بالحجة لمعاوية ، ولكن دنيا الفتوح كانت قد أخذت على عهده تتجاهل دين البساطة والزهد ، ولم تعد السياسة الدينية وحدها قادرة على كبح النفوس المفتونة بمال معاوية فى الشام ، وثرء الرافدين فى العراق ، فانتشر أمره وانصدعت خلافته ثم قتل مظلوماً فى

(١) يقصد بالعمرين : أبابكر وعمر على سبيل التغليب .

محاربه ، فكان محياه وماته تاريخا داميا للفضيلة المعذبة ، والنفس المطمئنة الشهيدة ، ثم ورث بنيه وأهليه ذلك العزم الثائر وهذا الجد العاثر ، فدب الموت للحسن سرا في كأس مذعوفة ، وقتل الحسين قتلة لا يزال يرعد لهولها الدهر « (١) .

ومما قيل في رثاء الإمام عليّ رضي الله عنه :

قال أبو الأسود الدؤلي

ألا قل للخوارج حيث كانوا	فلا قرت عيون الشامتينا
أفى الشهر الحرام فجعتمونا	بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتهم خير من ركب المطايا	فذلها ومن ركب السفينا
وكل مناقب الخيرات فيه	وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانوا	بأنك خيرها حسبا ودينا
إذا استقبلت وجه أبى حسين	رأيت البدر راق الناظرينا
وكنا قبل مقتله بخير	نرى مولى رسول الله فينا
فلا تشمت معاوية بن حرب	فإن بقية الخلفاء فينا

وأبو الأسود الدؤلي : اسمه ظالم بن عمرو الدؤلي من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثهم روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وغيرهم ، واستعمله عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم واستعمله علي رضي الله عنه على البصرة . وهو الذى وضع علم النحو بإشارة من علي رضي الله عنه وتوجيه منه وتعليم له .

كان يحب عليا رضي الله عنه ، وله فيه مرثى عدة وله أشعار يمتدح فيها آل البيت ويذكر فضلهم عليه وعلى الناس . . من ذلك ما يرويه الأصفهاني في الأغاني :

كان أبو الأسود نازلا في بنى قشير ، وكانت بنو قشير عثمانية وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبونونه وينالون من علي

رضى الله عنه بحضرته ليغيظوه بذلك ، فإذا أصبح قال لهم أى جوار هذا؟ فيقولون له : لم نَرْمِكْ إِنَّمَا رَمَاكَ اللَّهُ لِسُوءِ مَذْهَبِكَ وقبح مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك :

طوال الدهر لا تنسى عليا ؟  
من الأعمال مفروضا عليا ؟  
وعباساً وحمزة والوصيا  
أحبُّ الناس كلهم إليا  
ولست بمخطئ إن كان غيا  
وأهل مودتى ما دمت حيا  
رحى الإسلام لم يعدل سواي  
أجئ إذا بعثت على هويّا  
هداهم واجتبي منهم نبيا  
هنيئاً ما اصطفاهم مريّا (١)

يقول الأردلون بنو قشير  
فقلت لهم وكيف يكون تركي  
أحب محمدا حبا شديدا  
بنى عم النبی وأقريبه  
فإن يك حبههم رشدا أصبه  
هم أهل النصيحة غير شك  
هو أعطيته لما استدارت  
أحبهم لحب الله حتى  
رأيت الله خالق كل شيء  
ولم يخصص بها أحدا سواه

### السيد الحميري

ومن الشعراء الذين أكثروا من مدح أهل البيت إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميرى الملقب بالسيد الحميرى . وكان شاعرا متقدما مطبوعا ، وكان من أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والإسلام وكان يذهب مذهب الكيسانية ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية رضى الله عنه . وله فى ذلك شعر كثير . ومن شعره الذى قاله فى حضرة الإمام جعفر الصادق ويرثى فيه الحسين رضى الله عنه :

فقل لأعظمه الزكية  
وطفاءً ساكبة روية  
فأطل به وقف المطية  
والمطهرة النقية  
يوما لواحدھا المنية

أمر على جدت الحسين  
آعظما لا زلت من  
وإذا مررت بقبره  
وابك المطهر للمطهر  
كبكاء مغولة أنت



فانحدرت دموع جعفر على خديه وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتى أمره بالإمساك فأمسك (١) .

### الكميت بن زيد

أما الذى حاز قصب السبق فى التشيع لأهل البيت وكان شعره خير شاهد لذلك فهو الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد ، ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار ، وهو كوفى النشأة والمولد ، ولد سنة ستين من الهجرة فى السنة التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه وتوفى بها سنة ست وعشرين ومائة وكان مولده ومنشؤه فى الكوفة وهى معقل العلويين وأنصارهم السبب فى وقف شعره على أهل البيت .

وكان أول شعره فى آل البيت الهاشميات ، وهى قصائد يمتدح فيها بنى هاشم ، وكان يستر شعره أولاً ، ثم تجراً وأراد أن يعلن شعره فأتى الفرزدق الشاعر المشهور وقال له يا أبا فراس ، إنك شاعر مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك .

قال الفرزدق : فما حاجتك ؟

قال : نفث على لسانى فقلت شعرا ، فأحببت أن أعرض عليك فإن كان حسنا أمرتنى بإذاعته ، وإن كان قبيحا أمرتنى بستره ، وأنت أولى من ستره .

فقال له الفرزدق أما عقلك فحسن ، وإنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدنى . فأنشده الكميت :

**طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ..**

قال الفرزدق : فقيم تطرب ؟ قال :

**ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب ؟**

قال الفرزدق : بلى يابن أخى فالعب فإنك فى أوان اللعب . قال :

**ولم يلهنى دار ولا رسم منزل ولم يتطربنى بنان مخضَّب**

قال الفرزدق : ما يطريك يا بن أخى ؟ قال :

ولا السائحات البارحات عشية  
فقال الفرزدق : أجل لا تتطير . فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى  
قال الفرزدق : من هؤلاء ويحك ؟ قال :

إلى النفر البيض الذين بحبهم  
قال : أرحنى ويحك . من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رهط النبی فإننى  
خفضت لهم منى جناحى مودة  
وكننت لهم من هؤلاء وهؤلاء  
وأرمى وأرمى بالعداوة أهلها  
بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب  
إلى كنف عطفاه أهلٌ ومرحَبٌ  
مُحبًا على أنى أذمُّ وأُفصَبُ  
وإنى لأوذى فيهمو وأؤنبُ

فقال له الفرزدق : يابن أخى أذع ثم أذع ، فانت والله أشعر من  
مضي ومن بقى . وما زال الكميت يقول الشعر فى آل البيت ويسمعهم  
إياه طلبا لرضا الله تعالى ، وإدخالا للسرور على نفوسهم .

وكانوا يدعون له دعاء حارا على ما يقوله . ويحاولون مكافأته  
فيقول : ما قلت شعرى إلا لله . ومن شعره فى ذلك :

أسرة الصادق الحديث أبى  
خير حيٍّ وميت من بنى آدم  
القاسم فرع القدامس (١) القدَّام  
طرّاً مأمومهم والإمام  
وفى ذكر الحسين يقول :

وقتل بالطف غودر منه  
تركب الطير كالمجاسد منه  
بين غوغاء أمة وطفام (٢)  
مع هاب من التراب هيام (٣)  
أكرم الشَّارين صوب الغمام (٤)  
قتل الأدعياء إذ قتلوه

(١) القدامس : السيد والقدام : من يتقدم الناس لشرفه .

(٢) الطف : موضع قرب الكوفة هو الذى استشهد فيه الحسين رضى الله عنه .

(٣) المجاسد : الثياب المزعفرة ، الهيام الذى يتساقط من نفسه .

(٤) الأدب العربى وتاريخه - محمود مصطفى ٢ / ٣٢٩ .

**محنة الكميت**

وتعرض الكميت بسبب مدائحه لأهل البيت لمحنة شديدة ، فقد غضب عليه الأمويون وأهدروا دمه ، ولكنه استطاع أن ينجو من هذه المحنة ، وامتدح الأمويين بعدة قصائد فعفوا عنه . كان تشييعه عقيدة ضم عليها أحناء ضلوعه أما امتداحه الأمويين فكان حيلة نجا بها من سيوفهم . كان مصرع الحسين بهذه الصورة الفظيعة مثار ضجة عارمة ضد الأمويين ، وانعطاف شديد نحو أهل البيت ، ومن المراثي التي قيلت فيه :

تقتل ذرية النبي ويرجون	خلود الجنات للقاتل
ويلك يا قاتل الحسين لقد	بؤت بحمل ينوء بالحامل
أي حباء حبوت أحمد في	حفرته من حرارة الثاكل
بأى وجه تلقى النبي وقد	دخلت في قتله مع القاتل
هلم فاطلب غدا شفاعته	أو لا فرد حوضه مع الناهل
ما الشك عندي في حال قاتله	لكننى قد أشك في الخاذل
نفسى فداء الحسين يوم غدا	إلى المنايا غدو لا قافل
ذلك يوم أخنى بشفرته	على سنام الإسلام والكاهل

ووقف سليمان بن قنة بمصارع الحسين وأصحابه بكر بلاء فاتكأ على نوسه وجعل يبكى ويقول :

إن قاتل الطف من آل هاشم	اذل رقبا من قريش فذلت
مررت على أبيات آل محمد	فلم أرها أمثالها يوم حُلَّتْ
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وإن أصبحت منهم برغمى تخلت
ألم تر أن الأرض أمست مريضة	لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاء ثم عادوا رزية	لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

**إعجاب أبى العلاء المعرى بأبيات فى رثاء الحسين**

عن القاضي أبى يوسف عبد السلام بن محمد القزوينى قال :  
اجتمعت بأبى العلاء أحمد المعرى ، فجرى بيننا كلام ، فقال أبو العلاء :

ما سمعت فى مراثى الحسين بن على رضى الله عنهما مراثية تكتب قال :  
فقلت له : قد قال رجل من فلاحى بلدنا أبياتا يعجز عنها شيخ تنوخ فقال  
أبو العلاء أنشدنيها ، فأنشدته :

رأس ابن بنت محمد ووصيه	للمسلمين على قناة يُرفع
والمسلمون بمنظر وبسمع	لا جازع فيهم ولا متفجع
كحلت بمنظر العيون عمية	وأصم رزؤك كل أذن تسمع
أيقظت أجفانا وكنت أئمتها	وأئمت عينا لم تكن بك تهجع
ما روضة إلا ثمت أنها	لك تربة ولخط قبرك مضجع

فقال أبو العلاء المعرى : والله ما سمعت أرق من هذا (١) .

### أدب بكاء أهل البيت

وأوردت الأستاذة الدكتورة فاطمة المحجوب فى موسوعتها الذهبية بابا  
أطلقت عليه : أدب بكاء أهل البيت جاء فيه :  
بكاء آل البيت لم يخرج عن إطار مذهب أهل السنة الاعتقادى ،  
فالقاضى أبو بكر بن العربى بكى الحسين وندبه ، ولكنه فى الوقت نفسه  
يقول : إن الحسين قتل بسيف الشريعة (٢) فمع حب ابن العربى لآل  
البيت ، ومع أن بكاءهم يعبر عن إنتاج عصره وظروفه ، إلا أن ابن العربى  
الفقيه يهمله استمرار الشريعة ، ولعل هذا يفسر ما يبدو من تناقض فى  
موقفه من مقتل الحسين ، ومن هنا يلاحظ المرء أن ناظمى القصائد وكاتبى  
الرسائل فى بكاء الحسين لم يصدروا عن موقف شيعى إنما كتبوا ما كتبوه  
ونظموا ما نظموا عن الحسين رجاء شفاعته جده يوم الحساب (٣) .

ولنا تعليق على كلمة القاضى أبو بكر بأن الحسين قتل بسيف الشريعة  
.. لأن الواقع أنه قتل غدرا ذلك أن الحسين عرض على قاتليه أمورا .  
قال : إما أن تتركبنى أعود من حيث أتيت ، أو تتركبنى أمضى إلى يزيد

(١) الموسوعة الذهبية ج ٤١ ص ١٦ . (٢) العواصم والقواصم ص ٢١٤ .

(٣) الموسوعة الذهبية ٣/ ٢٨٨ .



فأضع يدي في يده ، أو تتركوني أمضي مع المجاهدين فأجاهد في سبيل الله . ولكنهم أصرروا على أن يقودوه إلى عبيد الله بن زياد . . فهل قتل الحسين بهذه الصورة العنيدة كان بسيف الشريعة ؟

وقيل إن يزيد ندم وقال : لعن الله ابن مرجانة كنت أرضي منه بدون قتل الحسين <sup>(١)</sup> وعرضت الموسوعة عدة مراث للحسين منها قصيدة دعبل الخزاعي ومنها :

فأجريت دمع العين بالعبرات  
رسوم ديار أفقرت وعرات  
ومنزل وحى مقفر العرصات  
وبالبيت والتعريف والجمرات  
وحزمة والسجاد ذى الثغفات  
نجي رسول الله فى الخلوات  
وللصوم والتطهير والحسنات  
من الله بالتنزيل والرحمات  
سبيل رشاد واضح الطرقات  
متى عهدا بالصوم والصلوات ؟  
فأمسين فى الأقطار مفترقات ؟  
وأهجر فيهم أسرتى وثقاتى  
وهم خير سادات وخير حماة  
لقد شرفوا بالفضل والبركات  
وتؤمن منهم زلة العثرات  
وزد جهم يارب فى حسناتي  
وإنى لأرجو الأمن بعد وفاتي  
أروح وأغدو دائم الحسرات

ذكرت محل الربع من عرفات  
وقل عرى صبري وهاجت صبابتي  
مدارس آيات خلت من تلاوة  
لآل رسول الله بالخيف من منى  
ديار على والحسين وجعفر  
ديار لعبد الله والفضل صنوه  
منازل كانت للصلاة وللتقى  
منازل جبريل الأمين يحلها  
منازل وحى الله معدن علمه  
فقا نسأل الدار التى خف أهلها  
وأين الألى شطّط به غربة النوى  
أحب فضاء الدار من أجل جهم  
وهم أهل ميراث النبى إذا انتموا  
مطاعم فى الإحسار فى كل مشهد  
أئمة عدل يقتدى بفعالهم  
فيا رب زد قلبى هدى وبصيرة  
لقد أمنت نفسى بهم فى حياتها  
الم تر أنى من ثلاثين حجة

أرى فيتهم في غيرهم متقسما  
إذا وتروا مدوا إلي أهل وترهم  
وآل رسول الله نحف جسومهم  
سابكيكمو ما در في الأفق شارق  
وما طلعت شمس وحان غروبها  
ديار رسول الله أصبحن بلقعا  
وآل زياد في القصور مصونة  
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد  
خروج إمام لا محالة خارج  
يميز فينا كل حق وباطل  
فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري

وأيديهم من فيتهم صفرات  
أكفا من الأوتار منقبضات  
وآل زياد علظ القصرات  
ونادی منادی الخير بالصلوات  
وبالليل أبكيكم وبالغدوات  
وآل زياد تسكن الحجرات  
وآل رسول الله في الفلوات  
لقطع نفسى إثرهم حسرائي  
يقوم على اسم الله بالبركات  
ويجزى عن النعماء والنقمات  
فغير بعيد كل ما هو آت

لقد قصد دعبيل بهذه القصيدة الإمام على بن موسى الرضا ، وكان  
المأمون قد جعله ولي عهده ، فلما سمعها منه بكى بكاء شديدا ، وأمر له  
بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن وقعت في يد أحد بعد .  
ولما قدم العراق باع كل درهم بعشرة دراهم . اشترتها منه الشيعة  
فحصل له مائة ألف درهم .

وكان قد وهب له ثوبا ، فقطع الشيعة عليه الطريق ، وأخذوا الثوب  
منه ، وكانوا قد ساوموه عليه بثلاثين ألف درهم ولكنه أبى .  
وأخيرا صالحوه على أن يعطوه مع المال فرد كم . فرضى بذلك .  
فانظر كيف فعل الشعر في إثارة التشيع .

ولقد أحب الناس دعبلا دون أن يروه ، وطارت قصائده في الآفاق  
حتى حفظها قطاع الطرق .

يروى الأصفهاني في أغانيه :

بعد أن أخذ دعبيل الجبة من الإمام على الرضا خرج قاصدا العراق  
ضمن قافلة متجهة إليها ، فخرج عليهم للصوص في الطريق ونهبوا

القافلة عن آخرها ، وأمسكوا جماعة من جملتهم دعبل فأوثقوهم ، وأخذوا ما معهم ، وساروا بهم غير بعيد ثم جلسوا يقتسمون المال ، فتمثل مقدم اللصوص بقول دعبل في قصيدته المذكورة :

**أرى فينهم فى غيرهم متقسما وأيديهم من فينهم صفرات**

فقال له دعبل : أتعرف هذا البيت لمن ؟

فقال اللص : وكيف لا أعرفه ؟ هو لشاعر خزاعة اسمه دعبل ، شاعر أهل البيت .

فقال دعبل : أنا **والله** دعبل وصاحب هذه القصيدة التى منها هذا البيت .

فقال له الرجل : ويلك انظر ما تقول .

فقال دعبل : **والله** الأمر أشهر من ذلك ، واسأل أهل القافلة فسألوهم فأخبروا أنه دعبل بعينه .

فقال اللصوص : قد وجب حقك علينا ، قد أطلقنا القافلة من أجلك ، وردوا عليهم ما أخذوه منهم كرامة له <sup>(١)</sup> .

قال الأستاذ أحمد حسن الزيات عن شعر الشيعة : إن عاطفة شعراء الشيعة ستظل مكظومة بالطمع والخوف حتى تنبجس فى عهد بنى العباس نفثات غيظ وحسرات حزن وعبرات ألم فى شعر السيد الحميرى ودعبل الخزاعى وديك الجن ومطيع بن إياس وأبى الشيص والعكوك ، وأضرابهم <sup>(٢)</sup> .

وحقا كان ذلك ، ففى ضوء هذا التعبير قال الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه « إسلام بلا مذاهب » :

لقد سار الشعر فى ركب التشيع خطوات بعيدة المدى ، وأصبح أكثر الشعراء من المتشيعين خصوصا أعلامهم من أمثال الصنوبرى وكشاجم

(١) تجريد الأغاني لابن واصل الحموي ٥/ ٢٠٢٢ ط دار التحرير .

(٢) تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ص ١٣٣ .

والسرى الرفاء والزاهى والناشئ الأصغر ، والخالدين ، والخباز البليدى ، وأبى فراس ، وغيرهم ، ولئن كان هؤلاء الشعراء قد بكوا مصائب آل البيت و سكبوا المدامع من أجل مصائبهم ، فإنهم ما لبثوا بعد ذلك أن عمدوا إلى الجدل فى مواجهة خصوم الشيعة وأعدائها معدين فضائل أهل البيت ذاكرين الحجاج التى تجعل الإمامة فيهم ، وفى مقدمة هذه القصائد جميعا ميمية أبى فراس الحمدانى التى مطلعها :

**الدين مخترم والحق مهتضم وفى آل رسول الله مقتسم**

وفىها يهاجم بنى العباس هجوما شديدا ويعطف على بلوى آل البيت

فيقول :

**يا للرجال أما الله منتصف من الطغاة ؟ أما للدين منتقم؟**

**بنو على رعايا فى ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم**

ويجرب موازنة بين ما فعل كل من بنى العباس وبنى أمية بآل البيت

وما أوقعوه بهم من أذى فيقول :

**ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت تلك الجرائر إلا دون نيلكمو**

**كم غدرة لكم فى الدين واضحة وكم دم لرسول الله عندكمو**

**أنتموا الله فيما ترون وفى أظفاركم من بنى الطاهرين دم (١)**

إن فى هذا يلتقى مع قول القائل :

**تالله ما فعلت أمية فيهمو معشار ما فعلت بنو العباس**

وكما أثار الشعر التشيع عند الناس ، فقد أثار التشيع الأدب وأثر فيه،

ووجد الشعراء أمامهم ميدانا يتسابقون فيه . . . ولو أن ذلك كان يعرض

بعضهم للمآزق والعقاب من أولى الأمر .

لقد أصبح لشعر التشيع باب فى تاريخ الأدب العربى ، وإن كان

بعضهم يطلق عليه اسم الأدب السياسى أو الشعر السياسى .



يقول مؤلفو كتاب : الأدب فى ظلال الأمويين والعباسيين<sup>(١)</sup> :

قامت دولة الأمويين على أسنة الحراب والرماح ، وعاشت كذلك مدة حياتها تجالذ خصوما أقوياء ، وأعداء ألداء يخرجونها بالأسنة ، ويقاومونها بالأسنة ، وكان لكل حزب من خصومها شعراء يتعقبون مثالبها وينددون بسياستها ، ويشيرون الحفاظ عليها .

وكان كل شاعر من هؤلاء يشيد بحزبه ويدعو له ويؤلف القلوب حوله ويهجو خصومه السياسيين ، ويرثي شهداء جماعته .  
فهذا الكميث يتعصب أشد التعصب لبنى هاشم ويقف عليهم قلبه ولسانه غير مبال بما يلحقه من أذى وما يناله من ضرر .

وهذا كثير عزة يشرح عقيدته الشيعية المتمثلة فى الإمامة بقوله :

ألا إن الأئمة من قریش	ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنیه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده غسل وماء

ونعلق قائلين : لئن كان للشيعه شعراء ، فقد كان للخوارج شعراء وللزبيريين شعراء ، وللأمويين شعراء ، بل وللشعوبيين شعراء . . واختلط الحابل بالنابل . وكان هذا بسبب الخروج بادئ ذى بدء على تعاليم هذا الدين الحنيف الذى أوصى بالوحدة ونادى بالألفة ، وأمر بالاعتصام وقال : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .



## عواقب الخلاف

هذه الخلافات ماذا فعلت بالمسلمين ؟

إنها مزقت صفوف الأمة الإسلامية ، وجعلت منهم شيعة وأحزابا جعلتهم نهبة كل ناهب وغرض كل سالب وفرصة كل ثالب ، وحققت قول النبي ﷺ « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها** » قالوا : وهل نحن من قلة يومئذ يا رسول الله ؟ قال : « **لا ولكن كثرة كغناء السيل** »

أجل ، وماذا تجدى الكثرة المتفرقة ؟

لقد أمر الله المسلمين بالوحدة والاتلاف ، فقال جل من قائل : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمتَ الله عليكم إذ كنتم أعداء فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها كذلك يبينُ الله لكم آياته لعلكم تهتدون** 》 (١)

ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ** 》 (٢)  
وقال : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** 》 (٣)

لم تكن هذه الخلافات إلا صدعا بين المسلمين ، ومهما احتجت كل فرقة لنفسها بأنها على الحق فإن الذى لا شك فيه أن كلمة المسلمين قد تفرقت ووحدتهم قد تمزقت بعد أن كانت مجتمعة .

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٢) آل عمران : ١٠٥ .

(٣) الأنفال : ٤٦ .

### هل الخلاف امر محتوم؟

ولقد عرض المؤرخون قضية الخلاف الكبرى بين المسلمين أمام مجاهر البحث والدراسة وأدلى كل منهم برأيه فى هذه القضية ، وصيغت مقالات ووضعت كتب كثيرة توفر العلماء على كتابتها وتقصى الحقائق فيها . واستقصى العلماء ما ورد من آثار مختلفة حول هذه الخلافات والنبوءات التى وردت بشأنها . قالوا : قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿ (١) .

فالخلاف محتوم يؤيده النبوءات التى وردت بشأنه ، ومن ذلك الحديث الذى ذكره الشهرستانى فى مقدمة كتابه « الملل والنحل » : « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة والباقيون هلكى » فقيل : ومن الناجية ؟ قال : « أهل السنة والجماعة » . قيل : وما السنة والجماعة ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابى » .

وروى الشاطبى فى الاعتصام ١٨/١ هذا الحديث برواية أخرى : « افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك ، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

وعن سنن أبى داود : إن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة « وفيها زيادة وهى : وأنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عروق ولا مفصل إلا دخله » .

ومما أورده النووى فى الأربعين عن العرياض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا . فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش فسيروى بعدى اختلافا

كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عَضُوا عليها بالتواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة .

فهل هذه الأخبار الصحيحة تعنى أنه لا بد من الخلاف الذى نجم والاختلاف الذى نشأ ؟

لقد كان النبى ﷺ يجتهد فى أن يجنب أمته الخلاف من بعده ، ولم يغادر الدنيا إلا بعد أن ترك الناس على المحجة البيضاء ، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك قائلا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

ولكن الاختلاف رغم ذلك وقع وكان أمر الله قدرا مقدورا .  
جاء فى القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (٢) روى النسائي عن خباب بن الارت وكان قد شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان مع الفجر ، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال : يا رسول الله بآبى أنت وأمى لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها؟ قال رسول الله ﷺ : أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت الله عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة ، سألت ربى عز وجل ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها ، وسألت ربى عز وجل ألا يظهر علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها ، وسألت ربى ألا يلبسنا شيئا فمنعنيها .

وقال القرطبي : وزوى أنه لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ : يا جبريل ما بقاء أمتى على ذلك ؟ فقال جبريل : إنما أنا عبد مثلك فادع ربك وسل لأمتك ، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ وأسبغ الوضوء ، وصلى وأحسن الصلاة ، ثم دعا ، فنزل جبريل وقال : يا محمد إن الله سمع مقاتلتك وأجارهم من خصلتين وهو العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم فقال : يا جبريل ما



بقاء أمتي إذا كان فيهم أهواء مختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض؟ فنزل جبريل بهذه الآية : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١﴾

وإذن فهي الفتن التي أشار إليها النبي ﷺ في قوله : ستكون بعدى **فتن كقطع الليل المظلم .**

ومن أجل ذلك التبس أمر الخلاف على بعض الصحابة فاعتزلوا القتال الناشب بين المسلمين لأنه فتنة القاعد فيها خير من القائم . وذكر الزمخشري في تفسيره الكشف نحواً من هذا الحديث الذي ذكره القرطبي . وكان الله سبحانه وتعالى أراد أن يبقى امتحان في هذه الأمة ليظهر المعدن الحقيقي لها ، وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة .

والخلاف في الأمم ضرورة لإفنائها ، ولكنها إذا استرشدت لأمرها أصبح الخلاف اختلافاً قد يؤدي إلى الضعف ولكنه كذلك يثير روح التنافس . فالأمة الإسلامية مرت - وتمر - بهذه المرحلة الخطيرة ، تخالفت فيما بينها واختلفت ، وكاد يهلك بعضها بعضاً ، واشتعلت فيها حروب وما زالت . ولكن والله الحمد لأن الله يريد لها البقاء أنقذها من وهدة التردى وعصمها من الاندثار والفناء .

وكان هذه الخلافات التي نشبت في الأمة الإسلامية كانت لها كالفلاح الذي زاد من قوتها ، فلو أن أمة أخرى مرت بها الفتن والمحن والتطاحن والحروب التي مرت بالأمة الإسلامية لما بقيت حتى الآن ، وربما كانت هذه خصيصة لأمة الإسلام التي جعلها الله خاتمة الأمم كما جعل دينها خاتم الأديان ورسولها خاتم الرسل والأنبياء .

وقد يأتي الخير من الشر ، فهذه الخلافات شر لا شك فيه ، ولكن جانب الخير فيها أنها تختبر العزائم وتوقظ الوجدان وتنبه الغافل وتفسح الطريق أمام المخلصين ليأخذوا بيد أمتهم إلى شاطئ الأمان ويجنبوها موارد

التهلكة . ولولا هذا الخلاف الذى يكشر عن أنيابه لما كان هناك مجال للأثر الوارد : **يبعث الله** على رأس كل قرن من يجدد للناس دينهم .  
وشأن هذه الخلافات شأن العدوان المتكرر المتوالى على هذه الأمة  
والذى باء بالفشل فى كل مرة ، فكم عدوان للروم ؟ وكم عدوان  
للمسيحيين ؟ وكم عدوان للتتار والمغول ؟ وكم دعوة شعوبية قامت ؟ وكم  
فتنة انفصالية نشبت ؟ ومع ذلك فما زالت الأمة الإسلامية باقية صامدة  
وما زال الإسلام مرفوع الراية يتحدث باسمه ويدين به أكثر من ألف مليون  
مسلم فى أنحاء العالم . هذه كثرة ، وقد تكون واهنة مطموعا فيها  
متفرقة الكلمة ، ولكنها فى الوقت نفسه - على الرغم مما يبدو فى ظاهر  
الأمر - مرهوبة الجانب مخشى بأسها يحذرها العدو ويرجوها الصديق .  
ولو أمن العدو جانبها لنام عنها وأسقطها من حسابه .  
والأمل قوى فى أن تتحد كلمتها ، حينئذ تعود إليها قوتها ولا يبقى  
أمامها طامع .

### رسول الله والفتن والأهواء

لقد تبرأ النبى ﷺ من الذين فرقوا دينهم شيعا ، وحكى القرآن الكريم  
ذلك حين قال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**  
**إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ (١) .

قال أصحاب التفاسير : إن هؤلاء هم اليهود والنصارى أو هم  
المشركون الذين يفرقون بين الله ورسله ، أو هؤلاء أهل البدع والأهواء  
والشبهات من هذه الأمة .

وروى بعضهم أنه حين نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ لعائشة : **إنما**  
**هم أصحاب البدع والأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، يا عائشة ، إن**  
**لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة**  
**وأنا برئ منهم وهم منا برء** » رواه عمر بن الخطاب ، ذكر ذلك القرطبى فى

تفسيره .

أما أصحاب البدع والأهواء فقد ذكر بعض العلماء أنهم رءوس الفرق الضالة وهم: الحرورية، والمرجئة، والقدرية، والجهمية، والرافضة، والجبرية. هذه ست فرق، كل فرقة منها انشعبت إلى اثنتى عشرة فرقة أدت فى النهاية إلى اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة، ولم يبق إلا الفرقة الناجية وهى سواد المسلمين الذين لم يتمذهبوا بأى مذهب من تلك المذاهب المتعسفة.

أما الحرورية فهم الخوارج المنسوبون إلى حروراء - موضع بظاهر الكوفة - اجتمعوا فيه وخالفوا عليا وحكموا بتكذيبه وتكفيره وحاربوه فحاربهم.

والمرجئة قوم يقولون إن الإيمان قول بلا عمل، كأنهم قدموا القول وأرجأوا العمل ولو لم يصلوا أو يصوموا لنجاهم إيمانهم، وكلمتهم الشائعة: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. والقدرية قوم يجحدون القدر - والإيمان به ركن من أركان العقيدة كما نعلم - وهو ينسبون القدر إلى أنفسهم ولذلك سمو به.

والجهمية أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية المبتدعين، ومن ابتداعه: لا يجوز وصف البارئ عز وجل بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى التشبيه فى زعمه.

والرافضة هم غلاة الشيعة الذين رفضوا زيد بن على لأنه أبى أن يسب أبا بكر وعمر ثم غالوا فى التشيع وابتدعوا ما ليس فى الدين<sup>(١)</sup>. والجبرية يقولون: إن الله أجبر عباده على الذنوب، بل هم ينفون أن للعبد فعلا أصلا.

هؤلاء - كما يقول الشيخ عبد ربه بن سليمان فى كتابه فيض الوهاب - هم أهل الأهواء الذين تشبقت منهم الفرق الضالة التى رمت سواد

(١) وفى كتاب فرق معاصرة تنسب للإسلام: وتطلق الرافضة على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا الشيخين وأكثر الصحابة وزعموا أن الخلافة فى على وذريته من بعده بنص من النبى ﷺ وأن خلافة غيره باطلة



المسلمين بالكفر وزعمت كل منها أنها هي الناجية وغيرها من المسلمين على ضلال .

وقد ذكر الشاطبي في كتابه « الاعتصام » عن الطرطوشى أن هذه المسألة طاشت فيها أحلام الخلق ، فكثير ممن تقدم وتأخر من العلماء عينوها لكن فى الطوائف التى خالفت فى مسائل العقائد ، فمنهم من عد أصولها ثمانية فقال : كبار الفرق الإسلامية ثمانية : المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة والناجية ، افرقت الفرق السبع الأولى اثنتين وسبعين فرقة ، وبقيت الناجية على الجادة .

وقال بعضهم : أصول البدع أربعة افرقت عنها اثنتان وسبعون فرقة وهذه الفرق الأربع هى : الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة .

وهذه كلها تأويلات أو اجتهادات ظنية لا دليل عليها ، وليس من المحتوم أن تكون الفرق التى يشير إليها الحديث الشريف كلها قد ظهرت وانتهى الأمر ، فما زال الزمن فسيحا أما ظهور بدع جديدة وضلال مستحدث ، وقد أثر عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة ويميتون سنة حتى تحيا البدع وتموت السن .

قال الشاطبي : وهذا موجود فى الواقع فإن البدع قد نشأت إلى الآن ولا تزال تكثر . هذا والشاطبي من أبناء القرن الثامن الهجرى ، فماذا عسى أن يقول الآن لو رأى الحال فى القرن الخامس عشر الهجرى ؟

وقد أثنى الله على الأمة الواحدة التى لا تكفر أحدا من شهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وهى التى يعينها الحق بقوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا ﴾ <sup>(١)</sup> ويعينها بقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ويعينها بقوله : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .



والعجب كل العجب أن كل أمة من الأمم تحسب نفسها أنها هي الأمة الناجية وحدها وما عداها هي الفرق الهالكة . ولا يتصور هذا عاقل لأن بيان الأمة - كما يقول الشيخ عبد ربه في كتابه فيض الوهاب ١١٩/٤ يرجع فيه إلى من ألزمه الله التبيين فقد قال ﷺ في بيانه الشريف في معنى الأمة : هي الجماعة . والسواد الأعظم من المسلمين الذين ورد فيهم من الكتاب والسنة ما ورد وأنهم على الحق وعلى طريق مستقيم . . . وهؤلاء إذا نظرت بعين العدالة والإنصاف تراهم لا يحاربون ولا يعترضون ولا يعادون أهل الحق من المسلمين . خلافا لغيرهم الذين ورد فيهم : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

ومن العجيب أيضا أن هذه الفرق التي تتعادي فيما بينها أولا وتعادي أهل الحق ثانيا ، لا تحارب أعداء الدين والإسلام ولكنها تحارب من ينتمى إلى الإسلام ، علما بأن الله نهى عن قتال من قال لا إله إلا الله . قال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها » بل قد نهى الإسلام عن مقاتلة المشركين الذين بيننا وبينهم عهد .

وهؤلاء المخالفون بكل أسف يبيحون دم أهل لا إله إلا الله ، ويزعمون أنهم مشركون لأنهم لم يتابعوهم في عقيدتهم ولم يوافقوهم على سلوكهم وتصرفهم .

### شواهد تاريخية

كانت أول فتنة ظهرت بعد مقتل عثمان رضى الله عنه وموقعة الجمل هي فتنة صفين التي في أعقابها ظهر الخوارج الذين شقوا عصا الطاعة على على رضى الله عنه فقاتلهم بالنهروان .  
وقد حكى المبرد في كتابه الكامل طرفا من أخبارهم التي روعوا بها

المسلمين، ومن عجيب أمرهم أنهم كانوا يؤمنون الكفار ويقتلون المسلمين.  
قال المبرد : فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما ونصرانيا، فقتلوا  
المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا : احفظوا فى هذا ذمة نبيكم .

وكان قد لقيهم عبد الله بن خَبَّاب وفى عنقه مصحف ومعه امرأته  
وهى حامل ، فقالوا : إن الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك . قال : ما أحيا  
القرآن فأحيوه ، وما أماته فأميتوه ، فوثب رجل منهم على رطبة وضعها  
فى فمه فصاحوا به فلفظها تورعا ، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه  
الرجل فقتله ، فقالوا : هذا فساد فى الأرض ، فقال عبد الله بن خباب :  
ما على منكم بأس إني لمسلم . قالوا له : حدثنا عن أبيك . قال :  
سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : **تكون فتنة يموت فيها قلب  
الرجل يسمى مؤمنا ويصبح كافرا ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل .**

قالوا : فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فأثنى خيرا ، فقالوا : فما تقول فى  
على قبل التحكيم ، وفى عثمان ست سنين ؟ فأثنى خيرا . قالوا : فما  
تقول فى الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول إن عليا أعلم بكتاب الله منكم  
وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة . قالوا : إنك لست تتبع الهدى إنما  
تتبع الرجال على أسمائها ، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه فامدَّقه  
- أى جرى مستطيلا على دقة - .

وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال : هى لكم . فقالوا : ما كنا  
لنأخذها إلا بثمن . قال : ما أعجب هذا ، تقتلون مثل عبد الله بن  
خباب، ولا تقبلون منى جنى نخلة؟! (١) .

ولقد بلغ الأمر من عتوهم أن الذى ينجو منهم من المسلمين لا ينجو  
إلا بحيله . قال المبرد : حدثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل فى  
رفقة ، فأحس بهم الخوارج ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من  
شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ،  
فقالوا : شأنك . فخرج إليهم فقالوا : ما أنت وأصحابك ؟ قال :

مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده . فقالوا : قد أجرناكم . قال : فكلّمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معى ، قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا . قال : ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾<sup>(١)</sup> فأبلغونا مأمننا - فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ذاك لكم ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن<sup>(٢)</sup> .

وظل الخوارج يعيشون فى الأرض فسادا ، نبذوا كل طاعة لسلطان قائم فحاربهم الأمويون والعباسيون ، وكانت لهم مع الحجاج بن يوسف الثقفى خطوب . قال المسعودى : فى سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي ووَلَّى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان فى أصحابه . فدخل الكوفة وتحصن فى دار الإمارة ، ودخل شبيب وأمه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح ، وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وسورة آل عمران ، فأتوا الجامع فى سبعين رجلا ، فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها ، فقال الناس بالكوفة :

### وفت غزالة نذرها يا رب لا تغفر لها

وبعث عبد الملك من الشام بعساكر كثيرة لقتال شبيب ، فانهزم شبيب وقتلت غزالة وأمه ، وغرق شبيب فى نهر دجيل وكان يلقبه أصحابه بأمر المؤمنين<sup>(٣)</sup> .

ولم يهادن الخوارج أحدا من خلفاء الأمويين إلا عمر بن عبد العزيز الذى حاجهم فألزمهم الحجة . أرسلوا إليه مبعوثين أحدهما من بنى شيبان والآخر حبشى . فقال لهما : ما نقمنا عليك فى سيرتك ، ولكن أجبننا . رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها المظالم وسلكت غير سبيلهم فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم ، فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق .



فقال عمر : إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدنيا ولكنكم أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها .

أرايتم لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها ، فإن كانت كذلك فأخبرني أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون ؟ قال : ما أذكر أنى لعنته . قال عمر : ويحك لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ويسعنى فيما زعمت لعن أهل بيتى والتبرؤ منهم ؟ ويحكم إنكم قوم جهال أردتم أمراً فأخطأتموه ، فأنتم تردون على الناس ما فعله رسول الله ﷺ ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من آمن عنده . قالوا : ما نحن كذلك .

قال عمر : بل سوف تقرون بذلك الآن . هل تعلمون أن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس وهم عبدة أوثان ، فدعاهم إلى خلع الأوثان وشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن شهد بذلك فقد حقن دمه وأحرز ماله ووجبت حرمة وكانت له أسوة بالمسلمين ؟ قالوا : نعم .

قال عمر : أفلستم أنتم تلقون من يخلع الأوثان ويشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتستحلون دمه وماله ، وتلقون من ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وسائر الأديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه؟

قال الحبشى : ما سمعت كالיום قط حجة أبين وأقرب مأخذا من حجتك ، أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنا برئ ممن برئ منك .

فقال عمر للشيبانى : فأنت ما تقول ؟ قال : ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت ولكنى لا أفئات على المسلمين بأمر حتى أعرض قولك عليهم فأنظر ما حجتهم . فانصرف وأقام الحبشى عند عمر ، وأمر له عمر بعطائه ، فمكث خمسة عشر يوماً ثم مات . ولحق الشيبانى بأصحابه فقتل معهم <sup>(١)</sup> . لقد كان الخوارج أهل لجاج وخصومة ، ألقت ألسنتهم حجة زينها الباطل وزيفها الشيطان الذى سول لهم وأملى لهم . وكانوا يغرون الناس بكثرة صيائهم وقيامهم . وكانت لهم خرجات متوالية عبر العصور يقضى عليها فى كل مرة .



خرجوا بالمغرب عام ١٢٣ هـ بقيادة أبى يوسف الأزدي ف قضى عليهم .  
وخرجوا بالجزيرة بقيادة الضحاك بن قيس عام ١٢٨ هـ واستفحل أمرهم  
ولكنهم انهزموا .

وخرجوا بالمغرب أيضا فى عهد المنصور عام ١٤٣ هـ بقيادة أبى  
الخطاب ف قضى عليهم .

وخرجوا فى عام ١٧٩ هـ بقيادة الوليد بن طريف فقتله يزيد بن مزيد  
الشيباني بعد حرب طويلة .

وفى عهد المعتضد بالله هاجت الخوارج بالجزيرة واستفحل أمرهم ،  
ولكن المعتضد أظهره الله عليهم وظفر بهم وقتل زعيمهم هارون الشارى  
سنة ٢٨٣ هـ .

هكذا تواصلت ثوراتهم التي كانوا يروعون بها الأمنين حتى يشوا  
تحت وطأة ردود الحكومات العنيفة من الخروج ، وكأنهم آثروا فى هدوء  
نشر أفكارهم التي يغتر ببريقها أحيانا بعض الشباب الذين يتطلعون إلى  
الغيرة الدينية ، وربما غلب طابع العنف على أفكارهم وتصرفاتهم .

فإذا ما أغلقنا صفحة الخوارج وفتحنا صفحة الروافض وجدنا الشيء  
نفسه . إنهم لم يعنوا أنفسهم بحرب أعداء الدين . ولكنهم شغلوا أنفسهم  
بشق عصا المسلمين بل ومهادنة العدو ومآلاته ونصرتة وهذه أمثلة من ذلك .

- استمرت فتنة الزنج أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام ،  
وكان زعيمهم دعى اسمه على بن محمد ، وقد صرع بعد خطوب على  
يد الموفق بالله سنة ٢٧٠ هـ . وكان قد استفحل أمره وخرب المدن  
الإسلامية وروع الناس وأخاف المسلمين . خرج بالبصرة واستغوى الزباليين  
والسودان وقتل من المسلمين كما يقول الذهبى ألف وخمسمائة ألف  
وكان يصعد المنبر ويسب عثمان وعليا ومعاوية وعائشة ، وله أفعال منكرة  
كثيرة هو وأتباعه <sup>(١)</sup> ويبدو أنه كان زنديقا يتستر بمذهب الشيعة فهو لا  
يؤمن بأى مذهب .

- استمرت فتنة القرامطة التي أشرنا إليها آنفا زمنا طويلا ، حتى قضى عليهم سنة ٢٩٠ هـ فى خلافة المكتفى بالله **الله** وقد حاصر القرامطة - بعد أن استفحل أمرهم واشتد كربهم - دمشق وهزموا جيوش المكتفى أولا ، حتى جاءت الإمدادات من مصر بقيادة بدر الحمامى فتمكن من هزيمتهم ، ولكنهم عاودوا الظهور والإفساد ، وكلما هزموا قامت لهم قائمة ، وبلغ من استهانتهم بالدين أن هاجموا الكعبة وقتلو الحجاج ووقف زعيمهم فوق الكعبة يقول :

**أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا** <sup>(١)</sup>

- وفى أواخر القرن الخامس الهجرى ظهرت الطائفة الإسماعيلية التى أنشأها حسن بن محمد الصباح الحميرى فى قلعة أصبهان المعروفة بقلعة الموت ، ينسبون أنفسهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، واشتد أمرهم حين انتهزوا الفرصة باشتعال الخلافات بين المسلمين ، فتملكوا الحصون وقطعوا الطرق وأخافوا السبل ، وانضم إليهم كل مفسد ، وقتلوا كثيرا من العلماء الأفاضل الأجلاء ، وبلغ من أمرهم أن استعانوا بالفرنج على المسلمين ، ففى حوادث سنة ٥٦٩ هـ يذكر الذهبى فى كتابه « دول الإسلام » أن صلاح الدين الأيوبى ضلب عشرة منهم ، لأنهم سعاو فى إعادة الدولة العبيدية ، وكتبوا الفرنج ليقدموا ويستغل بهم صلاح الدين <sup>(٢)</sup> وكان هلاكهم على يد التتار سنة ٦٥٥ هـ .

وأراد الوزير ابن العلقمى - وكان رافضيا - أن يتخذ له يدا عند التتار فكتبهم ليستشفى بهم من أهل السنة الذين هزموا الرافضة فى معركة اشتعلت ببغداد سنة ٦٥٥ هـ ، وزين لهم دخول العراق وباع دينه ووطنه بوهم كاذب ولم يغنه هذا الغدر شيئا فمات غما بعد قليل <sup>(٣)</sup> . وقد تحدث عنه ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية » وذكر أنه كان وزير الخليفة المستعصم ، ولكنه كان وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين ، لأنه مالا على الإسلام وأهله الكفار حتى فعلوا ما فعلوا

(١) دول الإسلام ١/ ١٧٥-١٧٨ (٢) دول الإسلام ٢/ ٢٨ وما بعدها .

(٣) دول الإسلام ٢/ ٣٠ حوادث سنة ٦٥٦ هـ

بالإسلام وأهله ، ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على يد التتار الذين مالأهم ، وزال عنه ستر الله ، وذاق الحزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وصدق الذى قال : من استعز بقوم دون الله أذله الله على أيديهم<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن هذه الخلافات التى نشأت وتشعبت وانتشرت فى الأمة الإسلامية ، منذ مطلع القرن الأول حتى الآن ونحن فى القرن الخامس عشر الهجرى كان لها أثر كبير فى تصدع المسلمين وضعفهم ، وفى أن يطمع العدو فيهم ويحتل أراضيهم وينهب ثرواتهم ويستولى على خيراتهم ، ويضرب بعضهم ببعض حتى يتمكن من استنزافهم والسيطرة عليهم . . والدليل على ذلك واضح لذى عينين فها هى ذى العراق محتلة وعاث فيها العدو فسادا ، وضرب أهلها بعضهم ببعض وها هى ذى فلسطين محتلة يصول فيها العدو الصهيونى ويجول ، دون أن يجد له رادعا من المسلمين فى أى مكان ، وها هى ذى أفغانستان ، يفعل العدوان فيها أفاعيله . . وهكذا الأمر فى كثير من الدول الإسلامية ، ولا مخلص للمسلمين من هذه المآسى المتراكمة إلا بالرجوع إلى أنفسهم ليحكموا العقل ، ويعودوا إلى الترابط والوئام والوحدة ، فالتاريخ يحدثنا أنه ما من مرة تتحد فيها القوى إلا وينهزم العدو ، وما من فترة تكثر فيها الصراعات حتى يقوى أمر العدو .

### فرق أخرى نتجت من عباءة الشيعة

كما ذكرنا قبل ذلك أن عواقب الخلاف مرة ونتائجه قاسية ، فإنه يترتب عليه من الآثار السيئة ما لا يخطر على بال . من ذلك أنه قد نشأت من الفرق الشيعية فرق متعددة مثل الدرزية ، والقاديانية ، والبهائية ، والنصيرية .

وكل من هذه الفرق لها اعتقاداتها واصطلاحاتها وآثارها السلبية على الإسلام والمسلمين ولتحاول إلقاد الضوء على هذه الفرق :



## الدرزية

جاء في كتاب « بيان للناس » : الدروز هم أتباع أبى محمد الدرزي - بفتح الدال المشددة ، وكانوا أولا من الإسماعيلية ثم خرجوا عليهم ، ويسكنون سوريا ولبنان .

تقوم عقيدتهم على تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وبرجعته ، ويتخذون سنة ٤٠٨ هـ مبدأ لتاريخهم الذي أعلن فيه الدعاة ألوهية الحاكم ، وهم يُعدُّون في الرسميات مسلمين ، وإن كانت مبادئهم الدينية سرية لا يصرحون بها ، فنشأت شائعات عن عقائدهم وعباداتهم ، حتى كانت حملة الجيش السوري على جبل الدروز في أواخر عهد «الشيشكلي» فعثر على بعض مخطوطاتهم التي شرحت مذهبهم ، وألف بعض مؤرخي العصر الحديث كتابا عنهم .

## منهجهم

يقولون بالتيقة ، أى التظاهر بموافقة الآخرين ، ويقولون أيضا بالتناسخ ، وهم ثلاث درجات :

الأولي : العقل أو العقال .

والثانية : الأجويد المطلعون على تعاليم الدين والملتزمون بها .

والثالثة : العامة والجهال .

وليس لهم مساجد ، بل خلوات خاصة لا يدرى مايجرى فيها ، ولا يصومون إلا ما يقال عن الشيوخ العُقل من صيام أيام غير رمضان ، ولا يحجون إلى الكعبة ، بل إلى خلوة البياضية فى بلدة « حاصبية » التابعة لبيروت .

ويقال : إنهم لا يقرون تعدد الزوجات ، ولا الرجعة فى الطلاق ولا يورثون البنات .

هذا بعض ما تسرب من المعلومات عنهم فى الكتب والأخبار ، ونظرا للسرية التامة ، ولتشدهم فى مبدأ التقية فإن حقيقة مذهبهم لا يعرف منها



إلا القليل وقد صدرت عن دار الإفتاء المصرية فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٤م فتوى مأخوذة عن ابن عابدين نصها :

« تنبيه - يعلم مما هنا حكم الدروز والنيامنة فإنهم فى البلاد الشامية يظهرون الإسلام والصوم والصلاة مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح ، وحل الخمر والزنا ، وأن الألوهية تظهر فى شخص بعد شخص ، ويجحدون الحشر والصوم والصلاة والحج ، ويقولون : المسمى بها غير المعنى المراد ، ويتكلمون فى جناب نبينا ﷺ كلمات فظيعة ، وللعلامة المحقق عبد الرحمن العمادى فيهم فتوى مطولة ، وذكر فيها أنهم ينتحلون عقائد النصيرية والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة و الباطنية الذين ذكرهم صاحب المواقف ، ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لا يحل إقرارهم فى ديار الإسلام بجزية ولا غيرها . ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحتهم . أ.هـ .

وقال ابن عابدين أيضا فى رد المحتار فى فصل المحرمات عند قول المصنف : وحرم نكاح الوثنية بالإجماع ما نصه : قلت : وشمل ذلك الدروز والنصيرية والنيامنة ، فلا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبيحتهم ، لأنهم ليس لهم كتاب سماوى (١) .

هذه الصورة السوداء عن الدروز يعارضها ما كتبه الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه « إسلام بلا مذاهب » فقد كتب يقول :

الدروز فرقة إسماعيلية اتسمت بطابع الباطنية ، حيث أخفوا عقيدتهم عن غيرهم من الفرق الإسلامية ، وقد نشأوا فى إبان العصر الفاطمى ، وظلوا منظوين على أنفسهم يناون بعقيدتهم أن تداع ، ويحرصون على اعتقاداتهم أن تشيع وتعرف بين سائر الناس .

والدروز مواطنون صالحون يسكنون أنحاء متفرقة من لبنان وبعض مناطق سورية ، ونتيجة لهذا الانطواء الذى أشرنا إليه كثرت حولهم

الاقاويل ، وتناثرت حولهم الظنون التى يعتمد أكثرها على الحدس والتخمين ، بل لقد قامت حولهم كثير من الادعاءات الباطلة والافتراءات الخبيثة .

وقال : لقد عشت بين الدروز فترة من حياتى وعاشرتهم فى إحدى قراهم ، وأشهد أنى لمست فيهم الوطنية الكاملة والغيرة فى الحق والشجاعة والوفاء والاستقامة والصدق والعفة ، هذه الصفات الطيبة أسجلها غير مبالغ أو مجامل ، لأنى لمست كثيرا من أخلاقهم ، ورأيت جانبا مشرقا من كفاحهم ، الأمر الذى ربطنى بكثير منهم برباط المودة والصداقة والتقدير .

ثم قال : ولكن رغم هذه الروابط الكثيرة التى ربطتنى بهم فسأحاول أن أكون منصفاً فى هذا التعريف بهم ، أقول ما لهم وما عليهم ، وهدفى من ذلك الخير والصالح ولم الشمل الذى استهدفته من أول كلمة خططتها فى هذا الكتاب .

والدروز يفضلون أن يطلق عليهم اسم «الموحدين» وإن كانوا لا ينكرون تلقيبهم بالدروز .

وقد اختلف المؤرخون فى لفظة (درزى) وهل هو بضم الدال وسكون الراء ، أم بفتح الدال والراء كليهما ؟ ذلك أن هناك شخصين ارتبط كل منهما بالدروز سلباً أو إيجاباً ، فهناك محمد بن إسماعيل الدرّزى بفتح الدال المشددة وفتح الراء ، وهو أحد الداعين لتأليه الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وقد بشر بمذهبه فى واد التيم الموطن الأول للدروز ، وكانت له ميول يهودية مجوسية ، ويقال : إن الدروز قتلوه ، وهو المعروف باسم تشتكين الدرّزى .

وهناك آخر اسمه أبو منصور أنوشتكين الدرّزى بضم الدال المشددة وسكون الراء ، وهو أحد قواد الحاكم بأمر الله ، ويقال : إن الطائفة

تنتسب إلى هذا الأخير دون الأول ، وما زال الدروز حتى اليوم يلعنون نشتكين ويجلون أنوشتكين .

قال : والدروز عرب خلّص ، فهم من لحم وتنوخ ، وهما قبيلتان عربيتان لكل منهما ماضٍ مشرف . وإن لم يكن كل أبناء القبيلتين ممن اعتنقوا المبادئ الدرزية . حتى إننا نجد أحيانا الأسرة الواحدة وقد ضمت فروعها سنين وإمامية ودروزا ، وقد لعب الدروز دورا مشرفا أيام المحن التي تعرض لها الوطن الإسلامي ، فقد حاربوا الصليبيين تحت راية صلاح الدين ، وحاربوا التتار تحت راية بيبرس . وكانوا المرابطين على الثغور البحرية الشامية ، فأحسنوا السهر وأبلوا البلاء الحسن في ساحة النضال ، وما زال التاريخ يذكر لهم تصديهم للفرنسيين في معارك جبل العرب حيث واجهوا الدبابات والمصفحات بأجسامهم وسيوفهم فأعطبوها على من فيها من الجنود ، ولم يزل للدروز نصيبهم في الكفاح المتصل الحلقات .

وأفاض الأستاذ الدكتور في الحديث عن أخلاقهم وزهدهم وأدبهم ، وتحدث عن عقيدتهم واختلاف الناس حولها وقال في ذلك :

الحديث عن العقيدة الدرزية لا يخلو من الحرج ، فالقوم كما ذكرت يتصفون بالأخلاق الكريمة والمروءة والوفاء والوطنية . وإن طبيعة الستر الذي يسدلونه على عقائدهم قد جعلت الناس يذهبون في ذلك مذاهب شتى ، فمن الكتاب من نسب إليهم ما يخرج بهم عن حظيرة الإسلام ، بل ما يسئ إلى مسلكهم الخلقى .

ومن الكتاب من جعل منهم فرقة إسلامية صحيحة الإسلام كاملة الإيمان أما القوم أنفسهم فإنهم لم يحاولوا أن يكشفوا للناس عن طبيعة عقيدتهم ودخيلة مذهبهم ، ومن هنا سنحت الفرصة لكثيرين فتشوا كثيرا في الرسائل المليئة بالانحرافات العقائدية ونسبوها إليهم ، والدروز أنفسهم في غمرة هذه اللجج لم يحاولوا أن يردوا هذه الاتهامات ردا حاسما .

لأنهم بدورهم يحتفظون بكتبهم محفوظة في أماكن أمينة لا يطلع عليها إلا الثقات من علمائهم ..

ويمضي الأستاذ الدكتور في الحديث عن الدروز ويحاور أحد شيوخهم عن معتقداتهم فيقول :

حرصت عمدا في أول حديث مع الشيخ أن استعمل لفظ الدين الدرزي ، ولكن الشيخ سارع في حزم وقال : يا أخى أرجوك لماذا تقول الدين ؟ قل : المذهب . لأننا مسلمون موحدون نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ومن قالها فهو مسلم وإن خالف بقية الشعائر التي تختلف فيها أكثر الفرق .

وسأله عن صلتهم بالحاكم بأمر الله ، هل صلة تأليه ؟ فاستعاذ الشيخ بالله وقال : الحاكم بأمر الله إمام فقط ، ولكن له بعض القداسة ، وقال الدكتور ملخصا ما سمعه من الشيخ : لا إله إلا الله ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ، وسلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود لهم المقام الأسمى بين الصحابة جميعا ، باستثناء على بن أبي طالب . والصلاة تختلف عن صلاة جمهور المسلمين ، فالفروض وإن كانت خمسة إلا أن عدد الركعات في كل صلاة يختلف عن عدد الركعات المعروفة ، وربما طريقة الصلاة نفسها ، هذا والوضوء ليس ضروريا ما دام المصلى نظيفا .

الصوم معناه الامتناع عن الرفث ، ومعنى ذلك أنه يجوز الأكل والشرب مع الصوم ، وهو عشرة أيام في ذى الحجة تنتهى بالعيد ، كما أن صوم رمضان مستحسن عن غيره . لأن الصوم فيه مضاعف الثواب . والزكاة معطلة ولا حدود لها ، ويمكن أن تكون في شكل صدقات وهي اختيارية وهي بالتالي ليست فريضة . الحج لا يعتبر فرضا خشية الاعتداء على الحجاج الدروز ، وهم



بالتالى لا يؤمنون بمناسك الحج ويسفهنونها ويرون فيها ظاهرة وثنية ، أما الزيارة فى حد ذاتها فلا بأس بها .

مصدر التشريع عند الدرروز القرآن وحده ليس غيره ، وأحيانا بعض الاجتهادات ، أما الحديث والسنة فإنهما معطلان ولا يؤخذ بهما إطلاقاً .

لا يجوز زواج الدرزي من غير الدرزية ولا زواج الدرزية من غير الدرزي ، فإذا حدث زواج من هذا القبيل فإنه يكون باطلا ، ولا يجوز تعدد الزوجات ، بل يجب الاقتصار على زوجة واحدة .

والطلاق يقع من مرة واحدة لا رجعة فيها ، ولا يجوز للمطلقة أن تعود لمطلقها أبداً حتى ولو بعد زواجها من غيره .

الوصية مطلقة لا يعتد فيها بالثلث وتجزو بكل المال أو ببعضه لأى إنسان ولو كان وارثاً .

لا يجوز لأى إنسان اعتناق المذهب الدرزي ، كما لا يستطيع درزي أن يحدد عن مذهبه .

الإيمان بفكرة تقمص الأرواح أمر مؤكد ، فما يكاد شخص يموت حتى تتقمص روحه شخصاً آخر ، والروح الدرزية تتقمص غالباً شخصاً درزياً . وتبعاً لذلك فإن سكان العالم من وجهة نظرهم لا يزدون ولا ينقصون ، وتبعاً لذلك أيضاً لا توجد حياة برزخية لأن الأرواح التى تترك أجسادها تنتقل رأساً إلى أجسام أخرى لمواليد جدد .

الإنسان فى الحياة مُخَيَّرٌ وليس مسيراً أى أنهم يقولون بالاختيار وليس بالجبر .

العقيدة الدرزية عقيدة باطنية ولايجوز لأحد أن يطلع على الكتب الدينية للدرروز <sup>(١)</sup> .

ولك بعد أن تقرأ ما قاله هذا الشيخ الدرزي ونقله عنه الأستاذ المؤلف أن تحكم على عقيدة هؤلاء القوم وموقفهم من الإسلام وموقف الإسلام منهم .

(١) راجع الموضوع بطوله فى كتاب الإسلام بلا مذاهب ص ٢٧٣ - ٣١٩ .

## رأى آخر فى الدروز

وننتقل إلى كتاب « فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام » للدكتور غالب بن على عواجى . فنراه يتحدث عن الدروز من اتجاه سياسى ، فنراه يقول فيما نختصره :

يقول عنهم العلامة السفارينى وعن كتبهم ووجوب إتلافها هى وجميع كتب الكفر : « وكتب أهل الكفر لاسيما كتب الدروز . . فقد نظرت فى بعضها فرأيت العجب العجاب ، فلا يهود ولا نصارى ولا مجوس مثلهم ، بل هم أشد من علمنا كفرا لإسقاطهم الأحكام وإنكارهم القيامة وزعمهم أن الحاكم العبيدى رب الأنام » .

« وهم يتكتمون على عقائدهم أشد التكتم ، ولهذا خفى أمرهم على كثير من علماء الفرق والتاريخ وهم لا يسمحون لأحد أن يدخل فى مذهبهم ولا أن يخرج أحد منه ، ولهم فى هذا فلسفة يبررون بها موقفهم قائمة على مفهوم التناسخ الذى يسمونه التقمص ، ومن الجدير بالذكر أن بينهم وبين النصيرية إتفاقا فى كثير من الآراء الاعتقادية ، واختلافا فى بعضها ، وبينهم عداوة شديدة بسبب تأليه النصيرية لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وعدم تأليههم للحاكم بأمره وكراهة النصيرية لهم لتأليههم الحاكم دون على رضى الله عنه .

والدروز فى إسرائيل من أخلص الناس لليهود ، وتعاملهم إسرائيل أيضا بالمثل لمعرفةهم بعمالتهم التامة لهم .

ولإسرائيل مشاريع كثيرة فى قراهم وفى مدنهم - حسبما سمعته من إذاعة إسرائيل باللغة العربية فى هذه السنة ١٤٠٧ هـ وقد سلمتهم السلاح وألفت منهم دوريات على حدودها مع لبنان لثقتهم بهم » .

قال : « غير أن محمد على الزغبى بالغ كثيرا فى الثناء على الدروز وعلى تمسكهم بالإسلام وتعاليمه كلها تمسكا صحيحا ، وذكر أن الدروز

يتمنون أن لو أتيحت لهم الفرصة للانقضاض على إسرائيل وسحقها وإعادة الوجه الإسلامى لفلسطين »

ومن هنا قال أحمد الفوزان فى رده عليه : « وكأنى به لم يسمع أبدا عن الدروز العاملين فى الجيش الصهيونى وعن بلائهم الذى كان على العرب شر بلاء وكانوا للعرب شر أعداء » (١) .

وإننا فى الحكم عليهم نرجع إلى عقائدهم التى سبق أن ذكرناها لنرى كم بينهم وبين الإسلام الصحيح من مسافات .. والله يهدى للحق وإلى الطريق المستقيم .

### القاديانية

نرجع فى ذلك إلى كتاب « القاديانية .. نشأتها وتطورها » للأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر من سلسلة البحوث الإسلامية لمجمع البحوث الإسلامية .

يقول فى مقدمة كتابه : ظهرت الدعوى القاديانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى بلاد الهند ، وشغلت الأمة الإسلامية بأفكارها ونشاطها الذى تجاوز حدود وطنها إلى أنحاء كثيرة من العالم الإسلامى ، وأبرز ما يكون نشاطها حيث تنفرد بالدعوة باسم الإسلام فى هذه المناطق فى أمريكا وفى أفريقيا على سبيل المثال .

وصاحب هذه الدعوة هو « مرزا غلام أحمد القاديانى » الذى قدم نفسه بدعواه مصلحا ومجددا ، ثم مهديا ، ثم المسيح الموعود ، وأخيرا نبيا ورسولا ، وهى دعوى تنافى الإسلام فى كثير من عقائده وشرائعه .

وساند هذه الدعوة فى نشأتها وامتداد نشاطها المستعمرون الصليبيون نظرا لما قدمته لهم من خدمات بالعمل على تسكين الثورة ضدهم فى الهند وفى غيرها من المستعمرات ، وذلك بدعوى إبطال الجهاد وفتح ثغرات

التشكيك في الإسلام وبليلة الأفكار حوله وقد تعقبهم علماء المسلمين ومصلحوهم بتفنيد دعوتهم وإظهار أباطلهم .

### مبادئ هذه النحلة

- ١- ادعاء زعيمهم أن الوحي ينزل إليه ، وأنه نبي من الأنبياء .
- ٢- ادعاء أن كل من لم يؤمن به وبرسالته كافر .
- ٣- ادعاء أن له معجزات تشهد بصدقه كغيره من الأنبياء .
- ٤ - ادعاؤه أنه أعظم من بعض الرسل ، وأن روح موسى ومحمد عليهما السلام حل فيه .
- ٥- موالاته الإنجليز في إبطال الجهاد ضدهم .

### موقف العلماء من هذه النحلة

لقد بادر العلماء بإبطال دعاوى هذا المدعى الكذاب صنيعة الاستعمار وأثبتوا كذبه وبطلان أقواله ودواعيه . وفندوا أقواله وكشفوا زيفه وضلاله . وقد صدرت فتوى من دار الافتاء المصرية في ٢٧ من يوليو سنة ١٩٥٩م خاصة بمن يؤمنون بنزول نبي في باكستان بعد نبينا محمد ﷺ قالت ما نصه:

إن من الثابت شرعا أن نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وثبوت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع فمن قال بظهور نبي بعده نص الفقهاء على أنه يكون مرتدا .

وأكد ذلك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر في إجابته على أسئلة وردت إليه حول هذا الموضوع فقرر أن طائفة الأحمدية وهي فرقة من القاديانية تعتبر مرتدة عن الإسلام ، وليس لها أن تدخل مساجد المسلمين لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ولا أن تدفن موتاهم في مقابر المسلمين <sup>(٢)</sup> .



### البابية والبهائية

جاء فى كتاب « بيان للناس » : البابية نسبة إلى الباب وهو لفظ متداول عند بعض الفرق الباطنية ، يطلقونه على أركان دعوتهم من قبيل قول النبى ﷺ : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه . والباب وسيلة لمعرفة ما يوجد داخل البناء الذى جعل له باب ، وهو لفظ أطلقه على نفسه أحد دعاة نحلة البابية وهو على محمد الشيرازى المتوفى فى تبريز سن ١٨٤٥م أو ١٨٥٠ م .

والبهائية نسبة إلى البهاء وهو لفظ أطلقه على نفسه أحد دعاة هذه النحلة بعد الشيرازى وهو حسين على نورى الملقب ببهاء الدين فسميت النحلة بالبهائية أيضا .

وهذه النحلة أساسها فكر شيعى تنقلت مع الدعوة الباطنية عبر التاريخ وظهرت بوضوح فى القرن الثالث عشر الهجرى فى إيران والعراق والهند وجزيرة العرب . وأهم المبادئ التى تقوم عليها هذه البدعة هي :

(١) الحلول ، فهم يزعمون أن الله بعد ظهوره فى الأئمة الاثنى عشر ظهر فى أحمد الإحسانى - الذى تزعم هذه الفرقة أولا - ومن جاءوا بعده ، وما يدل على ذلك أن شعارهم العام هو اللافتات المعلقة فى بيوتهم عليها عبارة : يا إلهى بهاء .

(٢) عدم ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ .

(٣) ظهور المعصوم وهو من أهم معالم بدعتهم .

(٤) عدم الاعتراف بالقيامة وما بعدها ، وتأويلهم الجنة بالحياة الروحية والنار بالموت الروحانى .

(٥) إنكارهم معجزات الأنبياء مع قولهم بالنبوات ، وهذا دليل على الخلط فى أفكارهم .

(٦) الإسراف فى تأويل القرآن زاعمين أن الألفاظ القرآنية لها معان باطنية لا بد أن تحصل عليها ، ففى تفسير سورة يوسف الذى ألفه الباب عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١﴾ قَالَ : يَوْسُفُ هُوَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَالشَّمْسُ فَاطِمَةُ وَالْقَمَرُ مُحَمَّدٌ وَالنَّجُومُ هُمُ أَئِمَّةُ الْحَقِّ ، فَهَمُ الَّذِينَ يَبْكُونَ عَلَى يَوْسُفَ سَجْدًا ، وَمِنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ كَثِيرٌ فِي كِتَابِ « الدَّرَرُ الْبَهِيَّةُ » الَّذِي أَلْفَهُ دَاعِيَتُهُمْ بِمَصْرَ أَبُو الْفَضْلِ الْجَرَفَادِقَانِيُّ ، وَطُبِعَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٩٢٠ م .

(٧) مُنَاصَرَتُهُمْ لِكُلِّ عَدُوٍّ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَمْنِيَاتُهُمْ لِلْيَهُودِ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْوَطَنُ الْمَوْعُودُ وَلَهُمْ تَفْرِيعَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى عَقِيدَتِهِمْ .

### العلماء وموقفهم من هذه النحلة

استنكر العلماء هذه النحلة واتفقوا على أنها لا علاقة للإسلام بها وأنها تنافي هديه وتعاليمه . وقرروا أن كل من يعتنق هذه النحلة مرتدا على الإسلام . وفي إيران حكم العلماء على الباب بذلك بعد عدة منازعات عقدوها معه وأعدم .

وفي مصر قاوم علماء الأزهر والقضاء الشرعي والحكومة هذه النحلة فكان ما يأتي :

- (١) أفتى الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر بكفر ميرزا عباس زعيم البهائيين ونشر ذلك في جريدة مصر الفتاة بالعدد ٦٩٢ في ١٩١٠/١٢/٢٧
- (٢) صدر حكم قضائي في ١٩٤٦/٦/٣٠ من محكمة المحلة الكبرى الشرعية بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية لأنه اعتبر مرتدا .
- (٣) أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر في ١٩٤٧/٧/٢٣ م وفي ١٩٤٩/٩/٣ فتوى برده من يعتنق البهائية .
- (٤) صدرت فتوى من دار الافتاء المصرية في ١٩٣٩/٣/١١ وفي ١٩٦٨/٣/٢٥ بأن البهائيين مرتدون .
- (٥) حكمت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة في القضية رقم ١٩٥ لسنة قضائية بتاريخ ١٩٥٢/٦/١١ بأن البهائيين مرتدون .
- (٦) صدر قرار جمهوري بالقانون رقم ٣٦٣ لسنة ١٩٦٠ بحل المحافل البهائية ووقف نشاطها .

وهناك إجراءات أخرى تضمنها بيان شيخ الأزهر عن هذه النحلة الذي أذاعه سنة ١٩٨٦م (١) .

وجاء في كتاب فرق معاصرة حول البابية والبهائية ما نلخصه :  
والبابية زعيمها على بن محمد رضا الشيرازي وكان يسمى نفسه بالمهدي ونسب نفسه إلى أهل البيت . وقد صدر حكم ضده في إيران بإعدامه سنة ١٢٦٥ هـ ١٩٤٩ م ونفذ فيه الحكم ، وكان لذلك أثر كبير في قنصل روسيا في ذلك الوقت لأن روسيا كانت تعد هذا العميل وأمثاله وما يدعون إليه من نحلة للقضاء على الإسلام . وأما البهائية فقد احتضنتها الصهيونية العالمية لهدم الأديان وخصوصا الدين الإسلامي وتعد هي وريثة البابية .

وحوربت البهائية واعتبرت عدوة الأديان جميعا ، وحظر نشاطها في كل من مصر وتركيا وإيران بعد إطلاع علماء هذه البلدان على نوايا هذه الطائفة المجرمة عميلة الصهيونية العالمية .

ومن أهم عقائد البهائيين :

(١) أن حسين على مؤسس البهائية هو الرب والإله حيا وميتا للبهائيين .

(٢) هم يؤمنون بالحلول والاتحاد .

(٣) لا يؤمنون بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية في حق عيسى عليه السلام ويقررون أن المسيح قتل وصلب .

(٤) يقولون إن الشريعة البهائية ناسخة للشريعة الإسلامية جملة وتفصيلا

(٥) لا يؤمنون بما جاء في القرآن من أخبار اليوم الآخر، ولا بما جاء في

كل الأديان من أخبارها .

(٦) يعتقدون أن محمدا ﷺ ليس خاتم الأنبياء .

٧ لا يؤمنون بالملائكة ولا بالجن ولا بوجود الجنة والنار ولا بمعجزات

الأنبياء السابقين .

(٨) يباح للبهائي أن يستعمل التقية بأوسع معانيها .

(٩) يقدسون العدد ١٩ .

١٠) لهم تأويلات باطلة مختلفة حول آيات القرآن والأحاديث النبوية الشريفة والعبادات المختلفة .

١١) لهم كتاب ألفه زعيمهم يزعم أنه نزل عليه اسمه الأقدس غاص بالكفریات <sup>(١)</sup> . لقد حكم العالم الإسلامى كله بضلالهم وكفرهم وخروجهم من الإسلام فمن العار أن يعترف أحد بأنهم على الحق الآن .

**النصيرية** يقول كتاب « بيان للناس » عنهم :

هم أتباع أحد وكلاء الحسن العسكرى واسمه محمد بن نصير ، والذين تسموا فى عهد الاحتلال الفرنسى بسوريا باسم العلويين . وأهم مبادئهم هى :

١) الولاية لعلی رضى الله عنه ، زاعمين أن النبى ﷺ بايعه ثلاث مرات سرا ، ومرة رابعة جهرا .

٢) عصمة الأئمة ، لأن الخطايا رجس ، وقد قال الله فى أهل البيت :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٢) .

وبناء على ذلك يعتقدون أن الإمام أعلى من بعض الوجوه من الأنبياء ، لأنهم معرضون للخطأ ، ولم يرد فى القرآن ما ينزههم عنه ، أما الأئمة فمعصومون بنص القرآن .

٣) التقية ، أو التكتم فى الدين ، إخفاء عقيدتهم من كمال الإيمان .

٤) علم الباطن : فهو فى زعمهم مختص بهم ، وهم على صواب دائم فى تفسير القرآن وعلم أسرارهم لأنهم معصومون .

وبناء على هذه الأصول قالوا بالوهمية متحدة الحقيقة مثلثة الأجزاء فالألوهية معنى وحقيقة وهو على ، ولها اسم وحجاب وهو محمد ، ولها باب يوصل إليها وهو سلمان ، فعلى رب العالمين والقرآن منه ، وكل نبى بعث فهو الذى بعثه ليتكلم بلسانه وكان هو مع كل رسول متجسدا فى صورة وصى له ، ويرمزون إلى هذا الثلاث برمز ( ع . م . س ) .

ولهم تفريعات على ذلك ، فالعبادات الواردة فى القرآن ، بما فيها من



أوامر ونواهى أسماء أماكن ، والأشهر الحرم عندهم هى فاطمة والحسن والحسين وعلى بن الحسين .

والقيامة عندهم هى قيامة المحتجب صاحب الزمان . والمتسبون إلى هذا المذهب طبقات ، منهم متعلمون لا يدينون به ، لكن لا يجدون عوضا عنه ، ومنهم الشيوخ والرؤساء المتمسكون ، ومنهم العامة الذين يعيشون على غير هدى .

### حكم الإسلام فيهم

هو نفس الحكم الذى صدر فى الدرر الذى سبق ذكره فيما جاء فى كتاب « بيان للناس » عند حديثنا عن الدرر (١) .

### شر البلى ما يضحك

وفى كتاب « فرق معاصرة » حديث عن النصيرية يتحدث عن عقائدهم وهى تثير الضحك والسخرية من تفكير هؤلاء القوم الذى يتحدثون عن أعظم الأشياء وهو الدين بمثل هذه الصورة التى تدل على السذاجة وعدم المبالاة والاستخفاف بحرمة الأنبياء والصدّيقين والملائكة . . وما جاء فى ذلك : أن أول عقائدهم :

(١) تأليه علي رضى الله عنه . يقولون : إنه إمام فى الظاهر وإله فى الباطن . ثم يقولون : إن عليا ( الإله ) خلق محمدا ﷺ . ثم يقولون : إن محمدا خلق سلمان الفارسي ، وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم :

(أ) المقداد بن الأسود : رب الناس وخالقهم الموكل بالرعْد والصواعق والزلازل .

(ب) أبو الدر ( أبو ذر الغفارى ) الموكل بدوران الكواكب والنجوم .

(ج) عبد الله بن رواحة الأنصارى الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

(د) عثمان بن مظعون الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان .

(هـ) قنبر بن كادان الموكل بنفخ الأرواح فى الأجساد .

هذه أقوال وأفكار مأخوذة من المجوسية لم يتغير فيها إلا الأسماء فقط . .  
ويا ترى بعد موت هؤلاء كيف استمرت الحياة بعدهم دون أن يتأثر شيء  
بموتهم؟ أليس ذلك من المضحكات ؟  
أجل إنه من المضحكات ولكنه من المبكيات أيضا لأنه يدل على فقدان  
العقل وعدم الانتفاع بما جاء فى هذا الدين الإسلامى من سمو فكرى وروحى  
وتعاليم ترفع من قدر الإنسان وتدله على خالقه المبدع العظيم الذى ليس كمثله  
شيء وهو السميع البصير ، وترشده إلى قدر نبيه ﷺ الذى أرسله ربه ليخرج  
الناس من الظلمات إلى النور ، ويأخذ بأيديهم من رق الجاهلية وعماية الباطل  
إلى طلاقة الهدى وسمو الإيمان .

إن أخط ما وصل إليه هؤلاء الضالون بعد كفرهم وإشراكهم وجحودهم،  
أن اعتدوا على حرمة الصحابة رضوان الله نالوا من شرفهم وكرامتهم ،  
وبالغوا فى بغضهم واحتقارهم . وأسندوا إليهم تهما حقيرة ، فقالوا عنهم :  
إن بعضهم كان يتظاهر بالإسلام خوفا من سطوة على بهم ، ورفضوا أن يسموا  
أبناءهم بأبى بكر وعمر بغضا لهذين الاسمين الكريمين ، وقد جاء فى حق  
هذين الصحابين الجليلين من الأحاديث الشريفة ما يشرفهما ويرفع قدرهما  
ويعظم شأنهما فضلا عما قاما به فى الإسلام وخدمته والحفاظ عليه ونشره فى  
الآفاق .

وللمؤلف تعليل لكراهية النصيرين لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما قال  
فى ذلك : والسبب فى بغضهم هؤلاء الأخيار من الصحابة واضح ، وهو أن  
هؤلاء هم الذين أطفئوا نار المجوسية ونشروا راية الإسلام خفاقة بين جحافل  
المجوسية والوثنية ، فكيف يرضى عنهم هؤلاء وهم قد تروهم فى ديانتهم  
وفى حكمهم واستعلائهم (١) .

هذه العبارة تشير إلى أن هذه الفرقة الضالة تغذت من مستنقعات  
الضلالات القديمة وتربت على موائد الأديان الباطلة والخرافات القديمة التى جاء  
الإسلام ليقضى عليها ويمحو أثرها .



## الاهل فى وحدة الامة الإسلامية

ولكن على الرغم من هذا التشردم العنيف ، والفرقة المؤسفة والضعف الشديد الذى ترتب على ذلك بين صفوف الأمة ، فليس هناك محل لليأس أو القنوط ، فما زالت الأمة الإسلامية قوية الساعد ، قادرة إذا عقدت العزم على تذويب الخلافات ودثر تلك المظاهر تدريجيا حتى تزول نهائيا بإذن الله تعالى ، إن هناك أملا فى مستقبل طيب .

وهذه اليقظة الدينية التى نراها بين الشباب لا فى مصر وحدها ولا فى الأقطار العربية فحسب ، بل فى بلدان العالم أجمع ، وفى العالم الغربى بالذات تشهد بأن هناك بعثا جديدا نحو إيمان يغزو الأفق ويعيد إلى النفوس أمنها بالإيمان بدين الله الذى جعله الله خاتم الأديان ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (١) .

هذا ودعوات الغيورين على الإسلام تتوالى لإعادة صرح الوحدة الإسلامية وتذويب الخلافات القائمة بين المسلمين . ولا شك أن كثيرا من هذه الدعوات تصوغها القلوب المخلصة التى تجد أثرها سريعا فى وجدانات المسلمين وقلوبهم كتب الأستاذ أحمد وافى فى مجلة منبر الإسلام (٢) ما ملخصه :

« إن موضوع اختلاف المذاهب والمعتقدات يمثل الآفة الكبرى التى امتحن بها المسلمون في شتى أوطانهم ، ومن حقهم وبخاصة فى ظروفهم الحاضرة أن يتداعى الأئمة والقادة والدعاة ليعملوا متعاونين وفق منهج مرسوم لسحق هذه الأفعى ذات الرؤوس المتعددة التى تسللت فى غواشى الفتن إلى صفوف الأمة فنفتت سمومها .

والحديث بعد ذلك عن المذاهب واختلافها بين المسلمين وعن الملابس والعوامل والنتائج التى اقترنت بها وأدت إليها حديث قديم وطويل يطفح آلاما وخطوبا . ولهذا سوف نتخطى الصفحات السوداء من تاريخ الجماعات التى أشاعت الفساد وفرقت الصفوف .

ستتخطى آثار القرامطة وما فعلوه ...

وسنطوى كشحا عن عصابة الحشيشية أو الحشاشين ( الإسماعيلية ) الذين

عاثوا فى الأرض فسادا وقتلوا قادة المسلمين غيلة وهم فى عنفوان المعركة يدافعون عن دينهم ووطنهم ، وقد سعوا إلى اغتيال القائد المظفر « صلاح الدين الأيوبي » فتسللوا إليه فى خيمته وهو فى قلب المعركة وعاجلوه بطعنات أحدث فيه جراحات ولم تصب منه مقتلا .

وستجاوز عن الموقف المريب أو الغادر الذى وقفه الوزير ابن العلقمى - الذى أشرنا إليه آنفا - وكيف صانع هولاءكو ومكن له من اقتحام بغداد فدمرها وحطم معالم الحضارة الإسلامية فيها ، وقتل الخليفة غدرا ، وأراق دماء المسلمين بصورة مفرجة .

هذه جماعات تكشف عوارها ولم تثبت على الأيام ، وعرف المسلمون بواطنها ومناكرها ، ولم يختلف مصيرها المشئوم عن مصير أهل الباطل وأتباع الشيطان .

ولكن شتان بين هذه الخلافات المظلمة وبين الاختلافات بين المذاهب الفقهية التى هى أشبه شئ بالشمس الضاحية التى تبدد تحتها غياهب الظلمات .

لقد نشأت هذه المذاهب لتؤدى دورها فى مساندة التطورات الاجتماعية والعقلية التى ظهرت فى الدولة الإسلامية نتيجة لاتساع الفتوحات وانسباط السلطان واختلاط الشعوب واختلاف الحاجات والمطالب .

ولقد كانت هناك - بداهة - اختلافات فى بعض الآراء والأقضية والأحكام بين هؤلاء الفقهاء المجتهدين ، ولكنه لم يكن خلافا يمس جوهر العقيدة أو يند عن أصول الشريعة ، ومع ذلك فقد كان هناك من أتباع هذه المذاهب من يتشددون ويتعصبون .

ولكن ذلك - فى تقدير بعض الدارسين - كان يبلور ظاهرة دينية صحيحة لأنه فوق ما يدل عليه من حماسة العامة فى التمسك بعقيدتهم الدينية كما تلقوها عن مذهبهم فإنه خليق أن يبعث على التنافس والاستزادة من الاجتهاد، ومن ذلك ما ذهب إليه المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى إحدى محاضراته حيث يقول : « ولئن كان التنافس قد أدى فى بعض الأحيان إلى إثارة أحقاد وفتن بين العامة فإنه فى أكثر من مرة كان سبب حياة عقلية ونشاط



وتسابق إلى الإتقان والكمال فى البحث العلمى ، فإن أهل كل مذهب كانوا لا يفتأون يتفنون فى جعل مذهبهم ميسراً لفهام الناس وأذواقهم ، متسعا لما يتجدد من حاجاتهم .

لقد ذهب مع الزمان ما كان يشتجر من خلافات حول المذاهب ، ولم يبق ما يكدر الصفاء فى الأفق الإسلامى سوى العصبيات الطائفية التى اتخذت الدين ستارا ومدخلا إلى الكيد له ، وربما تعلق بعضهم بذيل المذاهب الفقهية فى حمق وتهوس ، ولكن صخرة الإجماع وصلابة العقيدة تردهم على أعقابهم .

ولكن بعض هذه الخلافات تعلق بفروع شجرة النبوة المباركة ، مستغلا فى المسلمين مشاعر حبهام لها وإجماعهم على إجلالها ، وإلى حد بعيد قد اساءت هذه الجماعات الدخيلة إلى أصحاب النسب الطاهر ، فإنها بما ارتكبته من آثام غلاظ ملأت الأفق ضبابا وشقاقا حتى اختلطت الأمور وشق على الناس أن يميزوا بين الخبيث والطيب .

وجاء العصر الحديث ونشبت الحرب العراقية الإيرانية وامتدت عبر سنوات تزيد على السبع قبل أن تنطفئ ، أكلت فى خلالها كثيرا من الأنفس والثمرات ، ودمرت العديد من الممتلكات والمنشآت ، وضيعت الكثير من الثروات والتطلعات وحققت المزيد من آمال الأعداء فى أن ينالوا من هذه الأمة العزيزة القوية الخالدة .

وما زالت آمال المسلمين فى كل مكان تنتظر نتائج الجهود المبذولة فى محاولة إطفاء هذه النيران المشتعلة وحقق الدماء الإسلامية المهدرة التى تجرى أنهارا من جريرة هذا الصراع الذى تغذيه الأحقاد والمطامع والعناد . ولا شك أن هذا الصراع المذهبى الذى يترأ منه الطرفان - كما يقول الأستاذ جمال بدوى فى إحدى مقالاته - هو أخطر خبايا الصراع المسلح ، بل هو المادة المشعة التى تحرك مفاعل الطاقة المتفجرة بين الجارتين منذ القدم .

ومن الظلم أن نحمل أهل البيت جريرة ما حدث وما يحدث الآن فى ساحات الصراع ولكن الذى يحمل وزر هذه الأحداث من يتشيع جهلا بهم

ولهم ، فلقد ظل أهل البيت منارات هدى وإصلاح عبر القرون ، وما عرفه التاريخ وأشرفنا ونشير إليه فى هذا البحث فيه دلالة كافية على أنهم عملوا بكل جهد على تجنب المسلمين ويلات الصراع ، وكان حقا ما يقوله الأستاذ أحمد وافى : « إلى حد بعيد أساءت هذه الجماعات الدخيلة إلى أصحاب النسب الطاهر ، هذه الجماعات الشريرة التي ارتدت زيفا مسوح الشيعة »

المسلمون الآن يدركون بعد أن بلغوا ما بلغوا من صحو ووعى ، وأفادوا من المحن الشداد التي مرت بهم تجربة ورشدا ، وهم يرون أن أعتى وأكبر ما يعتاق مسيرتهم ويقف فى طريق تقدمهم هو بقاء سوس التفرقة ينخر فى كيانهم .. ولم يعد مقبولا ولا مستساغا أن تبقى الحقيقة متردية إلى غير نهاية فى غمرات الفتن والانقسامات وهذه هى صيحات الدعوة إلى الوحدة ونبذ الخلافات تتنادى فى كل مكان وهى فى انتظار الإجابة السريعة الرشيدة .

ولقد آن الأوان إلى أن ننظر إلى الشيعة نظرة واقعية ، فنفرق بين من هو شيعى غال رافضى وبين من هو شيعى معتدل . وأغلب الظن أن الغلاة من الشيعة قد انقضوا بعد أن تحولوا إلى مسميات أخرى يبرأ الإسلام منها كالبهائية والقاديانية .. وهذه الطوائف المتوقعة فى بعض أجزاء العالم قد تنبه إليه الوعي الإسلامى والضمير المؤمن بما لا يسمح لنشاطها أن يتجاوز حدوده ومصيره حتما إلى الزوال إن شاء الله .

ولا ينكر منكر أن الشيعة المعتدلين ساهموا بجهودهم فى قضية الإسلام ونهضته وإثراء فكره ، وقد حاول كثير من علمائنا الأجلاء أن يقربوا بجهودهم بين المذهب الشيعى والمذهب السنى ، ومما يؤثر عن المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق قوله : « إنى درست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة بالأزهر ، فكنت أعرض آراء المذاهب فى المسألة الواحدة وأبرز من بينها مذهب الشيعة ، وكثيرا ما كنت أرجح مذهبهم خضوعا لقوة الدليل ، وكنت أفتى فى كثير من المسائل بمذهبهم .. ومن هنا ففى رأى - إن شاء الله - على أن أعمل على دراسة الفقه الإسلامى فى كلية الشريعة بجميع المذاهب ومن بينها دون شك مذهب الشيعة لإمامية أو زيدية ، وبينى كثير من أئمة

الشيعة الإمامية رسائل تلاقت عند وجوب التقريب ونزع ما بين الطرفين من عصبية انتهزها الأعداء والمستعمرون للتفريق بين الشعوب الإسلامية» (١).

ولا ينبغي أن نلقى فوق النار بترولا يزيدنا لهيبا ، بل ينبغي أن نلقى فوقها ماء يطفئها . هذا الماء الذي جعل الله منه كل شيء حتى نقصد به تعاليم الدين السمحة التي تدعو إلى الألفة والمحبة وتحض على التعاون والإخاء ، وتبعث على المودة والرحمة . يقول الشيخ أبو الوفا الشرقاوى - رحمه الله - في رسالة كتبها إلى فضيلة الشيخ محمد شاکر وكيل الأزهر منذ حين ، يتحدث فيها عن ضرورة الوحدة الإسلامية :

« هذه أحاديث النفس التي تجيش بها في الصدر حوادث هذه الأيام .

يهيب القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بالمسلمين إلى أن يتحدوا ويقفوا ، فلا يقبلهم متقطعين في الأرض أما ولا ينظر إليهم متنازعين لا شوكة فيهم ولهم وقد بين لهم هيئاتهم التي شرعها لهم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) ولقد مثل القرآن هذه الأمة على لسان الإنجيل مثالا كان وحده كافيا أن يحملها على حفظ شكلها الذي بينه الله واختاره أن يكون لها ويمنعها من تغيير رسمها الذي أوجب سبحانه أن تكون عليه فقال: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ (٣) هذه صورة الأمة مرسومة على صحيفة من صحائف كتبها .

والذي وصل بالتواتر من سيرة سيدنا محمد ﷺ وأعماله منذ بعثته إلى يوم أكمل الله له الدين وأتم نعمته ، واضح الدلالة على أن همه الأول ومقصده الأكبر كان جمع أمة تؤمن بالله وجعلها من الوحدة والقوة بحيث تعنو لها وجوه العالمين .

وما علمنا أن أحدا على عهده ﷺ أو عهد خلفائه نال في الإسلام من

(١) مجلة منبر الإسلام عدد يونيو ١٩٦٨ م موضوع درس في الوحدة الإسلامية.

(٢) الفتح : ٢٩ .

(٣) الأنبياء : ٩٢ .



منازل الكرامة والرفعة شيئا إلا على قدر سعيه وبلائه فى هذا السبيل - سبيل الوحدة والقوة - .

إن شرائع الإسلام وآدابه جميعا لا قيام لها فى الناس ولا تثبت بينهم على غير هذين الركنين (الوحدة والقوة) فإن عقائد الأمة وشرائعها وعاداتها وما تسلكه من طرائق فى سائر أحوالها لا ينشرها بين الناس إلا مجد القائمين بها، وإذا زلزل ركن الأمة وذهب ريحها ثم جاءت بكل سلطان على صحة ما تذهب إليه وإقامة كل برهان قاطع على فساد غيره ، فلا تفتأ مذاهبها فى ذهاب ، ولا تزداد مذاهب الأقوياء من المخالفين لها إلا حسنا فى عيون الناس، وعموما إذا علت كلمة الله فى العالم كفاك أن تقول قال الله تعالى ، وإذا عز جانب المسلمين وخفق لواء سيادتهم وظهرت طوابع مجدهم لا يعوزك دليل إذا قلت على ملأ من الناس : هذا من شرائع الأمة الإسلامية وسننها ، بل تشعر فى داخله نفسك بالعزة والفالج .

وربما ألقت عظمة الأمة وهيتها فى نفس سامعك ما يرضيه ويشفيه . - أما إذا ضعفت الأمة ذهبت مثلها بددا - إنك إذا أردت أن تتكلم اليوم مثلا فى شأن الخمر فقلت قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ <sup>(١)</sup> لم يقع هذا من نفوس الكافة حتى من المسلمين موقع قولك : الدكتور والسن والأمة الأمريكية قررت منع الخمر . الوحدة والقوة للإسلام هما الأصلان اللذان إذا فقدهما فقد كل شئ وإذا بقيا له استرد بهما كل مفقود .

ابن على كل بقعة جامعا أزهر ، واملأ مشارق الأرض ومغاربها أساطين ، ثم أجلس إلى كل اسطوانة عشرة من العلماء ، واجعل لكل عالم منهم عشرين كرسيًا ، وشق له سبعين فما فى كل فم مائة لسان ، واحلل من كل لسان ألف عقدة ، واعمر بعد ذلك وجه البسيطة بالركع السجود ، فما أنت بدافع عن الإسلام ضرا ولا مجد على الإسلام نفعًا إذا هم تمزق شملهم وضاعت البقية الباقية لهم من الوحدة والقوة وأصبحوا لا طول ولا حول لهم .



أوقروا ظهر الأرض كتباً قيمة، وشقوا بطون العويصات من المسائل شقاً، وأوقدوا في جوف كل خفية من مشكلات علومكم بضعة مصابيح، بل افعلوا المنكر والمعروف بأسرار الفنون التي لديكم، واستنفروها من أعماقها تنكفئ إلى المسلمين بارزة عادية تقتحم عليهم عقولهم بلا نظر ولا استدلال، ثم أقيموا في كل بلد في بلدان المسلمين مائة جنيد واجعلوا لكل قرية من قراهم عشرين سرّياً<sup>(١)</sup>، فما الله براض وروح الإسلام يتحدث بإزهاقها المتحدثون والبقية الباقية للمسلمين من الوحدة والقوة يروعاها بينهم الخطباء والكاتبون.

« الإسلام يحب الرفق والأناة ويكره العنف والهوج، ولكنه مع ذلك يكره الجبن ويلعن من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وعدو الذين يكتمون ما أنزل الله من البيانات والهدي، وهو يهاجم اليوم في أكرم أصوله على الله فهل من مغيث أو مدكر؟ »<sup>(٢)</sup>.

إن من أهم الواجبات التي تنتظر المسلمين اليوم أن يدركوا أن أخوة الإسلام ووحدة صفوف المسلمين والحفاظ عليها من أهم الفرائض وأخطرها، وعبادة من أقدس العبادات، وقربة من أفضل القربات، لأننا بهذه الأخوة نستطيع التصدي لكل المحاولات التي تفت في عضد المسلمين، ونتمكن من تخطي العقبات التي تقف في طريق استئناف الحياة الإسلامية على الصورة التي ترضى الله تعالى ورسوله ﷺ ويكفي أن النبي ﷺ أهدر دم المفرق للجماعة.

إن الأخوة في الله ووحدة القلوب - كما يقول د. طه جابر فياض - تحتل المراتب الأولى للواجبات، بل وفي مقدمتها لأنها شقيقة التوحيد وقرينته<sup>(٣)</sup>.

### ما مكان المسلمين في العالم الجديد الآن؟

هذا سؤال يطرحه الواجب الديني والشعور الإسلامي، وكيف يجيب عليه المسلمون وحالهم بهذه الصورة من التمزق والتناحر والانقسام؟ عليهم أن ينبذوا هذا الخلاف أولاً، ثم يجيبوا على السؤال بعد ذلك.

(١) الجنيد والسري من أئمة العلماء وأهل التقوى قديماً.

(٢) مجلة منبر الإسلام شعبان، ١٤٠٢ (٣) أدب الاختلاف ص ١٦٣.

لا جواب عليه إلا بعد الرجوع إلى حمى هذا الدين الذى وضع لهم الأسس السليمة والأهداف النبيلة ، ودعاهم إلى الاعتصام بحبله والتمسك بآدابه .

وفى ضوء ما تقدم نخلص إلى أن الوحدة الإسلامية هي أمل المسلمين المرتقب ، وهى وسيلتهم فى إعادة نهضتهم وتحقيق ذاتهم لا على أساس مذهبى بل على أساس واحد هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فذلك هو الذى يعصم المسلمين من الذلل ويقيهم شر التفرق ، ويأخذ بأيديهم إلى شاطئ النجاة والأمان بين تلك الأهواء المتضاربة والأمواج المتلاطمة والفتن العمياء التى شتت الأفكار ووزعت الجهود وأوهنت القوى وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾



### خاتمة : التعلق الأمثل بأهل البيت

وبعد ، فقد أدركنا بما سبق أن التعلق الأمثل الذى يتفق وتعاليم الإسلام بأهل البيت تحددها النقاط الآتية :

(١) أن أهل البيت لقربهم من الرسول ﷺ لهم منزلة خاصة فى النفوس .  
(٢) وقد أدرك أهل البيت هذه الخصيصة فصانوها جهدهم بالعمل الصالح ، وحافظوا على أن يكونوا أهلا لها بما بذلوه من جهد جهيد فى رفعة الإسلام وجهاد فى سبيله واجتهاد فى علومه وتخلق بالأخلاق الفاضلة الرفيعة التى جعلتهم قدوة طيبة فى أعين الناس ، وكان منهم نماذج طيبة فى الصدق والشجاعة والمروءة والصبر والعفو والحلم والتسامح ومختلف الفضائل التى امتدح الله بها نبيه ﷺ قائلا فى حقه : ﴿ وَأَنْتَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

وكان منهم كثير بلغوا القمة فى العلم والاجتهاد ، وكان العلماء يتحلقون حولهم ويأخذون منهم ، وعلم جدهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه أشهر من أن ينكر وقد توارثوه كابرا عن كابر .

كان لزيد بن على كتاب اسمه المجموع يشتمل على مجموع رواياته التى تنتهى إلى على بن أبى طالب عن النبى ﷺ وله روايات أخرى عن أئمة آخرين ، وكان يلتقى مع مختلف العلماء فى المدينة وغيرها ، يتلقى العلم من مظانة المختلفة حتى بلغ منزلة رفيعة فى العلم .

وكان له مجموع آخر فى الفقه دون فيه آراؤه الفقهية ، وقد طبع المجموعان فى كتاب واحد .

ويضعه علمه فى الفقه بين أئمة المذاهب الفقهية ، وما زال المذهب الزيدى منتشرا فى أنحاء كثيرة حتى الآن .

وكان محمد بن الحنفية حبرا جليلا وعلماء من أعلام الحديث ، وله رأيه الصائب ومنطقه المؤثر ، ورث ذلك عن أبيه رضى الله عنه .

وكان الإمام جعفر الصادق عالما من العلماء الموسوعيين الذين بلغوا فى العلم شأوا بعيدا . قال الإمام أبو حنيفة : قال لى أبو جعفر المنصور يا أبا

حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهمي له من المسائل الشداد ، فهيأت له أربعين مسألة ، والتقى الإمامان بالحيرة في حضرة المنصور . ويقول أبو حنيفة في اللقاء الذي تم بينهما : أتيت فدخلت عليه ، وجعفر بن محمد جالس عن يمينه ، فلما بصرت به دخلني من الهية لجعفر الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور ، فسلمت عليه ، وأوماً فجلست ، ثم التفت إليه وقال : يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة فقال : نعم ، ثم التفت إلى فقال : يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك ، فجعلت ألقى عليه فيجيبني فيقول : أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا . فرما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا ، حتى أتيت على الأربعين مسألة ما أخل منها بمسألة . ثم قال أبو حنيفة : إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس (١) .

وجعفر الصادق هو ابن محمد الباقر الذي كان إمام العلماء في وقته ، وكان يقصده سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وأبو حنيفة وغيرهم من أئمة الفقه والحديث يتلقون عنه ، ومن أقواله المشهورة التي ترد سهام الغالين إلى نحورهم قوله : من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة .

ويقول جابر الجعفي : يا جابر إن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويزعمون أنى أمرتهم بذلك ، فأبلغهم أنى إلى الله منهم برئ ، والذي نفسى بيده لو وليت لتقربت إلى الله تعالى بدمائهم لا نالنى شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لغافلون عنهما .

(٣) وهذه المنزلة التي استحقها أهل البيت بنعمة الله عليهم لم تغرهم ، ولم تغفلهم عن كونهم بشرا يصيرون ويخطئون ، فليست لهم العصمة التي اختص الله بها الأنبياء ، والتي أراد بعض الشيعة أن يخلعوها عليهم ، وقد رأينا كيف كان اجتهادهم فى العبادة وإكثارهم من أعمال البر وتحليهم بالصفات المثلى ، وفى مقدمتها التواضع والزهد والكرم .

ومن تتبع سيرة أهل البيت عرفنا أنهم لم يكونوا متكالبين فى طلب الخلافة



حريصين عليها ، وما حدث من خروج بعض الأئمة منهم على الخلفاء فإنما كان تعبيرا عما يجيش فى نفوسهم من شعور بالظلم وانتقاص الحقوق ودفاع عن الحرمات .

٥) ولم يحمد أهل البيت لشيعتهم ما خلعه عليهم من صفات تجافي روح الإسلام وتعاليمه ، وقد عرفنا ما قاله على زين العابدين وما قاله محمد بن الحنفية وما قاله غيرهما فى شأن أولئك الذين يحرفون كلم الله ويخلعون على المخلوق صفة الخالق ، أو يشبهون الخالق بمخلوقاته - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

وربما اتصل بذلك ما زعمه بعضهم أن هناك ميراثا من العلم اختص الله به أهل البيت وأثبتوه فيما يطلق عليه اسم «الجفر» وأن هذا الجفر فيه أخبار بما كان وما سيكون حتى قيام الساعة وأنه يتضمن من الأسرار ما يدق ومن الغيب ما يخفى على غيرهم .

وأهل البيت براء من ذلك كله ، وقد نفوا أن يكونوا قد ورثوا من النبى ﷺ شيئا غير القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهو ما أخبر به ﷺ فى الحديث المشهور : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به بعدى لن تضلوا : كتاب الله وسنتى** » وهذا الميراث قدر مشترك بينهم وبين غيرهم من المسلمين ، وأولى الناس بالمحافظة على السنة أهل البيت لأنهم أقرب المسلمين إلى مورثها ﷺ والمسلمون جميعا مشتركون فى هذه المسئولية .

وقد تنبه العلماء إلى نكارة هذا الادعاء ممن ادعاه زورا علي أهل البيت ، وهؤلاء المدعون هم الشيعة الخطابية . جاء فى الخطط المقرزية <sup>(١)</sup> : « زعمت الخطابية بأجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدًا يقال له جفر فيه كل ما يحتاجون إليه من علم الغيب وتفسير القرآن » .

وقد ذكر الشيخ محمد أبو زهرة أن أكثر الروايات التى تنسب الجفر إلى الإمام جعفر الصادق طريقها الكلينى ، وهذا الرجل مشهور بالكذب ، فقد روى عن الإمام أنه قال إن فى القرآن نقصا . والإمام لم يقل ذلك .

وقد رأينا أن الخطأية من فرق الشيعة الضالة التي تأثرت بالوثنية ودعت إلى الإباحية ، وقد تبرأ الإمام جعفر الصادق منهم ، وكتب إلى البلدان بذلك واللعنة عليهم .

(٦) ومن تتبع أحوال الشيعة قديما مع أهل البيت ندرك أنهم ضروا أهل البيت ولم ينفعوا . وشاهد ذلك أنهم خذلوا الإمام عليا رضى الله عنه فى حروبه وتفرقوا عليه ، حتى قال فى حقهم : اللهم أبدلهم شرا منى ودعا عليهم قائلا : اللهم أبدلهم بى جبار ثقيف . يعنى الحجاج بن يوسف الثقفى . ثم خذلوا الإمام الحسين بن على ، بعد أن كتبوا إليه واستقدموه ، وأسلموه فى النهاية ، ولم يبق معه غير أهله وولده ، واستشهد هو ومن معه من ذريته فى كربلاء ، فى مأساة ما زال التاريخ يتجرع غصتها حتى الآن .

ثم خذلوا من بعده حفيده زيد بن على بن الحسين ، الذى قتل مقتلة غادرة ولم يكتف قاتلوه بقتله بل نبشوا قبره وأخرجوا جثمانه وصلبوه . وربما تكررت أحداث مشابهة لذلك بعد جعلت الشيخ أبو زهرة رحمه الله تعالى يقول عنهم : إنهم كانوا يغرون ولا ينصرون ، ويتكلمون ولا يفعلون ، ويحرضون عند الشدائد ويفرون .

ولكن مرور الزمن كفى بتغيير الأمور وتبديل الأحوال . . وإن كانت قد انفتحت ثغرات أطلت منها دعوات باطلة كالقاديانية والبابية والبهاية وغيرها ، إلا أنها دعوات ظهر عوارها ، وانفضح فسادها ، فقبولت بما يقابل به كل زيف وباطل .

لقد نظر المسلمون فى واقعهم الآن وأدركوا أن العدو قد كاد لهم كيده الذى استمده من إبليس اللعين ، وأن العالم قد كشر لهم عن أنيابه ، حتى اجتمعت عليهم ذئاب الشرق والغرب ، وأصبح المسلمون كالآيتام فى مآدب اللثام . فما يخلصون من مآزق حتى يفاجئوا بمآزق آخر . . وأصبح حق المسلمين باطلا ، وباطل الأعداء حقا . . وأصبح المعتدى عليه أثما والمعتدى محقا . ولا منجى للمسلمين من ذلك إلا بالله . والاحتماء بحمى دينهم المتين الذى جعل الله لهم فيه الأمن والأمان والنصر والعزة والكرامة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا

وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ<sup>(١)</sup> ﴿١﴾ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿٢﴾ وَلِلَّهِ  
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٣)</sup> ﴿٣﴾ .

فعلَى الْمُتَشَبِّهِينَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ أَنْ يَلْتَزِمُوا فِي تَشْبِيهِهِمُ التَّعْلُقَ الْأَمْثَلَ بِأَهْلِ  
الْبَيْتِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ .

وعَلَيْنَا أَنْ نَدْرِكَ جَمِيعًا أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَهُمْ مَنْزِلَتُهُمُ  
الْعَظْمَى فِي النُّفُوسِ الَّتِي تَفْرُضُ لَهُمُ الْحُبَّ وَالْمُودَةَ ، تَأْدِباً مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
ﷺ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ لَا تَبْعَدُ بِهِمْ عَنْ كَوْنِهِمْ بِشَرَا لَهُمْ حِظُّهُمْ مِنَ الصَّوَابِ  
وَالْخَطَا ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَأْنِسَ بِقَوْلِ الْإِمَامِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَرِدُ عَلَى بَعْضِ شِيعَتِهِ : « وَيَحْكُ لَوْ كَانَ اللَّهُ نَافِعًا بِقَرَابَةِ  
مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا بِغَيْرِ طَاعَةٍ لَنَفَعَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَّا أَبَا وَأُمًّا ،  
وَاللَّهُ إِنِّى لَأَخَافُ أَنْ يَضَاعِفَ لِلْعَاصِى مِنَ الْعَذَابِ ضَعْفَيْنِ ، وَإِنِّى لَأَرْجُو أَنْ  
يُؤْتَى الْمُحْسِنُ مِنَّا أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَيَلْكَمُ اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا فِينَا الْحَقَّ ، فَإِنَّهُ أَبْلَغُ فِيمَا  
تُرِيدُونَ وَنَحْنُ نَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ »<sup>(٤)</sup> .

٧) إِنَّهُ يَتَحْتَمُّ عَلَيْنَا أَنْ نَدْرِكَ أَنَّ أَمَامَ عَدُوِّ شَرِّسٍ غَادِرٍ لَا يَفْرُقُ فِي حَقِّهِ  
وَعَدْوَانَهُ بَيْنَ سُنِّيٍّ وَشِيعِيٍّ ، وَلَقَدْ كَانَ الشَّيْعَةُ وَالسُّنَّةُ يَعِيشُونَ فِي وِثَامٍ حَتَّى  
حُلَّ الْعَدُوُّ فِي دِيَارِنَا ، فَإِذَا بِهِ يَشِيرُ هَذِهِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَيَبْعَثُ بَيْنَهُمْ هَذِهِ  
النَّعْرَةَ الْكَرِيهَةَ الَّتِي تَفْرُقُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْوَطَنِ الْوَاحِدِ وَفِي ظِلِّ الدِّينِ الْوَاحِدِ ،  
وَتَحْرُضُهُمْ عَلَى التَّقَاتِلِ حَتَّى يَفْنَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَخْلُو الْجَوُّ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْعَدُوِّ  
الْغَادِرِ الْمَاكِرِ .

فَعَلَيْنَا أَنْ نَبْطُلَ بِوَحْدَتِنَا بِاطْلٍ مَكْرَهُ ، وَأَنْ نَقْضِيَ بِتَضَامُنِنَا عَلَى شَرِّهِ وَغَدْرِهِ  
عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ جَمِيعًا عَلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا ، وَرَأْبِ  
الصَّدْعِ بَيْنَهُمْ ، وَمَجَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَسِيحٍ ، فَقَدْ خَلَقْنَا اللَّهُ أُمَّةً وَاحِدَةً

وقال فى ذلك : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

وإذا صح التفاهم بين المختلفين سهلت الأمور ، وسلمت الصدور ، وذابت المشاكل ، وتذلت المسائل .

إن كل باب للخلاف بين المسلمين يجب أن يغلق أمام العدو الشرس ، وعليهم أن يقفوا أمام عدوهم مؤتلفين لا مختلفين ، وقد أمرنا ربنا جل وعلا بذلك فقال : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

(٨) وإصلاح ذات البين ورأب الصدع بين المسلمين يكون بالحكمة والموعظة الحسنة ومن وسائل ذلك عقد الندوات والمحاورات التى تدار برحابة صدر وطهارة قلب . لتقريب وجهات النظر ، حتى يثوب الوثام بين المسلمين جميعا ، ولا سيما بين السنة والشيعة ، وإذا صدقت النوايا تحقق الأمل .

ومن حسن الحظ أن الغلو فى التشيع انقرض أو كاد ، وأن الفقه الإمامى لا يكاد يوجد فرق بينه وبين فقه أهل السنة إلا فى قضايا قليلة ، وقد أصدرت وزارة الأوقاف المصرية منذ نصف قرن تقريرا كتابا فى الفقه الإمامى طبع أكثر من مرة ، كتب مقدمته فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف فى ذلك الوقت ، وسنقدم للقراء هذه المقدمة مع مقدمة المؤلف . ومن هذا الكتاب ندرك أن التقارب ليس بعيدا ، ولكنه أقرب ما يكون حين ننظر إلى الأمور من زاوية حسن الظن والرغبة الصادقة فى الإصلاح والتوافق .

وبحمد الله لدينا من العلماء الفضلاء الأكفاء القادرين على تذويب الخلاف وتقريب وجهات النظر بين مختلف الأطراف ، ولو أمعنا النظر جيدا لرأينا أن هناك فرصة واسعة للقاء .



وقد قرأنا في صحيفة الدستور المصرية <sup>(١)</sup> : أن الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي كانت لهم محاولة ناجحة في هذا المجال ، فقد أصدر كتابا بعنوان : « مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية » أجاب فيه على كثير من التساؤلات التي تسبب الخلاف بين السنة والشيعة وتركى الشقاق بينهم .

ومن ذلك مثلا قضية تحريف القرآن التي قال بها بعض الشيعة المغالين ، وادعوا أن هناك مصحفا خاصا بالشيعة . قال الشيخ القرضاوي في ذلك : إن هذا ليس عاما بين الشيعة ، ولكنه كلام طائفة قليلة منهم ، والسواد الأعظم من الشيعة متفقون على أن المصحف المتداول الذى فى أيدي جماهير المسلمين هو نفسه المصحف الذى يعتمدون عليه ، وليس هناك مصحف غيره .

وأما زواج المتعة الذى ذهب إليه بعض الشيعة فقد قال به عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وعدل عنه ، وقد أخذه عنه بعض الأئمة القدامى من أمثال عطاء ابن أبى رباح وسعيد بن جبير وطاوس رضى الله عنهم .

أما سب الصحابة فهى مسألة شائكة حقا ، شديدة الحساسية ، ولكنها بدأت تأخذ طريقها إلى الزوال ، قال الأستاذ الدكتور القرضاوي : إن كثيرا من أئمة الشيعة وافقوني على تركها ، وأكدوا لى أن هذا الاتجاه - أي اتجاه تركها - يقوى عندهم ويتشرب شيئا فشيئا ، حتى إن المناهج الدراسية الجديدة فى إيران تتضمن فى بعض كتبها مواقف تاريخية لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فيها تمجيد لهما وثناء عليهما .

وهكذا الأمر بالنسبة لمختلف القضايا التي تثير الخلاف . ويشارك الأستاذ الدكتور القرضاوي كثير من الأئمة العلماء فى مختلف الأماكن فى هذا الاتجاه السليم ، وهو التقريب بين المذاهب والفرق ، وتذويب الخلافات التي تثير الشقاق بين المسلمين ، وقد أخذت وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وتلفاز وفضائيات تسير فى هذا الاتجاه ، فقناة ( اقرأ ) على سبيل المثال فى يوم ١٤ سبتمبر ٢٠٠٦ م قد تبنت مؤتمرا عقد فى جامعة الأزهر بالقاهرة حول هذا الموضوع ، ويستمر عدة أيام شارك فيه شيخ الأزهر

وفضيلة المفتى ورئيس جامعة الأزهر وكثير من العلماء من مصر وغيرها .  
والصفحة الدينية فى أغلب الصحف العربية والإسلامية تلح على هذا الموضوع وتحدث عنه ، ومن بينها صحيفة الأهرام القاهرية التى والت التذكير بواجب العلماء وبذل الجهود حول التقريب بين المذاهب ، ومن ذلك هذا النداء الذى نشرته الصحيفة فى ١٣/٩ سنة ٢٠٠٦ وفيه :

« يا علماء الأمة ، ألا ترون أن الأساطيل أحاطت بشواطئنا ، والطائرات تخلق فوق رؤوسنا ، والأمم تتكالب علينا ، وصارت دماؤنا مستباحة على يد أعدائنا

نتنظر منكم أن تقولوا لنا : إن الإسلام دين واحد ، يدعو للإيمان بآله واحد ، يتجه أفراداه إلى قبلة واحدة ، يؤمن أتباعه بنبي واحد هو خاتم الأنبياء ، وبقرآن نزل من عند المولي عز وجل يدعو للوحدة ، وأن نكون يدا واحدة ، نتصدى لأعدائنا الذين يكيدون لنا .

كلنا معا ، سنة وشيعة ، فكلنا حقا مسلمون  
إن كل ما يفرق بين المسلمين خلافاً فرعية غير موجبة للتكفير . . يمكن إزالتها إذا صدقت النوايا والاتجاهات والمحاولات الجادة ، والعمل الدءوب المخلص » .

وفى صحيفة الأهرام أيضا <sup>(١)</sup> يقول الأستاذ الدكتور محمد عمارة تحت عنوان « تنوع المذاهب ظاهرة صحية »

« ومصر بأزهرها أكدت الوسطية والاعتدال »  
« وأدعو إلى حوار حكماء مغلق يعالج الخلاف بين السنة و الشيعة »  
وقال الدكتور عمارة : « إن أعقد خلاف فى تاريخ المسلمين هو الخلاف بين السنة والشيعة والمشكلة ليست فى تنوع المذاهب ، ولكن المشكلة تكمن فى أن كل طرف يكفر الطرف الآخر ، وهذه هى المشكلة «اللغم» فى الثقافة الإسلامية ، لأن تكفير طرف من الطرف الآخر يقسم الأمة الإسلامية .  
واستشهد فى الوسطية بمصر التى يدرس فيها الأزهر جميع المذاهب ،

مشيرا إلى أن هذا دليل على وسطيتها واحتضانها لكل الاتجاهات ، لأن فكرة المذاهب الفقهية تمثل نوعا من التيسير والسعة .

ويقول : كيف تكون أمة تعدادها مليار ونصف مليار نسمة ، وتمتلك أطول أنهار العالم وأقدم فلاح عرفه التاريخ ، وأراضى من أجود الأراضى الزراعية الخصبة ، وفوائض مالية ضخمة مودعة فى بنوك الغرب ، ومع كل ذلك تعاني الضعف ؟!

إن أرض السودان وحدها يمكن أن تكون سلة غذاء جيدة تطعم العالم الإسلامى كله ، وإن حالة الضعف والتفكك التى تعيش فيها الأمة الإسلامية حاليا هى بمثابة أمراض يريد الغرب إثارتها داخل مجتمعاتنا حتى تحين له الفرصة للاستيلاء على أوطاننا وتوزيع الأسلاب . أهـ .

إن عندنا مكان قوة تظهر في وقتها ، وعند الحاجة إليها ، تدل على أن الأمة الإسلامية لا تموت ، وأنها قادرة على إثبات وجودها ومقابلة التحديات .. فقد انتصر حزب الله على قوة العدوان الصهيونية ببسالة فائقة ونصر من عند الله الذى ينصر أوليائه .. وفي هذا دليل على أن هذا الحزب لم يكن بعيدا عن الله ، بل هو قريب منه ، ومستنصر به ، ومستعين بقوته ، ومستعز بسلطانه القاهر ، وكيف يكون بعيدا عن الله من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويؤدى لله فرائضه ويقيم حدوده ؟!

ما أحوج المسلمين فى عصرنا الحاضر إلى نظرة صادقة إلى أنفسهم ، وإخلاص لدينهم ، وتنفيذ أمين لمبادئه الكريمة وتعاليمه السامية ! إن فى هذا علاجاً لكل أدواء أمتنا وطريقاً إلى سعادتنا فى الدنيا والآخرة ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (١) .

ونقدم للقراء صفحات من كتاب المختصر النافع فى فقه الإمامية ليدركوا مدى القرب بين الفقهاء السنى والشيعى .

نرجو الله أن يوفق المسلمين لما فيه خيرهم وخير الإسلام وأن يجمعهم

على خير ما يرجى لهم من تقدم وسعادة فى الدنيا والآخرة . إنه نعم المولى ونعم النصير صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## كتاب المختصر النافع فى فقه الإمامية

### كلمة صاحب الفضيلة السيد وزير الأوقاف (الشيخ أحمد حسن الباقوري)

قضية السنة والشيعة ، هى فى نظرى قضية إيمان وعلم معا .  
فإذا رأينا أن نحل مشكلاتها على ضوء من صدق الإيمان وسعة العلم فلن تستعصى علينا عقدة ، ولن يقف أمامنا عائق .

أما إذا تركنا - للمعرفة القاصرة واليقين الواهى - أمر النظر فى هذه القضية ، والبت فى مصيرها ، فلن يقع إلا الشر .

وهذا الشر الواقع إذا جاز له أن يتنمى إلى نسب ، أو يعتمد على سبب فليبحث عن كل نسب فى الدنيا، وعن كل سبب فى الحياة ، إلا نسبا إلى الإيمان الصحيح ، أو سببا إلى المعرفة المنزهة .

نعم قضية علم وإيمان . . .

فأما أنها قضية علم ، فإن الفريقين يقيمان صلتهم بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله، ويتفقان اتفاقا مطلقا على الأصول الجامعة فى هذا الدين فيما نعلم، فإن اشتجرت الآراء بعد ذلك فى الفروع الفقهية والتشريعية، فإن مذاهب المسلمين كلها سواء فى أن للمجتهد أجره، أخطأ أم أصاب .

وثبوت الأجر له قاطع بداهة فى إبعاد الظنة ونفى الريبة أن تناله من قرب أو بعد ، على أن الخطأ العلمى - وتلك سماحة الإسلام فى تقديره - ليس حكرا على مذهب بعينه ، ومن الشطط القول بذلك .

وعندما ندخل مجال الفقه المقارن ، ونقيس الشقة التى يحدثها الخلاف العلمى بين رأى ورأى ، أو بين تصحيح حديث وتضعيفه ، نجد أن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهى لأبى حنيفة ، والمذهب الفقهى لمالك أو الشافعى ، أو المدى بين من يعملون ظاهر النص ومن يأخذون بموضوعه وفحواه ، ونحن نرى الجميع سواء فى نشدان الحقيقة وإن اختلفت الأساليب .



ونرى الحصيلة العلمية لهذا الجهد الفقهي جديرة بالحفاوة وإدمان النظر وإحسان الدراسة ، فهي تراث علمي مقدور مشكور .

وأما أنها قضية إيمان فإنني لا أحسب ضمير مسلم يرضى بافتعال الخلاف وتسعير البغضاء بين أبناء أمة واحدة ، ولو كان ذلك لعلة قائمة .

فكيف لو لم تكن هناك علة قط ؟

كيف يرضى المؤمن صادق الصلة **بالله** أن تختلق الأسباب اختلاقاً لإفساد ما بين الإخوة ، وإقامة علائقهم على اصطيات الشبه وتجسيم التوافه وإطلاق الدعايات الماكرة والتغريب بالسذج والهمل .

وهب ذلك يقع فيه امرؤ تعوزه التجربة ، وتنقصه الخبرة ، فكيف تقع فيه أمة ذاقت الويلات من شؤم الخلاف ، ولم يجد عدوها ثغرة للنفاذ إلى صميمها إلا من هذا الخلل المصطنع عن خطأ أو عن تهور .

ولقد رأينا مع بعض رجال التقريب أن نقوم بعمل إيجابى لعله أن يكون حاسماً ، سدا لهذه الفجوة التى صنعتها الأوهام ، بل لإنهاء لهذه الجفوة التى خلقتها الأهواء ، فرأيت أن تتولى وزارة الأوقاف ضم المذهب الفقهي للشيعه الامامية إلى فقه المذاهب الأربعة المدروسة فى مصر ، وستتولى إدارة الثقافة تقديم أبواب العبادات والمعاملات من هذا الفقه الإسلامى إلى جمهور المسلمين وسيرى أولو الألباب عند مطالعة هذه الجهود العلمية أن الشبه قريب بين ما ألفنا من قراءات فقهية ، وبين ما باعدتنا عنه الأحداث السيئة .

وليس أحب إلى نفسى من أن يكون هذا العمل فاتحة موفقة لتصفية شاملة تنقى تراثنا الثقافى والتاريخى من أدران علقت به وليست منه .

وأحسب أن كل بذل فى هذا السبيل مضاعف الأجر مذكور عند **الله** جل شأنه . وأن الثمرات المرتقبة منه فى عاجل أمرنا وأجله تغرى بالمزيد من العناية ، والمزيد من التحمل والمصابرة .

على أنه لن ينجح فى هذا المجال إلا من استجمع خلتين اثنتين : سعة القلم ، وصدق الإيمان .

إن الأصالة الفكرية فى مجال البحث عن الحق وتعليمه ، تلتقى مع متانة

الخلق ، وبراءة النفس من العقد والعلل . . والثروة الطائلة من الثقافة تورث النفس رحابة تشبه الرحابة التى يورثها الإيمان الخالص النقى .

ذلك أن الحصيلة العلمية الضخمة تجعل صاحبها بعيد منادح النظر ، وتجعله يعرف - عن خبرة - آراء معارضيه ، وكيف تكونت هذه الآراء ، ومدى ما للملابسات المختلفة من عمل فى تكوينها .

وصدق الإيمان يجعل المسلم بادى التلطف مع الناس، حذرا من قطع أواصرهم ، لبقا فى بيان الحق والدعوة إليه ، أمنيته الغالية أن تنشرح الصدور بالهدى ، وأن تنأى عن مواطن الردى . . هيهات أن يشمت ، أو يعتد ، أو يحقد ، أو يشارك فى مراء وهو يريد لنفسه الغلب ، ويبغى لصاحبه العطب، كلا كلا ، فشرط الإخلاص **الله** ينفى هذا كله .

ونحن المسلمين بحاجة ماسة إلى أن نبنى علاقاتنا على هذه الأسس وأن نزيح من طريقنا إلى المستقبل الطيب ما خلفته الأيام والأهواء من عقبات .  
**والله** ولى التوفيق، وهو المستول أن يتدارك برحمته أمتنا ، وأن يقيها عوادي سوء ، ومغبات التفرق والانقسام .

### تقديم لصاحب السماحة العلامة الاستاذ

#### محمد تقى القمى - السكرتير العام لجماعة التقريب

بسم **الله** نقدم كتاب « المختصر النافع » - وهو على إيجازه - يعطى صورة واضحة لمذهب فقهى لا يقل أتباعه عن أتباع أى مذهب من المذاهب المعروفة ، ذلك هو مذهب الإمامية .

ولعل القارئ حين يطلع على الكتاب ، يعجب من أن هذا الفقه لم يكن فى متناول يد الجمهور إلى اليوم ، ولكن لا غرابة ، فإن الماضى قد شحن بكثير من الأغراض التى دفعت إلى محاربة من يسند إليهم هذا الفقه ، فانسحب ذلك على الفقه ذاته وإن لم يكن فيه ما يحارب .

إن مبدأ الخلافة والإمامة معروف، وهو الذى ميز بين الطائفتين: السنة والشيعة، وإن اتجه الأنظار فى الإمامة إلى آل على عليه السلام ، جعل الفقه المسند إليهم يناله ما نالهم من إيذاء وإرجاف ، يرجع أكثره إلى أسباب سياسية

تتعلق بالحكم ، ولولا هذا لم يكن مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق - وتقديره عند أئمة المذاهب معروف - يقطع ولا يدخل دائرة المذاهب المعروفة عند الجمهور ، وكذلك يقال فى مذهب إمام كزید بن على ، وليس يتسع المقام لسرد ما ترتب على هذه القطیعة من حرمان وفراغ ، ومن مصادرة لجانب عظیم من الفكر الإسلامى ، ثم ما انتهت إليه هذه القطیعة من سوء ظن ، أدى إلى التشتت والأخذ بالأوهام وتقطيع أواصر الإخوة فى الدين .

إن ثروتنا الفقهية - معشر المسلمين - ثروة ضخمة ، لا مثیل لها فى أى تشريع من التشريعات . وليس يغض من قيمة هذه الثروة أن فيها نقاط خلاف إلى جانب الآلاف من نقط الوفاق ، فإن هذا وذاك له دلالة ، أما الوفاق فيدل على أن الأصول تتحكم ولا يهملها أحد ، وأما الخلاف فيدل على أن مجال النظر فيما يصح فيه الاجتهاد يحترم ويقدر . والفقه الذى بين أيديكم قلما يوجد فيه رأى لا يكون له مثیل فى مذهب آخر .

وهذا الكتاب على إيجازه ، يتحدث عن العبادات ، وعليها تقوم الصلة بين العبد وربّه ، وعن المعاملات ، وعليها تقوم صلة الإنسان بالإنسان .

فهو يحدثنا عن الطهارة المائية والترابية ، وعن الوضوء والأغسال ، وعن النية والقربة ، وعن المسح على القدمين المأخوذ من قراءة ثابتة معتد بها عند الجميع ، وعن منع مس المصحف لمن ليس على طهارة ، ولا يغفل حتى آداب الخلوة ، ومنها حرمة استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة ولو فى الأبنية .

ثم هو يجعل للطهارة قداسة ، ويحتاط فيها أشد الاحتياط ، لأنها مقدمة لعبادة أهم ، هى الصلاة .

وأما فى الصلاة فنرى كثيرا جدا من وجوه الوفاق مع بقية المذاهب : فلا صلاة إلا بتكبير الإحرام ، ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، ولا خلاف فى عدد الفرائض ، ولا فى الركعات والسجرات ، وهم يولون وجوههم شطر المسجد الحرام ، ويشترطون القراءة بالعربية ولا يجيزون الترجمة ، ومن لا يعرف العربية فعليه أن يتعلم منها ما يؤدى به الصلاة ، وهم لا يجيزون ترك الصلاة



بحال حتى ان الموحد والغريق يومئذان ويصليان ، فإن وجد خلاف ففي مثل أنهم يشترطون بعد الحمد سورة كاملة ولا يجتزئون ببعض السورة ، ويشترطون الجهر بالبسملة ، وإرسال اليدين ، والعدالة في الإمام ، والخروج من الصلاة بالتسليم ، وتلك خلافات لا تزيد عما بين المذاهب الأخرى بعضها وبعضها . وأما القبلة فهي الكعبة مع الإمكان وإلا فجهرتها وإن بعد المصلى .

وفى الصوم يذكر المؤلف أنه يبدأ بالرؤية وينتهي بالرؤية ، ويعدد المفطرات ، ولكن الذى يلفت النظر أن الإمامية يرون أن الكذب على النبي ﷺ مفطر يجب فيه القضاء والكفارة . فإن وجد بعد ذلك خلاف فلا يعدو أن يكون مثل اشتراطهم التثبت من العدالة في شهود الرؤية ، أو اشتراطهم زوال الحمرة المشرقية للافطار لا مجرد مغيب الشمس ، أى أنهم يتأخرون بعض الوقت بالإفطار .

أما النوافل فى رمضان فتجد من الإمامية اهتماما كبيرا ، وهم يطبقون فيها الحديث الصحيح : « **أفضل الصلاة صلاة الرجل فى بيته إلا المكتوبة** »

وأما الحج فيأخذ فى كتب هذا الفقه حيزا أكبر مما يأخذ غيره نظرا للدقة فى تحديد شعائره ، وهو عندهم من أعظم دعائم الإسلام ، ويعتبرونه جهادا بالمال والبدن ، ويرون تاركه على حد الكفر بالله ، وإذا مات المكلف دون أن يحج ، اعتبر الحج دينا ويحج عنه ، وبلغ من ثبوت هذا الحق أنه يؤدى بغير إذن فيما لو حصل بيد إنسان مال لميت عليه الحج ، وعلم أن الورثة لا يؤدون ، فإنه يجوز له أن يقطع قدر أجره الحج ويبذلها لمن يحج عنه ، لأن هذا دين الله . وهو خارج عن ملك الورثة والديون تقضى قبل التوريث ، ودين الله أحق بالقضاء . ودرجة الوفاق فى الأركان والمناسك والشعائر بين هذا الفقه وغيره كبيرة إلى حد يجعل الحج أعظم مظهر لوحدة المسلمين ، ولعل هذا من بركات بيت الله العتيق .

أما الاعتكاف ، والزكاة ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فقد أفرد لكل منها كتاب خاص .

هذا شأن الإمامية فى علاقاتهم بربهم : يعبدونه لا يشركون به شيئا ،



ويحتاطون لعبادتهم أعظم احتياط ، فما هو شأنهم مع الناس ؟  
 إن أبواب المعاملات فى فقه الإمامية تحدد كل جانب ، وتلتزم الكتاب  
 والسنة والقواعد المستقاة منهما ، فهم يكثرون من الشروط التى تربط معاملاتهم  
 بالروح الإسلامى ، ويستحبون البدء بالبسملة فى كل معاملة ، ويشترطون  
 الصيغة العربية فى العقود . ويكرهون التعامل مع تارك الصلاة والمستهتر ،  
 ويحرمون الاتجار بالمحرمات وما يترتب عليه فساد فى المجتمع .  
 والإمامية فى النكاح والطلاق يتفقون مع بقية المذاهب ، فإن يكن خلاف  
 ففى مثل أنهم يشترطون فى الطلاق : شاهدين ، لا يقع بدونهما ، لقوله  
 تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ  
 مِّنْكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ولا يوقعون طلاق الثلاث بلفظ واحد ، أو متتابعاً فى مجلس  
 واحد ، ولا ينقعد عندهم الطلاق بالحلف ، وبعض هذا أخذ به أخيراً فى  
 الأحوال الشخصية فى مصر مما يدل على فائدة الاطلاع والتعرف على كل  
 مذهب .

وأما زواج المتعة ، فليس أساس الخلاف فيه التردد فى أن الرسول ﷺ  
 شرعه ، ولا أن من الصحابة من عمل به على عهده ، ولا أن بعضهم استمر  
 يرى بقاء هذه المشروعية بعد وفاة الرسول ، إنما الخلاف فى أن هذا الحكم نسخ  
 أو لم ينسخ ، فثبت النسخ عند فريق ، ولم يثبت عند الفريق الآخر . وسوف  
 يدرك القارئ البون الشاسعه بين ما أشيع عن هذا الزواج ، وبين ما هو حقيقة  
 يجيزها المذهب . فهو زواج امرأة خالية من الموانع الشرعية يلزم فيه عقد  
 ومهر ، ويترتب عليه ميراث الولد وعدة الزوجة بانقضاء المدة أو الانفصال .  
 وكما انتفع فى الأحوال الشخصية ببعض ما عند الإمامية من أحكام فى  
 الطلاق ، انتفع ببعض ما عندهم فى الوصايا والوقف .  
 أما عن الحدود والتعزيرات ، فإن هذا الفقه يشدد فيها درءاً للمفاسد وضرباً  
 على يد كل من يقدم على منكر .

فحد الزنا الجلد أو الرجم ، وحد اللواط القتل ، وحد السرقة القطع ، وجزاء من يدعى النبوة القتل ، ومن قال : لا أدري أمحمد صادق أم كاذب وهو على ظاهر الإسلام فجزاؤه القتل . ومن سب النبي ﷺ وآله وسلم ، فجزاؤه القتل .

هذا عرض سريع لبعض ما فى هذا الجزء من الكتاب .  
قام بمراجعة النسخة الخطية «للمختصر النافع» وتحقيق نصها ، والمقابلة بينها وبين أصولها للمؤلف وغيره ، والأشراف على إخراج الكتاب ، لجنة علمية من حضرات السادة :

صاحب السماحة العلامة الأستاذ محمد تقى القمى  
السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية .

صاحب الفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى  
رئيس قسم العلوم الإسلامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة  
صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز محمد عيسى  
استاذ الفقه المساعد في كلية الشريعة بالجامع الأزهر .

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الجواد البنا  
الأستاذ بقسم البحوث الإسلامية بالجامع الأزهر .

صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى  
مدير إدارة تفتيش المساجد بوزارة الأوقاف  
صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ السيد سابق  
مدير إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف

هذا **وبالله** التوفيق ، وعليه التكلان

وصلى الله على سيدنا ومولانا منحمدا وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كثيرا .

٥	المقدمة
١١	مفهوم أهل البيت
١٦	منزلة عظمى
٢٧	أخلاقهم وسلوكهم
٣٩	أهل البيت والخلافة
٥٥	أحداث أدت إلى الخلافات
٦٩	نظرات متباينة إلى أهل البيت
١٠١	الشيعة وأهل البيت
١٢٩	أهم فرق الشيعة
١٤٣	سلسلة الأئمة الاثنى عشرية
١٧٤	الشعر والتشيع
١٨٦	عواقب الخلاف
٢١٥	الأمل فى وحدة الأمة الإسلامية
٢٢٣	خاتمة : التعلق الأمثل بأهل البيت
٢٣٢	كتاب المختصر النافع فى فقه الإمامية
٢٣٩	الفهرس